الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور – خنشلة –

كلية: الآداب و اللغات
قسم : اللغة و الأدب العربي
شعبة: اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة

الملكة اللغوية بين ابن خلدون وتشومسكي

مذكرة مقدمة لاستكمال مواد شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة.

إعداد الطالبة:

- سامية مسعي

إشراف الأستاذة:

* نسيمة شمام

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
صليحة بعطوش	أستاذ مساعد -أ-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	رئيسا
نسيمة شمام	أستاذ محاضر -أ-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مشرفا ومقررا
وهيبة غقاقلية	أستاذ مساعد-أ-	جامعة عباس لغرور -خنشلة-	مناقشا

السنة الجامعية 2018 - 2019

قال تعالى:

"ومن آياته خلق السماوات والأرض

واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك

لآيات للعالمين"

[سورة الروم/الآية:22].

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا العمل ووفقنا لإنجازه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمدا عبده ورسوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

بعد شكر الله سبحانه على إتمام هذا العمل، أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة الفاضلة نسيمة شمام التي شرفتني بإشرافها على مذكرتي والتي لاتكفي كلمة الشكر للإيفاء برد الجميل والفضل الكبير علي، وبتوجيهاتها العلمية، التي ساهمت بشكل كبير في إتمام هذا البحث.

أتوجه بالشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة التي رصّعت مذكرتي بالكثير من الملاحظات القيّمة، و إلى أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها و كل الأساتذة و الإداريين بجامعة عباس لغرور.كما أتقدم بالشكر الخاص إلى موظفي المكتبة المركزية.

وفي الأخير، نشكر كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث.

مقدمة

مقدمة:

تعد اللغة خصيصة إنسانية، فهي وسيلة للإبلاغ و التبليغ أساسها التفاهم بين الأفراد لتحقيق أغراضهم.

فموضوع اللغة من الموضوعات المهمة التي شغلت فكر القدامى و المحدثين من اللغويين و علماء الكلام و الفلاسفة العرب و الأعاجم و غيرهم، والذين أولوا عناية فائقة بها منذ قرون سحيقة.

و من بين الذين اهتموا بقضية اللغة و امتلاكها نجد "عبد الرحمن بن خلدون" الذي عدّها صفة إنسانية جبّلية و مكتسبة ، فهي عنده جسرا للتواصل بين أفراد المجتمع.

و في المضمار نفسه نجد عالم اللسانيات (نعوم تشومسكي) الذي أحدث قطيعة ثانية في اللسانيات المعاصرة تجلت في وضع نظرية جديدة تختلف في تصوراتها الأساس و منهجيتها التحليلية للظاهرة اللغوية عن النظريات الأخرى، و كذلك تظهر هذه القطيعة من خلال المفاهيم التي تمّ انتقاؤها لتناول اللغة بعدّها ملكة بشرية عامة، و منه فتشومسكي قد أولى عناية بالغة و أفرط في عقلانيتها.

و على الرغم من تباين الآراء بين ابن خلدون و تشومسكي إلاّ أن قضية تحصيل الملكة اللغوية و تكوينها مسألة موغلة في القدم على الرغم من تعقيد اللغة كظاهرة بشرية، إلا أن البحث لا يزال قائما لسبر أغوارها، و اكتشاف الكنوز المخبوءة في اللغة الإنسانية.

من هنا أتى موضوع هذه المذكرة لتناول مفهوم الملكة و أهم المرتكزات في تحصيلها لدى كل من ابن خلدون و تشومسكي ، إضافة إلى ذلك قضية اكتساب اللغة و طرق اكتسابها.

ليكون العنوان على النحو الآتي:

(الملكة اللغوية بين ابن خلدون و تشومسكي) .

و نظرا لأهمية هذا الموضوع ، فالإشكال الذي يطرح نفسه في هذا السياق و الذي نحن بصدد علاجه في البحث يتمثل في : توضيح مفهوم الملكة اللغوية عند كل من ابن خلدون و تشومسكي، و منه فـــ:

-ما هي الملكة اللغوية عند ابن خلدون و تشومسكي ؟

- هل هي واحدة أم مختلفة ؟

و يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع لأهمية اكتساب اللغة عند الإنسان ، إذ أنّها عملية معقدة تحتاج لدراسة معمقة و اكتشاف كنهها. و كذلك محاولة منّا دراسة ما جاء في تراثنا اللغوي و معرفة أهم القضايا فيه دون إغفال نظرتنا عمّا جاء في الدرس اللغوي الحديث.

و من خلال بحثنا نحاول القيام بمقارنة بين آراء عالمين لغويين الأول عربي أصيل و الثاني غربي معاصر، و بذلك نصل إلى أهم نقاط التقارب و التباعد بينهما في تحديد مفهوم الملكة اللغوية و اكتساب اللغة.

و حسب الإطلاع، فموضوع الملكة ليس جديدا، بل تطرقت إليه دراسات أخرى سابقة لهذا الموضوع، إذ تمثلت في:

كتاب : باسم يونس البديرات: علوم اللسان العربي في مقدمة ابن خلدون (دراسة لغوية معاصرة) ، حيث أنّ دراسته كانت عامة لأهم العلوم العربية التي تحدّث عنها ابن خلدون في مقدمته و تطرق إلى قضية الملكة اللغوية إذ أنها لم تكن بشكل مفصل، و بطبيعة الحال فمن هنا تبدأ دراستنا إذ تناولنا هذا الموضوع بشيء من التفصيل و أكثر تعمقا من ذلك، و حاولنا مقارنتها و ربطها بما جاء في الدرس اللغوي الحديث.

إن موضوع البحث اقتضى أن يكون المنهج المتبع فيه هو :

- المنهج الوصفي التحليلي : و ذلك بوصف الملكة اللغوية لدى كل من العالمين، و تحليل آليات اكتساب اللغة عند كل منهما، بالإضافة إلى منهج أخر و هو المنهج المقارن: حيث

قمنا بمقاربة بين آراء اللغويين للوصول إلى أهم أوجه التقاطع و التباين بينهما بغية الوصول إلى استنتاجات دقيقة واضحة.

أما من ناحية الصعوبات التي واجهتنا ، فتتمثل في:

- عدم توفر كتب تشومسكي المصادر (المكتوبة باللغة الإنجليزية).
- فكر ابن خلدون الموسوعي القريب إلى الفلسفة في تحليل الأفكار.

و قد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر و المراجع، نذكر أهمها:

- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون (ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر).
- نعوم تشومسكي: اللغة و مشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان.
- نعوم تشومسكي: المعرفة اللغوية (طبيعتها، و أصولها و استخدامها)، تر: محمد فتيح.
- أبو خلدون ساطع الحصري : دراسات عن مقدمة ابن خلدون .
- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية.
- ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية (دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية).

و قد اقتضت طبيعة البحث أن تسير خطته وفق التقسيم الآتي ، حيث يشتمل البحث على مدخل ، تضمن ضبط المفاهيم و المصطلحات.

و فصلين الأول نظري المعنون بـــ: الملكة اللغوية و اكتساب اللغة عند كل من ابن خلدون و تشومسكي ، و يندرج فيه أربعة مباحث معنونة كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم الملكة عند ابن خلدون .

المبحث الثاني: اكتساب اللغة عند ابن خلدون.

المبحث الثالث: مفهوم الملكة عند تشومسكي.

المبحث الرابع: اكتساب اللغة عند تشومسكي.

أما الفصل التطبيقي الموسوم بـــ: مقارنة بين ابن خلدون و تشومسكي في فكرتي الملكة و الاكتساب اللغوي، و اشتمل أيضا على ثلاثة مباحث معنونة كالتالي:

المبحث الأول: مقارنة بين مفهومي الملكة واكتساب اللغة عند كل من ابن خلدون و تشومسكي .

المبحث الثاني: التقاطع والاختلاف بين مفهوم الملكة عند كل من ابن خلدون و تشومسكي.

المبحث الثالث: التقاطع والاختلاف في اكتساب اللغة عند كل من ابن خلدون و تشومسكي.

و ختمناه بأهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال البحث.

و في الأخير، بعد أن منّى الله علينا بإتمام هذا البحث، أولا نشكر الله سبحانه و تعالى و نحمده على ذلك ، ثم أتقدم بشكر أستاذتي الفاضلة و المشرفة على بحثي " نسيمة شمام" التي لم تبخل علي بنصائحها النيّرة و توجيهاتها القيّمة، و إرشاداتها السديدة، كما أشكر القائمين على قسم اللغة العربية و آدابها من إداريين و أساتذة لإتاحتهم لي فرصة البحث، و جميع أساتذة جامعة عباس لغرور، و كذلك موظفي المكتبة المركزية، و كل من قام بالمساعدة في إنجاز هذا البحث.

مدخل

ضبط المفاهيم

والمصطلحات

المبحث الأول: تعريف الملكة اللغوية:

أ. تعريف الملكة اللغوية لغة:

قبل الولوج إلى الملكة اللغوية عند العلمين **ابن خلدون وتشومسكي** ، لا بدّ من ضبط مفهومها في اللغة ، وعرض ما جاءت به المعاجم اللغوية العربية .

1- العين :

أما في معجم العين **للفراهيدي** فهي:

"**ملك:** الملك لله المالك المليك- والملكوتُ: ملك الله- والملك: ما ملكت اليد من مال وحول- والمملكة: سلطان الملك في رعيته. والمملوك: العبد، وملاك الأمر: ما يعتمد عليه..."[1]

2- مقاييس اللغة لابن فارس :

أما في مقاييس اللغة فيشير **ابن فارس** إلى أن مادة "**ملك**" تعني: "ملك: الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة....ملك الإنسان الشيء يملكه ملكا. فالملك: ما مُلك من مال. وفلان حسن الملكة، أي حسن الصنيع إلى مالكيه. وما لفلان مولى ملاكة دون الله تعالى؛ أي لم يملكه إلا هو..."[2]

3- المخصص لابن سيده :

أما في مخصص **ابن سيده** :

"الملك: غير واحد ملك ومالك ومليك وملك والجمع أملاك وملاك وملوك وملكاء والأملوك مالك ليس بمبالغ فيه عن ملك ولكن ملكا أعم فكل ملك مالك وليس كل

[1] - الفراهيدي: العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003، ج3، ص: 165-166.

[2] - ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، ج5، ص:352.

مالك ملكا... وكذلك ملك ومالك فالملك الذي يملك الكثير من الأشياء ويشارك غيره من الناس بأنه يشاركه في ملكه بالحكم عليه فيه".[1]

4-لسان العرب **لابن منظور** :

وأما في لسان العرب فيعرف **ابن منظور** الملكة بأنها: "ملك الليث، الملك هو الله سبحانه وتعالى وتقدس، ملك الملوك له الملك وهو مالك يوم الدين وهو مليك الخلق أي ربهم ومالكهم..... ومِلْكٌ وملِكٌ مثال: فخْذ وفخِذ. كان الملك مخفف من ملك والملك مقصور من مالك أو ملك، وجمع الملك ملوك.... وملك ومُلك وملكٌ: أي شيء يملكه... ويعني مرعى ومشربا ومالا وغير ذلك مما تملكه...."[2]

ومن خلال التعريفات اللغوية الأربع (العين . مقاييس اللغة.المخصص. لسان العرب) يتضح لنا أن معانى الملكة تجتمع كلها في قضية الإملاك والتمليك، فلا تخرج عن معنى ملك الشيء من مال أو مشرب... كما أن لها صلة بالقوة وصحة الشيء.

ب- تعريف الملكة اللغوية اصطلاحا:

تعددت المفاهيم والآراء حول مفهوم الملكة من حيث الاصطلاح . من اللغويين إلى البلاغيين والمتكلمين والفلاسفة كلّ حدّ المفهوم حسب مجال تخصصه ، ومن نماذج ذلك

ما نجده :

1- عند سيبويه:

أورد **سيبويه** مفهوم الملكة في كتابه "الكتاب" في باب الاستقامة والإحالة من الكلام قوله: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن كقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا، وأما المحال فأن تنقص أو كلامك بآخره فتقول: اتيتك غدا وسآتيك

[1] - ابن سيده: المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج3، دط، ص:133.

[2] - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 1863، مج14، مادة:(ملك)، ص125- 128.

أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس.[1]

وهذا يعني أن هدف سيبويه تعليمي، حيث نفهم من تعبير المستقيم الحسن الكلام الذي يتواءم وأصول استعمال اللغة، وأما باقي التعابير فتشير إلى التفاوت في الانحراف عن المعيار الثابت وقياس كلام العرب.

2- عند الشريف الجرجاني:

يرى **الشريف الجرجاني أن "الملكة:** صفة راسخة في النفس وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويُقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية، وتسمى حالة مادامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقا".[2]

ويتضح من خلال قول الجرجاني بأن الملكة هيئة تشكلت في الذهن، حيث تجعل صاحبها له القدرة على الفهم والاستعاب بتكرار الأفعال، من خلال الممارسة والمران عليها حتى تتجسد في النفس- وبذلك تكون له مقدرة على حسن التعبير والذوق في المعاني المختلفة- فالملكة التي نشأ عليها الأفراد وطبعوا عليها، وذلك في فترة زمنية طويلة بذلك تكون ملكة.

3- مالك بن نبي*:

تحدث **مالك بن نبي** عن الملكة اللغوية حيث يرى بأنها خاصية إنسانية ميز الله بها الإنسان عن سائر المخلوقات- وقد ربط الملكة بالثقافة من خلال قوله: "فالثقافة بصورة علمية هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد

[1] - سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص: 25-26.

[2]- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص:193.

* مفكر وفيلسوف جزائري، ولد بمدينة قسنطينة 1905 وتوفي 1973م.

منذ طفولته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[1].

فابن نبي يرى بأن الفرد يشكل ملكته من خلال المحيط الذي يعيش فيه، فالمحيط هو الذي يعكس الحضارة والثقافة لدى الفرد. حيث أن الثقافة هي الجسر الذي يعبره الناس إلى الرقي والتطور ومن خلالها يتمكن الفرد من الاكتساب اللغوي السليم، وتحقيق ملكة لغوية صحيحة، وبالتالي يستطيع الفرد تحصيل اللغة واستخدامها في حياته اليومية وتمييز فسادها من جودتها، كما أنه اعتبر الثقافة عنصر فعّال في حصول الملكة اللغوية لدى الفرد.

4- فرديناند دي سوسير:

يرى دي سوسير أن اللغة هي: "نتاج اجتماعي ليتمكن الفرد من ممارسة هذه الملكة".[2]

فهو يدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، وقد لخصت نظريته بما جاء في ثنائيات اللغة عنده، فقد اعتبر اللغة بأنها ملكة فطرية، جُبل عليها الإنسان وحده، سمحت له باكتساب فنون التواصل والتبليغ، والقدرة على التعبير عما بداخله وما يختلج النفس الإنسانية من أفكار... وما إلى ذلك، فسوسير يرى بأن اللغة ملكة إنسانية متمثلة في القدرات التي يمتلكها الإنسان، وتميزه عن باقي الكائنات الأخرى.

5- عند عبد الرحمان الحاج صالح:

يرى "**الحاج صالح**" بأن الملكة اللغوية: " لا يمكن أن تكتسب باستظهار القواعد النحوية والبلاغية والاكتفاء بحفظ النصوص لأنها قبل كل شيء مهارة وقدرة على

[1] - مالك بن نبي: مشكلة الثقافة- مشكلة الحضارة- تر: ع الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط4، 1984، ص:74.

[2] - ع القادر ع الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، عمان، ط1، 202، ص:32.

إجراء القواعد النحوية والبلاغية وقدرة على التصرف في الكلام بكيفية غير شعورية، وهذه القدرة تكتسب كجميع المهارات بالممارسة...."[1]

"إلا أن التصرف في الكلام أو بالتالي الملكة اللغوية لا يمكن أن يقصر على الجانب النحوي التصريفي فقط، بل لا يمكن أن يحصل أي إحكام بالنسبة لهذا الجانب إن لم بجر التمرس في إطار الكلام الطبيعي... فاكتساب اللغة هو قبل كل شيء اكتساب لمهارة التبليغ.... فالمهارة في التصرف في الكلام هي أيضا مهارة في الاستجابة لما تقتضيه أحوال الخطاب..."[2]

وهذا يعني، بأن "**الحاج صالح**" يرى بأن الملكة هي المقدرة على استنباط القواعد الصرفية والنحوية والبلاغية، دونما شعور أي تلقائيا ولا إراديا، فباكتسابه لهذه المهارة فهو بذلك قد تحصلت لديه الملكة ولكن ذلك من خلال الممارسة والمران حتى يكفيه إجراء تلك القواعد، وبالتالي الملكة عنده هي معرفة عملية تطبيقية إجرائية لتلك الأنظمة من خلال التمرن والتدرب.

ومن خلال رأي "**الحاج صالح**" فالملكة اللغوية تعني القدرة والمهارة على الأداء الكلامي بشكل طبيعي مراعاة لمقتضى الحال. بالتالي فاكتساب اللغة هو اكتساب لمهارة التخاطب والتواصل،فهي تلك المقدرة المكتسبة في استخدام اللغة التي يضبط الإنسان بها أداءه الكلامي، وهذا ما يؤكده عندما قال: " أن الملكة اللغوية بكاملها وفي جملتها هي مهارة التصرف في بِنى اللغة بما يقتضيه حال الحديث"[3].فهو يرى بأن اكتساب الملكة يكون مراعاة حال الخطاب وليس إكسابًا لعلمي النحو والبلاغة، فعملية اكتساب اللغة لديه تتم عن طريق الممارسة والتدريب والمران وبالتالي يمكنه التصرف

[1] - عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفن للنشر ، الجزائر، 2012، ص: 167.
[2] - المرجع نفسه، ص: 168.
[3] - المرجع نفسه، ص: 184.

والانتقال من تركيب إلى آخر...وذلك من أجل الترسيخ والتجسيد، وبهذا تتحقق الملكة اللغوية لدى المتعلم.

المبحث الثاني: تعريف الفطرة

أ- تعريف الفطرة لغة:

لقد تعدّد مفهوم الفطرة في المعاجم اللغوية، وسيتضح ذلك من خلال ما يلي

1- ورد في **معجم مقاييس اللغة** في باب الفاء والطاء وما يثلثهما نجد:

"**فطر**: الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه، من ذلك الفِطْرُ من الصوم . يقال: افطر إفطارا، وقوم فطرٌ أي مفطرون. ومنه الفَطر بفتح الفاء، وهو مصدر فطرتُ الشاة فطرا، إذ حلبتها، ويقولون: الفطر يكون الحلب بإصبعين. والفطرة: الخِلْقَةُ."[1]

2- أما في معجم **العين** للفراهيدي في باب الفاء فهي:

"**فطر**: الفُطرُ: شيء قليل من اللبن يُحلب ساعتئذ. نقول ما احتلبناه إلا فُطرا. وفطرت الناقة أفطرها فطرا، أي حلبتها بأطراف الأصابع، وفطر ناب البعير: طلع.....وفطر الله الخلق، أي خلقهم. والفطرة: التي طُبعت عليها الخليقة من الدين."[2]

3- كما أنه جاء في "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني بمعنى: "**فطر**: أصل الفطر الشقُ طولا.... وفطر الله الخلق وهو إيجاد الشيء وإبداعه على هيئة مُترشحة لفعل من الأفعال.."[3]

ويتضح من خلال التعريف اللغوي أنّ مصطلح الفطرة لا يخرج عن معنى الخلقة والإيحاء.

---

[1] - ابن فارس: مقاييس اللغة، ص: 510.

[2] - الفراهيدي: العين، ص:328.

[3] - الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، باب الفاء، ص: 494.

ب- تعريف الفطرة اصطلاحا:

يرتبط التعريف الاصطلاحي بالتعريف اللغوي، وسيتضح ذلك من خلال إيرادنا لمفهوم الفطرة اصطلاحا.

لقد ميز الله تعالى الإنسان عن سائر الكائنات الأخرى، حيث جعل له قدرة كامنة في النفس تجعله مجبولا على اكتساب اللغة بالجبِّلة، حتى يتمكن من تحقيق عملية التواصل والتبليغ في منظومته الاجتماعية.

حيث تعرف بأنها:

"ذلك السر الكامن في قلب الروح، إنها الجوهر المكنون للخلق الإنساني، والسر المصون للوجود البشري، فهي أم اللطائف، ومرجع الأسرار في المعنى الوجودي لحقيقة الإنسان، بكمالها يكمل مفهوم الإنسان، وبنقصها ينقص معناه، وبانخرامها الكلي يخرج عن طبعه وحده إلى دَرَكٍ المعنى البَهَمِيّ لجنس الحيوان."[1]

مما سبق يتضح ؛ بأنّ الفطرة هي هيئة في النفس أو مجموعة من الصفات حيث يولد الطفل وهو مزود بها، فقد منح الله عز وجل الإنسان منذ خلقته قدرة فطرية ليكون بذلك قادرا على إنتاج وابتكار العدد اللامحدود من الجمل، بغية تحصيل اللغة، وبذلك يتسم الإنسان عن الحيوان. وكذلك تعرف الفطرة بأنها: " الصورة النفسانية الأولى التي خلق الله عليها الإنسان، بما سواها عليه من توازن وكمال، أي قبل أن تدخل اليد البشرية العابثة بالخرم والخدش."[2]

فالفطرة صفة في النفس الإنسانية، وهي أمر متوفر لكل بني البشر؛ أي أنّها خاصية إنسانية.

---

[1]- فريد الأنصاري: الفطرية بعثة التجديد المقبلة عن الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط2، 2013، ص:95.

[2]- المرجع نفسه، ص: 95.

الفصل الأول

الملكة اللغوية و اكتساب اللغة
عند ابن خلدون و تشومسكي

المبحث الأول: مفهوم الملكة عند ابن خلدون (ت808ه).

انطلق **ابن خلدون** في توضيحه لمفهوم الملكة اللغوية من منطلق اجتماعي، فقد تحدث عنها في مواضع متعددة في ثنايا مقدمته، مبيّنا ماهيتها، وكيفية تحصيلها وتكوينها، وكذلك العوامل المؤثرة فيها.

فقد عدّ الملكة شبيهة بالصناعة، في الفصل السادس والأربعون من مقدمته في أنّ اللغة ملكة صناعية، حيث يقول:

"اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها،"[1]

يتضح من خلال قوله أنّه قد ربط الملكة بالصناعة، وأنها خاصة بكل إنسان، حيث تعنى بقدرته على تحصيل اللغة، في حسن استعمالها من حيث الجودة والفساد.

فهي ملكة لسانية للتعبير عن المعاني، فإذا كان حصول الملكة بالإجادة كان تمامها وإذا كانت تحصيل الملكة اللسانية ناقصا فبطبيعة الحال تكون فاسدة وقاصرة.

لقد أشار **ابن خلدون** في مقدمته إلى مفهوم الملكة اللسانية، وبذلك فهي من اصطلاحه ،حيث يقول:

"أنّ صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية، لا نفس كيفية، فليست نفسُ الملكة، وإنّما هي بمثابة من يعرفُ صناعة عن الصنائع علمًا، ولا يُحكمها عملاً".[2]

يتبيّن لنا، أنّ **ابن خلدون** من هذا المنطلق أنّه يفرِّق بين الملكة اللغوية وصناعة العربية؛ أي أنّ الملكة اللغوية فطرية في الإنسان، أو كما اصطلح عليها هو (نفسُ كيفية)، وأما صناعة العربية فهي مكتسبة ومتعلّمة أي (العلم بكيفية) كما أوردها. وعليه فالملكة

[1]- عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط8، 2003، ص:476.

[2]- المرجع نفسه، ص:481.

عنده فطرية مكتسبة، وهي القدرة على التحكم والتصرف في عمل ما؛ أي القدرة على استعمال اللغة بإجادة دون قصور.

كما تحدّث **ابن خلدون** عن الفكر الإنساني، وعن تمييز الله عز وجل للإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل الذي زاد فيه قبسا مضيئا، حيث يقول في هذا الصدد: "أنّ الإنسان من جنس الحيوانات، وأن الله تعالى ميّزه عنها بالفكر الذي جعل له، يوقع به أفعاله على انتظام وهو العقل التمييزي أو يقتنص به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من أبناء جنسه، وهو العقل التجريبي؛ أو يحصل به في تصوُّر الموجودات غائبا وشاهدا، على ما هي عليه، وهو العقل النظري".[1]

حيث يرى بأنّ الإنسان متميّز عن الحيوان، وأنّ الله سبحانه وتعالى قد فطر فيه العقل؛ ليتسم بسمة يختلف بها عن باقي المخلوقات الأخرى. أي عن طريق العقل الإنساني يميّز الإنسان بين مختلف الأفكار والآراء التي تخدم مصلحته واتصاله بأبناء جلدته.

ويضيف في هذا السياق: "... أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة، فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته، وهو (وجدان حركة النفس)، في البطن الأوسط عن الدماغ... هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات".[2]

ومنه **فابن خلدون** في ثنايا مقدمته يتحدّث عن اشتراك الإنسان مع الحيوان في الغذاء والحركة والحس...وغير ذلك، إلا أنه قد فضله الله سبحانه وتعالى عنه من خلال الفكر، وميّزه به عن سائر الكائنات الأخرى، حيث من خلاله يمكنه أن يفسر، يحلل، يدرك، يركب، يتأمل، يلاحظ... وما إلى ذلك. ومن خلال اليد التي بها يستجيد جملة من الصنائع سواء بتمامها أو نقصانها؛ أي أنّ الإنسان يفكر، نظريا، وباليد يمكنه أن يجعل

[1]- المرجع السابق، ص:374.

[2]- المرجع نفسه، ص:495.

طبيعة الفكرة عملية، حيث يقول في هذا السياق: "أنّ اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها اليد".[1]

ومعناه أن اللغة تمثل اللسان السوي التي تخضع للإرادة والعقل فيتم إنتاجها عن طريق الكتابة.

وبناءً على ذلك فإن الملكة تكون قادرة على التحكم في ذلك العمل المنتقى، ويصير لها الاستعداد الكامل على التصرف به، بعد أن تستولي عليه النفس وتستبد به، فيعود إليها، فتكون بذلك في وجدان النفس وتحقق كمالها، بالنظر إلى ما يقيدها ويميزها وبذلك تكون القدرة على استعمال اللغة بعفوية وروحانية، حيث تتحقق الملكة بتتابع الفعل وتكراره؛ ليصبح صفة راسخة.

وهذا ما يؤكده في قوله: "الملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته".[2]

اللغة كلية مركوزة فينا وأن جميع البشر يكتسبونها من خلال نظام وقواعد موحدة، من جميع النواحي، إلا أنها تختلف باختلاف الألسن، عربي، صيني، فرنسي، إنجليزي.. وما إلى ذلك، حيث تتفاعل مع أفكارنا ومشاعرنا، وتصوير مفهوماتنا، بها يتواصل مختلف الشعوب والأمم، وبها تتحقق وسيلة الإبلاغ والتبليغ بين أفراد الأمة الواحدة، وتؤدي بذلك وظيفتها التعبيرية وغير ذلك.

تتصف اللغة بأنّها ميزة إنسانية تمتلكها مجموعة بشرية، لأجل التواصل والتخاطب والتبليغ وبذلك تتحقق الإفادة.

[1]- المرجع السابق، ص:468.

[2]- المرجع نفسه، ص:315.

يقول **ابن خلدون**: "هكذا تصيّرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل، وتعلّمها العجم والأطفال، وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع، أي بالملكة الأولى التي أُخذت عنهم، ولم يأخذوها عن غيرهم".[1]

ويتضح من ذلك أن العرب قد توارثوا اللغة جيلا بعد جيل، حتى تكوّنت لديهم ملكة لسانية، فهي تنشأ بين الأفراد، الذين طبعوا وجُبلوا عليها، وتجسّدت بعد ذلك في الذهن _النفس.

اللغة ظاهرة فكرية إنسانية، لا يمكن أن تنشأ إلا في وسط المجتمع، بغية التواصل والتعامل في ما بينهم، وعليه فقد ارتبط مفهوم الملكة اللغوية (اللسانية) عند **ابن خلدون** بالمواضعة اللغوية، التي تنبئ عن عقد اجتماعي يؤمن سلامة الاتصال بين المرسل والمتلقي.[2]

"فاللغة وطريقة استخدامها، هي التي تطبع كل مجتمع بطابع خاص يصبح هو الطابع المميز في عيون الآخرين من خارج ذلك المجتمع، بحيث تصبح نظرة هؤلاء لكل فرد من أفراد ذلك المجتمع كأنه قطعة تتمثل فيه جميع الصفات التي تميز مجتمعه كله، بغض النظر عن الفروق الواضحة بين فرد وآخر".[3]

وعليه فاللغة ظاهرة اجتماعية يتم استخدامها بين الأفراد في المجتمع الواحد، وذلك لأجل تحقيق التواصل وأواصر الترابط بين أبناء جنسه، كما تجعل من الفرد قطعة تميّزه عن باقي الأفراد من خلال استخدام لغته في مواضع معينة.

حيث يقول **ابن خلدون** في هذا السياق: "... أن الإنسان هو مدني بالطبع، أنه لا تمكن حياة المنفرد من البشر، ولا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه، وذلك لما هو عليه من

---

[1]- المرجع السابق، ص:477.

[2]- ينظر: فايز عيسى المحاسنة: الملكة اللغوية عند ابن خلدون (دراسة لسانية مقارنة)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ع3، مج3، تموز، 2003، ص:5.

[3]- نايف خرما: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص:127.

العجز عن استكمال وجوده وحياته، فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبدا لطبعه".[1]

فالإنسان بطبيعته اجتماعي، إذ أنّه لا يمكن أن يعيش كل فرد بمعزل عن حياة الجماعة؛ لأن ذلك فيه من العجز في إكمال حياته طبيعيا، فالفرد لا يكون له دور فعّال إلاّ في وسط منظومته الاجتماعية، على حد تعبير **ابن خلدون** الإنسان اجتماعي بطبعه.

زيادة على ذلك اهتم **ابن خلدون** بفكرة التراكيب لما لها من دور في تحقيق الملكة وحصولها، وذلك، "أن الملكة اللسانية يتم استعابها من خلال فهم التراكيب النحوية المبثوثة في ثنايا النص الأدبي أو الكلام البليغ، ثم القدرة على تمثلها مرة أخرى أو إنتاج تراكيب شبيهة بهذه التراكيب المتنوعة".[2]

فهو يؤكد على أهمية التراكيب النحوية في تحصيل الملكة اللسانية؛ لأنّها صفة راسخة في النفس وبعد استعابها وفهمها تكون له القدرة على التمثيل والتجسيد في إنتاج تراكيب مماثلة لها وبذلك تكون متنوعة ومتباينة.

الملكة اللغوية (اللسانية) تستقيم في جملة الوحدات اللغوية وهي مجتمعة، ولا يمكنها أن تتجسّد في انفراد تلك الوحدات اللغوية، وبذلك فتعلم اللغة يكون على المحور التركيبي النحوي، ولا يكون في المحور الذي تتفرد فيه الكلمات، وفي إشارة أخرى ركز **(محمد الصغير بناني)**- حسب **ابن خلدون**- على النحو باعتباره كيفية لتركيب الكلام، باستخدام الفكر، وهو أن النحو مرتبط بنشاط الفكر، وهذا النشاط يعنى ببناء العقول، وصياغة القوالب، وعليه فالنحو أساسي في تكوين عملية الملكة اللسانية، فقد أولى **ابن خلدون** عناية فائقة بعلوم اللسان العربي، حيث أنه يقدم النحو على باقي العلوم، وذلك

[1]-عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص:371.

[2]- أمل محمود علي إبراهيم: تصور مقترح لتدريس القواعد النحوية لتلاميذ المرحلة الإعدادية بمحافظة القاهرة في ضوء الملكة اللسانية لابن خلدون، مجلة جامعة المدنية العالمية، ع16، 2016، ص:431.

للإبانة على المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل عن المفعول، والمبتدأ من الخبر... وما إلى ذلك.

وبناءً على ذلك يتضح بأنه قد ربط النحو بالصناعة، بمعنى أنّه من أجادها وترسّخت قواعد ومبادئ النحو فيه بالجبِّلة أي عفويا دون قيامه باستذكار لتلك القوانين، من خلال قوله: "فإن العلم بقوانين الإعراب، إنّما هو علم بكيفية العمل وليس نفس العمل".[1]

فهو بذلك فرّق بين علم النحو والنحو، فالأول من يعرف القوانين والقواعد دون رسوخها بالتالي لم يحصل في ذلك ملكة ، أما الثاني فقد أحكم تلك القوانين والقواعد في النفس _الذهن مما جعلها راسخة، وعليه فقد تمّ حصوله على ملكة.

ويفسر ذلك **(سالم علوي)** في: "... أن علم النحو ليس هو العربية، بل هي ملكة يمتلكها الإنسان مند الطفولة ويتدرب عليها حتى يحكمها.. والنحو هو صناعة قوانين هذه الملكة".[2]

ويتبيّن لنا، بأن النحو هو الركيزة الأساسية لإتقان اللغة العربية، وبذلك يمكننا الحصول على ملكة لغوية (لسانية) في العربية، كما يمكننا أن نشير إلى أن علماءنا القدامى كانوا يصطلحون على علم النحو بعلم العربية، والمتأمل لكتاب المقدمة يجد تكرار لفظة الملكة، حيث اعتبرها المعيار الحقيقي والسجية المركوزة في فكر كاتب أو نحوي أو لساني، وهذه الصفة لها أساسان:

- إما أن تكون جبِّلية تنشأ مع الطفولة، في المحيط المعاش فيه عربي كان أو غير عربي، حيث يقول **ابن خلدون**: "أن النفس وإن كانت في جبّلتها واحدة بالنوع، فهي

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص:481.

[2]- سالم علوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، دار هومه، الجزائر، ص:99.

تختلف في البشر بالقوة والضعف في الإدراكات والملكات والألوان التي تكيّفها من خارج؛ فبهذه يتم وجودها، وتخرج من القوة إلى الفعل صورتها".[1]

ومعناه أنّ الملكة تختلف من فكر شخص إلى آخر انطلاقا من القدرة الفكرية لكل إنسان في إدراكه للوقائع الخارجية باختلافها وتنوعها.

حسب (**أبو خلدون ساطع الحصري**)أن الملكة التي يتحدث عنها ابن خلدون هي تلك الصفة الراسخة التي تكتسبها النفس من جراء الممارسة والمران، والتي تؤدي إلى حصول الأعمال الفكرية والجسدية بسرعة وسهولة، إذ تجعلها بمثابة بالجبِّلة والفطرة.[2]

فالملكة عند **ابن خلدون** ملكات، فنظرته إليها هي نظرة اجتماعية، حيث يتكلم الأفراد في المنظومة الاجتماعية، بكلام مفيد المعنى، وبذلك يقول: "اعلم أن الكلام الذي هو العبارة والخطاب، إنما سرّه وروحه في إفادة المعنى، وأما إذا كان مهملا فهو كالموات الذي لا عبرة به".[3]

يعني بذلك أن الكلام لابدّ أن تكون له دلالة لبلوغ المقاصد، لدى المتكلم والسامع حتى يتحقق التواصل، فإذا كان غير ذلك فهو لغو لا مفاد منه.

وهو ما يؤكده في قوله: "ثم اعلم أنهم إذا قالوا "الكلام المطبوع" فإنّهم يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله المقصود منه، لأنه عبارة وخطاب، ليس المقصود منه النطق فقط، بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة، ويدل به عليه دلالة وثيقة".[4]

فالمتكلم لابدّ أن يحقق إفادة، أي إيصال المعنى المراد إلى السامع، وذلك لأجل تحقيق التخاطب في العمران البشري (المجتمع)، وليس الغرض من المتكلم التكلم فقط

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون، ص:496.

[2]- ينظر: أبو خلدون ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار المعارف، مصر، 1953، ص:423.

[3]- المرجع السابق، ص:498.

[4]- المرجع نفسه، ص:ن.

بالسجية، وإنّما يكمن ذلك السرّ في كيفية إفادة السامع بالدلالة والمعنى المقصود من كلامه.

وهنا نجد أنفسنا أمام نقطة مهمة، وهي أنّ الملكة قبل اكتسابها تكون شعورية وبوعي، أما بعد اكتسابها فتكون لا شعورية (دون وعي)، وبذلك يكون الطبع غير شعوري (لا وعي)، لأنه فطري ولد مع الإنسان، وفي ذلك يقول: "ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها"،[1] أي أنّ الإنسان يولد ولديه الاستعداد الفطري لتقبل الملكات والحصول عليها.

فالقدرة على تحصيل الملكة، وحسن استخدامها من حيث جودتها أو فسادها، يكون بذلك قد اكتسب ملكة لسانية، وفي هذا يقول: "أن الحذقَ في العلم والتفنُّنَ فيه والاستيلاءَ عليه، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا".[2]

نستطيع أن نقول بأنّنا قد حصلنا على ملكة في ذلك العلم أو الفن إلا إذا تمكنا من أساسيات وقوانين ذلك الفن، والوقوف على قضاياه، واستقراء ما فيه، بالتالي فقد استطعنا أن نحصل على ملكة في علم ما دمنا نستطيع التحكم فيه والتصرف به.

ويمكن للإنسان التطلع على المعرفة لتحصيل الملكة في العلوم والمعارف المتباينة والمتنوعة من خلال الفكر الذي تميز به، وبذلك يكون قد حقق الحذق في علم من العلوم وما إلى ذلك.

وعودة إلى حديثنا عن علاقة العمران البشري (المجتمع) بالعلم، حيث يرى **ابن خلدون** أن العلم والتعليم طبيعيان في العمران البشري؛ لأن ما يتميز به الإنسان عن

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 319.

[2]- المرجع نفسه، ص:342.

الحيوان هو إعماله للفكر، كما ذكرنا ذلك سالفا، والذي من خلاله يتمكن الإنسان من تطوير كل مناحي حياته المادية والروحية والمعيشية.[1]

ومنه فنشأة الملكة كانت منذ الطفولة، أي من لحظة ميلاد الإنسان اللغوي، من خلال محيطه الذي يعيش فيه، حيث يقول: "لو فرضنا صبيا من صبيانهم، نشأ ورَبِيَ في جيلهم، فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها، حتى يستولي على غايتها، وليس من العلم القانوني في شيء وإنما هو بحصول هذه الملكةٍ في لسانه ونطقه".[2]

وعليه فمن ترعرع ونشأ في بيئة غير بيئته، فبذلك يستطيع أن يحكم قوانينها وقواعدها، ويصل إلى مراده وهدفه وهو حصول ملكة في ذلك اللسان، لأنه نشأ بين أحياءهم وكلامهم، وصار نطقه وكلامه مثلهم.

أي أنه صارت له ملكة على نحو كلامهم وبذلك فنفسه استولت على تحقيق تلك الغاية.

- كما لا يفوتنا الإشارة إلى أن الملكة اللسانية لا تتم بطريقة عشوائية، وإنما تخضع لمبدأ التدرج في فكرة التعلم، ويقدم في ذلك **(أبو خلدون ساطع الحصري)** في شرح ذلك بأن الملكات من المنظور الخلدوني، تستند إلى مبدأ نفسي عام إذ أن كل فعل – ماديا أو معنويا، فكريا كان أو بدنيا_ لابد من أن يترك أثرا في النفس، فإذا تكرر الفعل ارتسم أثره في النفس، تولد من ذلك صفة، ثم تتجسد تلك الصفة، فكونت ملكة، وبذلك فهي تنمو شيئا فشيئا على التدريج، تبعا لهذا التكرار فكأنها تتغذى به وبذلك تقوى منه.[3]

لقد ذكر **(عبد السلام المسدي)** من خلال ما جاء به عن نظرة **ابن خلدون** للملكة اللسانية، حيث يقول في هذا: "بأنّ **ابن خلدون** أول ما يتقرر لديه في هذا المضمار أن

[1]- ينظر: البخاري حمانة: الموسوعة التاريخية للشباب (ابن خلدون)، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ص:100.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة بن خلدون،ص:483.

[3]- ينظر: أبو خلدون ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص:424.

الملكة في الحدث اللساني تستند إلى حصوله كلاًّ لا يتجزأ، أي أنّ ممارسة الإنسان للغة بالملكة تنفي عنه أن يكون واعيا بانفصال مفرداتها عن تراكيبها، وهو ما يُنمّ عن بصيرة عميقة عند صاحب المقدمة في أمر الظاهرة اللغوية مما يلحق الاكتساب عن طريق المنشأ الطبيعي بقوانين الإدراك الشمولي حيث يعي الإنسان الكلَّ دون أن يكون حتما قد وعى أجزاءه".[1]

ونستشف ممّا أورده **(عبد السلام المسدي)** عن نظرة **ابن خلدون** للملكة، حيث يُعنى بالتراكيب وما لها من قيمة من الإفادة في كمال المعنى، وأن تمام الملكة يكون بنظرته لهذه التراكيب التي تحدد دلالة المقاصد عند الإنسان.

فكما فهمنا من خلال ما أوردناه سابقا بأنّ الملكة خارجية قابلة للملاحظة؛ أي أنّها ذات بعد بيولوجي. حيث يقول صاحب المقدمة: "والملكات كلها جسمانية، سواء كانت في البدن أو في الدماغ، من الفكر وغيره، كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة، فتفتقر إلى التعليم".[2]

يعني أنّ الملكة ذات بعد محسوس قابل للملاحظة والتجريب مرتبطة بالذهن/ النفس أي الدماغ / البدن. أي أنّها تقصر عملية التعليم إذا لم تكن ذا وصل بالعالم المحسوس.

فمن خلال ما أوردناه سابقا **فابن خلدون** يرى بأن عامل الزمان هو الكفيل بإخراج الملكة من القوة إلى الفعل ويكون ذلك بالتدريج شيئا فشيئا، أي قليلا بقليل، بالإضافة إلى عامل الحضارة والتطور فذلك داعي إلى استعمال الصنائع واستنباطها من الجزء إلى أن تصل إلى الكل، وبالتالي فاللغة إذن ظاهرة فكرية إنسانية وهو ما يتميز به.

[1]- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، 2، 1986، ص:216.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص:342.

ونجد **ابن خلدون** يربط اللغة بالصناعة وجعلها مثيلة بها، حيث يقول في هذا السياق: "أن الألسن واللغات شبيهة بالصنائع... وأن الصنائع وملكاتها لا تزدحم، وأن من سبقت له إجادة في صناعة فقلّ أن يُجيد أخرى أو يستولي فيها على الغاية".[1]

شبّه **ابن خلدون** اللسان واللغة بالصناعة، وأنها لا تجتمع وإن اجتمعت فلا تكون بقدر إجادة الأولى، وبالتالي لم يتحقق الهدف في الوصول إلى تلك الملكة.

ويقرّ **ابن خلدون** من خلال ما جاء به في مقدمته بأن: "الملكاتُ اللسانيةُ كلها إنّما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم، حتى يحصل شبه في تلك الملكة".[2]

حيث أنّه يرجع إلى أن الملكات اللسانية تكتسب بالمران على الكلام وإجادته حتى يمكن أن تحصل تلك الملكة وتكون مثيلة للأولى.

كما يبيّن لنا طريقة تحصيل الملكة اللغوية (اللسانية) من المجتمع لا من القواعد، فإذا كان المجتمع سليما لغته ولسانه؛ فإنّ التعلم بطبيعة الحال يكون منه تلقائيا كما كان في المجتمع العربي القديم قبل الاختلاط.[3]

يعدّ **ابن خلدون** رائدا من روّاد الفكر اللساني في الحضارة العربية، وينظر إلى التعليم من ناحية اجتماعية وحضارية وتاريخية... ويربط الملكة بالصنائع، حيث يقول في الفصل السابع عشر المعنون بـــ: في أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته من المقدمة: "وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ، واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة".[4]

وهو بذلك يرى بأنّ على حسب العمران تكون الاستجادة في مختلف الصنائع، لتوفر عناصر الغنى والثراء في جميع النواحي.

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون، ص:488.

[2]- المرجع نفسه، ص:489.

[3]- ينظر: حسين بن زروق: النظريات العربية حول حصول ملكة اللغة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1985-1986، ص:183.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص:344.

يشير لنا في السياق نفسه إلى أن الصنائع تكثر بكثرة العمران، وتقل بقلتهم وذلك في قوله: "أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار على نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة والترف، تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة، لأنه أمر زائد عن المعاش".[1]

يعني أنه لم يتحقق الأمن والاستقرار في مختلف المجالات الحياتية لدى الإنسان، فبطبيعة الحال يتجه إلى صناعات متباينة من أجل الحصول على الحذق في تلك الفنون المتناولة بغية الحصول على تلك الملكات؛ لأجل إنارة فكره واتزان عقله. وعليه فابن خلدون يقول في هذا الصدد: "وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية، تزيد الإنسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس، إذ أنّ النفس تنشأ بالإدراكات وما يرجع إليها من الملكات فيزدادون بذلك كيسًا لمّا يرجع إلى النفس من الآثار العلمية، فيظنه العامي تفاوتا في الحقيقة الإنسانية وليس كذلك".[2]

يتبين من ذلك، أن **ابن خلدون** يتحدث عن الملكة، وهي تلك الصفة الراسخة في النفس الإنسانية، حيث تزيد في الإنسان الفطنة والحذق في تحصيل تلك الملكات وتحسن هذه الملكات بكثرة الطلب لها، حيث يقول: "أنّ الصنائع إنّما تستجاد إذا احتيجَ إليها وكثُرَ طالبها".[3]

تزيد الملكات والصنائع بكثرة طالبها وتحصل الإجادة والاستقامة فيها، لما تكون الحاجة لها، وكذلك فإنه بضعف الأقاليم ونقص مجتمعاتها، وقلّة طالبها، فذلك بالتالي يؤدي إلى ضعف وقلة الصنائع من خلال قوله: "فإذا ضَعُفَت أحوال المصرَ، وأخذ في الهرم بانتقاض عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف، ورجعوا إلى الاقتصار على الضروري

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون،ص:344.

[2]- المرجع نفسه، ص: 344.

[3]- المرجع نفسه، ص:318.

من أحوالهم، فتقلّ الصنائع التي كانت من توابع الترف... ولا تزال الصناعات في التناقص ما زال المصرُ في التناقص، إلى أن تضمحل".[1]

يرى **ابن خلدون** بأنه إذا آلت الأقاليم والمدن والدول إلى التراجع، ووقوع الخراب والفساد فيها، فذلك بطبيعة الحال يعود على الصنائع، حيث أنها تؤدي إلى ضمور الصنائع واختفائها، وتضمحل تلك الملكات دون تحصيلها. وذلك لعدم وجود حياة الترف والغنى. لأنها من أسباب تزايد الصناعات والملكات، يعني أنه إذا كانت هناك حياة مستقرة من الترف... وما إلى ذلك فبالتالي يكثر العمران ويزيد من ساكنيه، فهذا يؤدي إلى التزايد في الصناعات، وتكمل إجادتها.

وهو ما يؤكده في قوله: "وإذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها؛ فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها".[2]

ويعني ذلك أنّه بتزايد الترف يزيد العمران، وبتزايد العمران يتزايد ويكثر ساكنوه وبتزايد الساكنين تتزايد الصنائع، وعليه تحصل الإجادة في مختلف تلك الملكات وبالتالي لا يمكن أن تنتقض أو تختفي. كما أشار **ابن خلدون** إلى فكرة النزوع الديني وربطها بفكرة الإيمان التي تستقر في النفس حيث تظهر في ثنايا المقدمة تلك النزعة الدينية لصاحب المقدمة وقوة الإيمان فيه، من خلال ختامه لمواضع بآيات قرآنية وغيرها، فكما قلنا فالملكة تلك السجية المركوزة في النفس. وفي هذا يقول **ابن خلدون**: "أن ملكة الإيمانٍ إذا استقرّت، فإنها تحصل بمثابة الجبِّلة والفطرة".[3]

يعني أنّه لمّا تتجسد ملكة الإيمان في النفس يعسر عليها معارضتها ومناقضتها، حيث أن الملكات لما تترسخ فإنها تكون وكأنّها طبيعية.

---

[1]- المرجع السابق،ص:318.

[2]- المرجع نفسه، ص:316.

[3]- المرجع نفسه، ص: 366.

يرى **ابن خلدون** بأن الملكة تفيد صاحبها بتنوير عقله وقوام فكره، حيث يورد ذلك في "فصل العلوم الهندسية" من خلال قوله: "واعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله واستقامة في فكره، لأن براهينها كلها بنية الانتظام جلية الترتيب، لا يكاد يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيع".[1]

ومعناه أن ملكة الهندسة صفة راسخة في النفس الإنسانية، حيث تزيد في العقل نورا ويستقيم الفكر فيها، وأن العمل على هذه الملكة يجعل الفكر ينأى عن الخطأ لوضوح دلائلها نظما وترتيبا، وبذلك يكون له عقل متميز على هذا المقياس.

يؤكد **(أبو خلدون ساطع الحصري)** بأنّ **ابن خلدون** في فصل علم الكلام يشبّه العقل بالميزان، من خلال قوله: "العقل ميزان صحيح...".[2]

العقل هو العامل الأساس الذي يمكن من خلاله التمييز بين ما هو صحيح وخاطئ وناقص وكامل، ومستقيم أو منحرف.. فهو بطبيعة الأمر ميزان صحيح عادل يتميز به الإنسان عن البقية من الكائنات الأخرى.

تحدث **ابن خلدون** عن فكرة السجية الراسخة التي تكتسبها النفس، حيث وسع فكرته بالإحالة إلى ملكة الكتابة التي تساعد الإنسان في التعبير عمّا يختلج النفس الإنسانية، والإحاطة بجميع المعاني، مما يكسب ذلك زيادة وإفادة للعقل، حيث أن الكتابة مفيدة من جميع النواحي خاصة وأنها تشتمل على المعارف والعلوم المختلفة والمتنوعة، كما ينظر **ابن خلدون** إلى اللغة والملكة نظرة تاريخية، فهما تحاكيان المجتمع في تغيراته: الحضارية، الاجتماعية، السياسية....

ومنه فقد ركّز على ماهية الكتابة في تطوير الملكة اللسانية عند المتعلم وبالأخص الطفل في مرحلة النشأة.

---

[1]- المرجع السابق، ص:398.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص: 364.

يكتسب المرء الملكة بصورة طبيعية تلقائية من البيئة التي ترعرع فيها، فمثلا العربي الذي يتكلم العربية فبالتالي ملكته اللغة العربية وذلك من خلال التداول واستعمال اللغة العربية في ما بينهم بغية التواصل والإبلاغ والتبليغ لتصبح بذلك صفة راسخة – وبذلك يصطلح مصطلح "الذوق" وهو الذي بدوره يعرف المتكلم الصواب والخطأ، ويظهر ذلك بشكل طبيعي، حيث يقول: "... اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان... وإن سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى، مجّه ونبا عنه سمعه بأدنى فكرٍ، بل وبغير فكر، إلا بما استفاده من حصول هذا الملكة".[1]

العرب بطبيعتهم ملكوا اللغة العربية، فإن تكلم أو سمع كلا ما غير الكلام المستقر والراسخ في أذهانهم بالجبَّلة، فإنه بطبيعة الحال لا تستسيغه الأذن ولا تطرب له النفس، فهو يعرف الصواب من الخطأ، والحسن من القبيح...

كما يذهب **ابن خلدون** إلى أن ملكة الشعر وتحصيلها تثير النفس وتوقظ نشاطه الفكري، ولإحكام هذه الملكة لابدّ من معايير حتى يمكنه النسج على منوال العرب القدامى وما تتركه من أثر في النفس وتتكيف معها وينتقش فيه روح الإبداع والابتكار مما يزيد في الجمال والرونق فيصبح مهيئ لنظم الشعر ويستحكم ملكته لتكون بذلك صفة راسخة، وأن عملية الإبداع عند الشاعر فهي ليست مفاجئة له فلما تنشط القريحة لدى الشاعر ويستطيع بذلك أن ينسج وينظم شعرا ويتم تحصيله لتلك الملكة وكأنها مطبوعة في نفسه.
وعلى هذا: "فالشعر عبارة عن هيئة راسخة في النفس شبيهة بملكة اللغة... وإذا كان لابدّ من اعتبار الشعر ملكة لغوية أعني بنية نفسية عصبية تتشكل بحفظ الكلام الشعري فهو على كل حال ملكة الملكات إن صح التعبير، لأنّ صاحبها يصبح بمنزلة الواضع للغة والمجدد لتراكيبها".[2]

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص:483.

[2]- محمد الصغير بناني: البلاغة والعمران عند ابن خلدون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص:178.

يعني أنّ ناظم الشعر له من الصفة كمن لديه ملكة لغوية (لسانية)، فهو سجية وصورة متجسدة في النفس الإنسانية تماثل ملكة اللغة. فهو يأتي بتراكيب جديدة مستقاة على القالب الشعري المحفوظ والمنسي للشعر العربي القديم الفصيح البليغ وما تركه من أثر في نفسه وبذلك يبدع الشاعر في نظم الشعر من خلال تفجير قريحته للإتيان والحصول على هذه الملكة وكأنّها طبيعية عفوية.

ومن الأمور التي توضح لنا بصورة جلية مفهوم الملكة هما: المراحل التي تكون الملكة اللسانية عند ابن خلدون والعوامل المؤثرة فيها.

المطلب الأول: مراحل تكوين الملكة اللسانية عند ابن خلدون:

ركّز **ابن خلدون** على مفهوم الملكة اللغوية (اللسانية)، حيث تناولها بعناية فائقة في ثنايا مقدمته. وقد شكلت بؤرة اهتمامه، إلاّ أنّ هذا لا ينفي من أنّه قد أغفل النظر عن مراحل تكوينها وسيتبيّن ذلك من خلال ما سنورده عن هذه المراحل وفق التقسيم التالي:

- السماع.
- التكرار والممارسة.
- الترسيخ.

يأخذنا الحديث إلى الإشارة أن الملكات صفات في النفس تترك أثرا فيها. وفي ذلك يقول: "الملكات صفات للنفس وألوان".[1]

يعني أن الملكات صفات تتصف بها النفس، وتتنوع من واحدة إلى أخرى، ويعلل **(أبو خلدون ساطع الحصري)** عن قول **ابن خلدون** بأن الملكات صفات للنفس، والنفس إذا اتصفت بصفة ما، يصعب عليها أن تتصف بصفة مغايرة، ولا سيّما إذا كانت هذه الصفة مخالفة لأولاها تماما، أي أن النفس تتلون بملكات، فإذا تلونت بلون من الألوان يصعب عليها قبول لون آخر، غير اللون الأول، وهذا ما نؤكده بقول **ابن خلدون** في هذا السياق:

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 319.

"... فإذا تلوّنت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعدادُ باللون الحاصل من هذه الملكة، فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف".[1]

يتضح من ذلك أنّه لمّا ترسخ ملكة في نفس الإنسان فإنّه لا يستطيع ترسيخ ملكة أخرى، وإن استطاع فلا تكون بنفس إجادة الأولى وبنفس القابلية الفطرية؛ لتكون بذلك ملكة متجسدة في النفس. ويضرب مثلا حول ذلك في أن من أحكم ملكة الخياطة يعسر عليه بعد ذلك إحكام ملكة النجارة أو البناء لأنها تجتمع دفعة واحدة.

وكذلك فإنّ تكوين الملكات عند **ابن خلدون** يظهر جلياً من خلال كل ملكة وكيف تنشأ، وعن كيفية ترسيخها في النفس، وما تتركه من أثر فيها. من خلال قوله: "الملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر، وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسيل، والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار، والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها.. والتصوفية الربانية بالعبادات والأذكار.. حيث تحصل له ملكة الرجوع إلى حسه الباطن وروحه، ... وللنفس في كل واحد منها لون تتكيف به، وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءةٍ تكون تلك الملكة".[2]

أي أنّ الملكة تختلف مجالاتها من شخص إلى آخر حسب تخصصه فمجال الشعر غير مجال الكتابة... وغيرها من المجالات.

نعود إلى موضوعنا، وهو التبصّر بمراحل تكوين الملكات لدى **ابن خلدون** حيث نلج إلى أول مبدأ وهو **"السماع"**، فإذا امتلك الواحد ملكة واستولى على ناصيتها، فهو بذلك قد تمكن من تحصيل ملكة لسانية حيث يقول: "السمع أبو الملكات اللسانية".[3]

حيث أولى أهمية كبيرة للسماع من خلال فعل المشافهة التي تكتسب بها الملكة اللسانية العربية، إلى أن دخل الأعاجم الإسلام، واختلطت الشعوب في ما بينها، عربي

---

[1]- المرجع السابق،ص:319.

[2]- المرجع نفسه، ص:496.

[3]- المرجع نفسه، ص: 470.

أعجمي، مما أدى إلى فساد ملكة اللسان العربي، بعد أن كانت تكتسب من أفواه العرب بالمشافهة والمحاورة، حيث كان العربي يتكلم بالسليقة دون لحن، أو غلط، ومن أخطأ في لغته اعتبر ذلك عيبا كبيرا يُتعيّر به، فكما قلنا بأن الأعاجم لما دخلوا إلى الديانة الإسلامية، استدعى بهم الأمر إلى تحصيل ملكة اللسان العربي، فبطبيعة الحال استصعب الأمر عليهم، لأن اللغة العربية بحر زاخر ببيانها ومعانيها وبديعها.

كما يفسّر ذلك **ابن خلدون** بأنّه من كانت له ملكة نشأ عليها فإنّه بطبيعة الحال يستعسر عليه الأمر في تحصيل ملكة أخرى وبالتالي يقصّر فيها حتى وإن امتلكها فتكون ناقصة.

ويعلّل ذلك من خلال ما جاء في قوله: "... فإذا سبقت إلى محله ملكة أخرى، قصرت بالمحلِّ عن تمام الملكة اللاحقة لأن قبول الملكات وحصولها للطبائع التي على الفطرة الأولى أسهل وأيسرُ، وإذا تقدمتها ملكة أخرى كانت منازعة لها في المدة القابلة وعائقة عن سرعة القبول، فوقعت المنافاةُ وتعذّر التمامُ في الملكة".[1]

يعني أنّه لمّا تتجسد ملكة في نفس الإنسان فإنّه يصعب عليه ترسيخ ملكة أخرى؛ لأنّ الأولى تكون بالفطرة وبالتالي سهلة وبسيطة، أمّا في تحصيل الملكة الثانية فتكون صعبة التقبل وفيها من القصور في عملية تحصيلها ويتعذّر كمالها، وسبب الاختلاط بين الأمم والشعوب المختلفة، مما أدى إلى فساد الفصحى، وتأثيرها على اللسان العربي؛ لأن العرب كانت تنطق بالجبِّلة متبعة في ذلك المشافهة والمناظرة. حيث يقول في هذا الصدد: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم، كما يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصَبِّيُّ استعمال المفردات في معانيها، فيُلَقَّنُها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيُلَقَّنُها كذلك ثم لا يزال

[1]- المرجع السابق، ص:488.

سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم".[1]

ملكة اللغة العربية كانت تكتسب بالسماع من أهل العرب وذلك من خلال أساليبهم ومحاوراتهم، حيث يسمع الألفاظ المفردة ثم التراكيب ويتعلمها، إذ أنه تتطور في كل مرة عند كل متكلم بالتكرار والمران لتكون بذلك عندهم ملكة متجسدة فيهم وكأنها طبيعية عفوية.

فحسب **ابن خلدون** فإن السمع أبو الملكات اللسانية: "إذ هو الحاسة الحساسة التي تؤثر في اللسان، إذ سرعان ما تؤثر في الألسن المختلفة فتتزاوج اللغات ويتداخل بعضها في بعض".[2]

فهو يرى بأن حاسة السمع هي التي تؤثر في اللسان بصفة عامة، وفي اللسان العربي بالخصوص. وبذلك تتمازج وتتداخل اللغات في ما بينها.

يكتسب الطفل اللغة من خلال ما يسمعه من محيطه الطبيعي الذي يعيش فيه؛ أي أن: "الذي يحصل عليه الطفل في المراحل العمرية الأولى من خلال بيئته هو (اكتساب الملكة) خاضع للتقليد الناتج عن السماع".[3]

حيث تتحدد طريقة السماع باعتبارها جزء مهما في الملكة اللغوية وأنها تزيد فيها الجودة والنقاء أيضا.

يتحدّث **ابن خلدون** عن الصفة الراسخة التي تكتسبها النفس جرّاء "التكرار والممارسة" وهو ثاني مبدأ في تكوين الملكة عنده، حيث يقول في ذلك: "والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته".[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص: 477.

[2]- سالم العلوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، ص: 141.

[3]- باسم يونس البديرات: علوم اللسان العربي في مقدمة ابن خلدون،(دراسة لغوية معاصرة)،الأكاديميون للنشر و التوزيع،عمان ،الأردن،ط1، ص: 78.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 315.

حيث ينظر إلى الملكة على أنها سمة متجسدة في النفس، تمكن الإنسان من القيام بالعمل العائد إليه، من خلال تكراره وممارسته لترتسم تلك الصورة فيه . فالملكة عنده تكتسب بتكرار الأفعال والمران عليها لتجسيدها في النفس لتصبح صفة راسخة.

أمّا المعيار الثاني الذي يمثل فعل "**الممارسة والمران**" على تكرار الفعل، حيث يرى بأن: "الأفعال الاختيارية كلها ليس شيء منها بالطبع، وإنما يستمر بالقدم والمران حتى يصير ملكة راسخة".[1]

وطريقة انتقاء الأفعال ليست أشياء مجبولة وفطرية في الفرد، و إنّما من خلال ممارستها والتدرب عليها ومع الوقت تصبح صفة متجسدة في النفس الإنسانية.

ويؤكد **ابن خلدون** ما جاء به من أن حصول الملكات يكون بتكرار الأفعال وتتابعها والاستمرار دون الانقطاع في قوله: "الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكرره".[2]

يتسنّى لصاحب الملكة تكرار الفعل واستمراره، وذلك من خلال الاعتياد عليه وذلك يكون بالمران والممارسة لذلك الفعل لترسيخه في الذهن، وترك أثر في النفس. مؤكدا ذلك بقوله: "إنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب".[3]

أي أنه للحصول على الملكة لابدّ من تكرار كلام العرب ثم المران عليه والتدريب من خلال التداول، وبذلك يتعود اللسان على ممارسة اللسان العربي، ليتمكن من التصرف فيه وقدرته على التحكم وفقا لمنوال العرب، وذلك لأن "مبدأ التكرار يقوم على الحفظ وهو أساسي في عملية الإنتاج والفهم والتأويل باعتباره من المصادر الأساسية في عملية التواصل الإنساني، فالنسيج على منوال مشترك بين المتخاطبين يمكن المتكلم من بناء ملكة لسانية ثرية بمصادرها الاجتماعية".[4]

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون:مقدمة ابن خلدون، ص:456.

[2]- المرجع نفسه، ص:459.

[3]- المرجع نفسه، ص:484.

[4]- خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص:161.

يعني أنّ التكرار يساعد في عملية توليد المفردات والجمل وبطبيعة الحال فهمها واستيعابها وكذلك استقراءها واستنباطها؛ لأنه يمكن المتكلم من تحصيل ملكة لسانية للتواصل فيها داخل المنظومة الاجتماعية، حيث يرى ابن خلدون بأنّ: "الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأنّ الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار ملكة أو صفة راسخة".[1]

يركز **ابن خلدون** على مبدأ التكرار والممارسة حيث يعده الركيزة الثانية في تحصيل الملكات لأنّه من خلال التكرار والزيادة في التكرار تصير ملكة وصفة متجسدة، وهو ما يجعلنا نقف على مبدأ آخر وهو "الترسيخ" فهو: "نتيجة لمنوال سابق استقر في الذاكرة الاجتماعية، وعلى المتكلم أن يرسخه في ذهنه حتى ينسج عليه".[2]

يتضح أنّه بعد تكيف النفس ممّا اكتسبته سابقا، وما تبقى من أثر في الذهن، وما انتقش من أسلوب فيها، ممّا يجعل الذهن والنفس ترتسخ فيها الملكات وعلى ذلك القالب يبني ملكته، فمثلا: نجد ناظم الشعر لابدّ له من سماع وحفظ كلام العرب وبالتحديد ديوانهم، وتكراره لمرات عديدة، ثم نسيانه بالمرة، ولكن يبقى في النفس ذلك الأثر والذي من خلاله يستطيع أن يحكم ملكة الشعر وبذلك تكون صفة راسخة، وهو أيضا ما نجده عند تحصيل ملكة الكتابة... وما إلى ذلك، فلابدّ من استقرار الملكة في النفس حتى تكون صفة راسخة، حيث يقول في هذا السياق: "أن الملكات إذا استقرّت ورسخت في محالّها ظهرت كأنّها طبيعية وجبِّلة".[3]

ويعني بأنّه لمّا تتجسد الملكات وتبقى في مكانها مستقرة دون تغيير تصبح وكأنّها فطرية طبيعية، ف**ابن خلدون** ينفي بأنّ العرب كانت تتكلم بالسليقة وذلك بين في قوله:

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 476.

[2]- خليفة الميساوي:المصطلح اللساني و تأسيس المفهوم، ص:162.

[3]- المرجع السابق، ص: 483.

"..كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك، وإنّما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنّها جبِّلة وطبع".[1]

ويتضّح من خلال ذلك أنّه لمّا يتم تأليف الكلام ويتمكن المتكلم من القدرة على التحكم في اللسان والتصرف فيه بذلك تكون به صفة راسخة في النفس فتظهر وكأنّها طبيعية فطرية وبالتالي تكون له ملكة لسانية من خلال حفظ كلام العرب الأوائل وتكراره ثم ممارسته ليرتسخ في النفس وبذلك يتمكن الفرد من استحكام ملكته ورسوخها. حيث يقول **ابن خلدون** في هذا الموقف: "... ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم، وبالإكثار منه تَستحكم ملكته وترسخ".[2]

وعليه فإن استمرار الأفعال وتتابعها وعدم انقطاعها، وممارستها من خلال تكرار المحفوظ المتخير والإكثار منه هو ما يجعل الملكة راسخة من خلال تقويتها وتغذيتها وبذلك تكون صفة راسخة في النفس- الذهن بالأخص.

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في الملكة اللسانية.

الملكة اللسانية صفة إنسانية وبذلك فهي عرضة لأحداث تؤثر فيها، ومن بين هذه الأسباب المؤثرة في الملكة اللسانية عند **ابن خلدون**، حيث تعددت عدة عوامل، أهمها:

1- الاختلاط وفساد الملكة: هو عامل من العوامل التي بدورها تؤثر في اللغة، حيث يرى ابن خلدون أنه سبب واضح في فساد الفصحى لدى العرب، وذلك بامتزاج غير العرب بالعرب، واللغة الفصحى عند **ابن خلدون** هي لغة مضر، وفي هذا يقول: "اعلم أن ملكة اللسان المضريّ، لهذا العهد، قد ذهبت وفسدت".[3]

يعني اختلاط العرب بالأعاجم سبب في ظهور لغة تباين اللغة العربية الفصحى (مضر) وفي نفس السياق يقول أيضا على هذه اللغة بأنّها: "أبعدُ عن اللسان الأول من لغة

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون:مقدمة ابن خلدون،ص:383.

[2]- المرجع نفسه، ص: 492.

[3]- المرجع نفسه، ص:481.

هذا الجيل؛ فلأنّ البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة، فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد، لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم، وهذه ملكة ممتزجة عن الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم، فعلى مقدار ما يسمعونه من العجمة، ويربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى".[1]

يعني أنّه من خلال التداول والتخاطب في المدن بين أهل شعوبها، بسبب الامتزاج والاقتران للشعوب بعضها ببعض، ممّا أدى إلى فساد ملكة اللسان العربي (المضري) وانقلابها إلى لغة أخرى مغايرة لها؛ لأن الملكة اللسانية إذا اختلطت بملكة أخرى فبطبيعة الحال تكون ملكة بين الأولى والثانية وبالتالي تنأى عن الملكة الأولى.

حيث يقول أنّه : "فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم، وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل، صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب، فيعبّر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم".[2]

يتضح من خلال قول **ابن خلدون** أن سبب فساد ملكة اللسان العربي هو الاختلاط بالأعاجم، مما أدى إلى ظهور لغة مخالفة للغتهم، لأنّ العرب كانت تكتسب ملكتها اللغوية (اللسانية) بالمشافهة والمحاورة، أي من خلال السماع من أفواه العرب الأقحاح، وبذلك لما اختلطوا بالعجم أصبحوا يسمعون مقاصد ودلالات الكلام بأسلوب غير أسلوب العرب الذي ولج إليها اللحن والغلط وبالتالي آلت إلى التغيير والاختلاف فيها.

فانتشار الإسلام في مختلف بقاع الأمصار (العالم)، أدى إلى دخول الأعاجم في الدين الإسلامي، وبذلك تأثرت الملكة اللسانية مما أدى إلى فساد ملكة اللسان العربي.

ومنه فإن امتلاك فرد لملكة لسانية غير ملكته الفطرية الطبيعية، فإنه لا يستطيع تحصيل ملكة أخرى بنفس إجادة الأولى، حتى وإن علم بتلك القوانين والأحكام التي تضبط ملكة ذلك اللسان.

---

[1]-ه المرجع السابق، ص: 480.

[2]- المرجع نفسه، ص:477.

2- تزاحم وامتزاج الملكات: يعد ثاني عامل من العوامل التي تؤثر في حصول الملكة اللغوية (اللسانية)، حيث يقول **ابن خلدون** في هذا الصدد: "الملكات صفات للنفس وألوان، فلا تزدحم دفعة".[1]

فهو يرى بأنّ الملكات الموجودة في النفس والمتنوعة فيها والمؤثرة عليها، لا تجتمع جملة واحدة، ذلك أن النفس لا يمكنها أن تتسع إلا لملكة واحدة، وحتى وإن قبلت ملكات أخرى فلا تكون بنفس درجة الإحكام كما للأولى.

يؤكد **ابن خل**دون ما سبق، حيث يقول: "فقلَّ أن تجد صاحب صناعة يحكمها، ثم يحكم من بعدها أخرى، وبكون فيهما معا على رتبة واحدة من الإجادة".[2]

يتضح أنّه لا يمكن أن تكون ملكتين على نفس الموقع من الإحكام والإجادة لتلك الملكات الموجودة في النفس الإنسانية، مؤكدا بذلك بمثال أورده في ثنايا مقدمته، حيث يقول: "ومثال ذلك الخياط إذا جاء ملكة الخياطة وأحكمها، ورسخت في نفسه، فلا يجيد من بعدها ملكة النجارة أو البناء، إلا أن تكون الأولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها".[3]

يرى بأنه لا يمكن اجتماع الملكات؛ لأن الملكة صفة راسخة في النفس، فلا تستطيع أن تتجسد الملكة الثانية لأن الأولى قد ترسخت صبغتها في النفس، إذ يقول: "أن الصنائع وملكاتها لا تزدحم، وأن من سبقت له إجادة في صناعة فقل أن يجيد أخرى أو يستولي فيها على الغاية".[4]

ففي رأيه لا يمكن اجتماع ملكتين واجتماع إجادتهما بالدرجة نفسها، وإنما ضرورة وجود ملكة واحدة تحدد ماهية الفرد وتربطه بنظام اجتماعي محدد، وفي مجتمع تربطه علاقة التفاعل اللغوي والاجتماعي.

---

[1]- المرجع السابق، ص: 319.

[2]- المرجع نفسه، ص: 319.

[3]- المرجع نفسه، ص: 488.

[4]- المرجع نفسه، ص:ن.

المبحث الثاني: اكتساب اللغة عند ابن خلدون.

شغلت قضية الاكتساب اللغوي فكر **ابن خلدون**، فاللغة هي أساس التواصل داخل المنظومة الاجتماعية، هي ملكة طبيعية يكتسبها الإنسان، ولاكتسابها وتحصيلها لابدّ من طرق سندرجها في ثنايا عرضنا لمسألة الاكتساب اللغوي وأساليبه، حيث انطلق **ابن خلدون** في حديثه عن هذه الفكرة بقوله:

"أن اللغات لما كانت ملكات كما مرّ كان تعلمها ممكنا، شأن سائر الملكات".[1]

يتضح بأنّ اللغة عنده سمة إنسانية يكتسبها الإنسان بدون قصدية وبالتدرج.

وعليه فلاكتساب الملكة اللغوية (اللسانية) عنده وتحصيلها، من خلال قوله: "ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويرومُ تحصيلَها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولّدين أيضا في سائر فنونهم؛ حتى يتنزّل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره،... فتحصل له هذه الملكة".[2]

يرى **ابن خلدون** أنّه لتحصيل الملكة اللغوية (اللسانية) لابدّ له من حفظ كلام العرب وبخاصة كلام فحول الشعراء منهم، سواء أكان منظوما أو منثورا، حتى يستطيع أن تكون له ملكة لسانية يستطيع أن يتحكم ويتصرف فيها، وبذلك تصير ملكة وكأنّه نشأ بينهم وصار واحدا منهم.

كما يرى **ابن خلدون** أن اللغة تكتسب من خلال البيئة التي ترعرع فيها، ونشأ بين جماعة بشرية وبذلك تكون صلة وثيقة بين اللغة والمجتمع وبذلك يكون هناك تواصل اجتماعي وتتحقق غاية الإبلاغ والتبليغ، فهو يقوم بتقليد أهله وكلام السلف والسابقين لمساعدته في تكوين ملكته، فهو: "إذ قلّد فيها الآباء والمشيخة والأكابر، ولقن عنهم وعلى

[1]- المرجع السابق، ص: 481.

[2]- المرجع نفسه، ص: 481.

تعليمهم... ومن فقد العلم في ذلك والتقليد فيه أو أعرض عن حسن استماعه واتباعه، طال غناؤه في التأديب بذلك، فيجري في غير مألوف ويدركها على غير نسبة، فتوجد آدابه ومعاملاته سيئة الأوضاع بادية الخلل، ويفسد حاله في معاشه بين أبناء جنسه".[1]

ومعناه أنه لابدّ من اتباع الآباء والمشايخ وأولي الألباب وأهل العلم والمعرفة، وذلك بتقليدهم والسير على منوال كلامهم وأساليب حديثهم، أما من خالف وأعرض عن الاستماع الجيد واتباعهم بطريقة سليمة في التلقين فإنه يطول به الزمن في اكتساب اللغة وكذلك المعارف وبذلك يؤدي إلى انحراف ملكته اللغوية، ويقع فيها نوع من الخلل والاعوجاج، وهو ما يؤثر عليه بين أفراد مجتمعه إذ أنه لا يحقق وسيلة الاتصال بين جماعته البشرية في المعاملة وغيرها.

ومنه فمن خلال ما تبيّن لنا، بأنّ الملكات لمّا تتجسد في مكانها، فتظهر وكأنّها طبيعية فطرية موجودة في النفس، أما الذين قد غفلوا عن الأمر الصحيح بأنّ العرب لغتهم طبيعية وكانت تتكلم بالطبع فهو غير ذلك، وإنّما تكون ملكة لسانية إذا تجسدت وصارت في النفس وكأنّها طبع، فهو ينفي الرأي القائل بأنّ ملكة اللسان العربي طبع.

يذكر **ابن خلدون** بأنّ اللغة عملية مكتسبة بالممارسة والمران لتكون صفة راسخة في النفس وتكون بذلك طبيعية. حيث يقول بأنّ من: "يظُنُّها المشاهدُ طبيعية كما هو رأي كثير عن البُلداء في اللغة العربية؛ فيقولون: العرب كانت تعرب بالطبع وتنطق بالطبع، وهذا وهمٌ".[2]

يرى بأنّ كثير من الغافلين عن أمرهم في اللسان العربي يرون بأنّ العرب كانت تتكلم بالسليقة وتفصح بالسليقة، إلّا أنّ هذا الأمر عند **ابن خلدون** زيف ووهم ،أي من نسج خيالهم ولا أساس له من الصحة، فهو من خلال السماع وتكرار المحفوظ ثم ممارسته

[1]- المرجع السابق ، ص: 381.

[2]- المرجع نفسه، ص: 456.

والتدريب عليه وبذلك يتلقنه وتصير له صفة راسخة في النفس يستطيع التصرف والتحكم في تلك اللغة، فتظهر كأنها طبع وجبلة فيه.

ينظر **ابن خلدون** مؤسس علم الاجتماع إلى اللغة نظرة اجتماعية، وذلك أن الإنسان بطبعه اجتماعي، لا يكون إلا من خلال جماعته البشرية وأبناء جنسه ويكون هناك تواصل وتخاطب فيما بينهم، وذلك أنّ: "اكتساب الطفل اللغة جزء لا يتجزأ من عملية تطبيعه الاجتماعي والحضاري من نواح ثلاث أُولاها أن اللغة نفسها جزء من حضارة المجتمع، ولذلك فإن كثيرا من المفاهيم والعلوم والمهارات والمعتقدات وسواها تنتقل عن طريقها من جيل إلى آخر، وثانيتها أن اللغة واسطة تنتقل الأوجه الأخرى لحضارة المجتمع عن طريقها، أما ثالثها؛ فهي أن اللغة أداة يستخدمها الطفل لاكتشاف مجتمعه، ولتثبيت دعائم وضعه الاجتماعي ودوره في المجتمع الذي يعيش فيه بالنسبة لأدوار أعضاء المجتمع الآخرين".[1]

يكتسب الطفل لغته الطبيعية من خلال بيئته ومحيطه الذي يتواجد فيه، حيث أنه لا يستطيع العيش بمفرده، وإنما داخل منظومة اجتماعية يتخللها التفاهم والتواصل بلغة ذلك المجتمع، فاللغة عند **ابن خلدون** هي تلك التي تعبِّر عمّا يختلج النفس البشرية من أحاسيس ومشاعر وأفكار ومعاني متباينة بتباين المجتمعات للوصول إلى مقاصده ومتطلباته.

فعملية الاكتساب اللغوي عند الطفل مرتبطة بالجانب الاجتماعي والحضاري لها من خلال جوانب ثلاث وهي: الأولى بأنّ اللغة لها صلة عميقة بحضارة المجتمع إذ تنتقل بواسطتها الموروث الحضاري للمجتمع من جيل إلى جيل.

أما الجانب الثاني، فإن: اللغة همزة وصل ونقطة اتصال بين المجتمع وحضارته، وأما الناحية الثالثة فتكمن في أنّ اللغة وسيلة يستعملها الطفل في التعبير والتواصل بين الأفراد في مجتمعه الذي يقيم فيه، وبما أنّ: "اكتساب ملكة التواصل لا تعتمد على تطوير

[1]- نايف خرما: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها،عالم المعرفة،الكويت،1988، ص: 127.

قدرة لغوية أو تواصلية فطرية كامنة فحسب، بل أنها تأتي أيضا نتيجة عمليات من التواصل والتفاعل في ظروف ومقامات اجتماعية حضارية متعددة".[1]

يتبين لنا بأن عملية اكتساب ملكة التواصل، تكون من خلال التفاعل بين أفراد المجتمع للتواصل فيما بينهم في مواقف ومقامات مختلفة ترتبط بالجانب الاجتماعي والحضاري للغة، فهو بطبيعة الحال يؤدي هذا لتحصيل ملكة تواصلية تفاعلية لاكتساب اللغة وتطويرها من خلال تحقق وظيفة التواصل بين الجماعات البشرية.

فالمجتمع كما يرى **ابن خلدون** كائن حي ينمو ويتطور وبذلك فهو يشبه اللغة به؛ لأنها تتطور وتتغير بطول الزمن وتختلف باختلاف الأمكنة، وبهذا فإن اللغة ظاهرة اجتماعية وخاصية يمتاز بها الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى.

حيث يكون الطفل قادرا على اكتساب اللغة من خلال محيطه ومجتمعه، ويتحدث بها بشكل طبيعي، بغية التواصل والتعامل مع أبناء جنسه.

إذن من هنا تنطلق إلى عرض أهم الطرق والأساليب التي تساعدنا في عملية الاكتساب اللغوي، وتحصيل لغة طبيعية لغاية التواصل والتفاهم.

المطلب الأول: طرق اكتساب اللغة.

تمثل طريقة اكتساب اللغة داخل المجتمع مرحلة مهمة في الميدان اللغوي يعتمد فيها المتعلم عدة أساليب وطرق نذكر؛ منها:

أ- الاستعداد.

ب- كثرة الحفظ وجودة المحفوظ.

ج- الفهم.

د- التدريج.

ه- الاستعمال.

[1]- المرجع السابق، ص:ن.

أ- **الاستعداد:** لابد أن يكون هناك قابلية لاكتساب اللغة، واستعداد من جميع النواحي لاكتسابها، عقليا، ذهنيا، فطريا... وما إلى ذلك.

حيث يقول في هذا الصدد: "... ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه، حتى ينتهي إلى آخر...".[1]

وثمة ضرورة لوجود الاستعداد الفطري سواء كان جسديا أم ذهنيا، وكذا النفس لتقبل ما يسمعه من محيطه حتى يكتسب اللغة الموجودة في مجتمعه، والتهيؤ لقبول ما يتلقاه إلى آخر شيء.

ب- **كثرة الحفظ وجودة المحفوظ:** ركز **ابن خلدون** على أهمية الحفظ، وذلك بأنه جعله سبيلا لاكتساب الملكة اللغوية (اللسانية)، فلقد أدرك بأن الحفظ هام لتحصيل ملكة اللغة العربية، لأنه يجعل أثرا في النفس الذي من خلاله ينسج على منواله وذلك بعد نسيان ذلك المحفوظ والنأي عنه، والرسم على قوالبه؛ لأنه بطبيعة الحال قد رسخت تلك الملكة في نفسه وبذلك يمكنه اكتساب اللغة كأمر طبيعي.

حيث أنّه يولي اللغة العربية عناية كبيرة، حيث تمثل لديه لغة الإسلام ولغة العلم والحضارة، وفي ذلك يقول: "اللغة العربية بالنسبة لابن خلدون، ولا تمثل فقط لغة العلم والحضارة ولكنها تمثل كذلك لغة الإسلام الذي لا يمكن فهمه أو التفاعل مع مضمونه تفاعلا كاملا إلا من خلال هذه اللغة التي من خلالها تجلت عظمة الله".[2]

ومنه تعني أهمية الحفظ لدى **ابن خلدون** كثيرا، وذلك لمن أراد تحصيل الملكة لابد من حفظ كلام الله عز وجل وحديث نبينا الكريم ثم حفظ كلام العرب والسابقين، وذلك لمن يريد تحقيق الملكة اللسانية، فكثرة الحفظ لكلامهم تساعد في تحصيلها لأنه ينسج على

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 458.

[2]- البخاري حمانة: الموسوعة التاريخية للشباب (ابن خلدون)، ص: 70.

منوالهم. من خلال "ما وعاهُ وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة".[1]

ليتضح بأنّه من كثرة الحفظ وجودة ذلك المحفوظ لكلام العرب ومخاطباتهم المختلفة والمتنوعة من أساليب وبلاغة وبيان ونحو.. وما إلى ذلك، فهي تزيد في تجسيد الملكة وقوتها في النفس الإنسانية ويصبح وكأنه نشأ وربي بينهم لتكون له بذلك ملكة لسانية محكمة، حيث يقول بأنّ: "وعلى قدر المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلّته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ".[2]

ومن هذا المنطلق نفهم أنّه على حسب المحفوظ تكون إجادة ونقص الملكة، وإذ أنّه لمّا يكون المحفوظ قليل فهو غير كاف لتحصيل ملكة كاملة يستحكم فيها ويتصرف في لغته كأمر طبيعي، أما كثرة الحفظ وجودته تساعد في تحقيق ملكة لسانية قابلة للاستعمال بشكل عادي؛ يعني أنه بكثرة الحفظ يساعد الحافظ على اكتساب اللغة وامتلاك ملكته ويصير كأحد منهم فتكون له صفة راسخة فيه.

فجودة المحفوظ تزيد من رقي وتطور الكلام، لتكون بذلك الملكة الحاصلة ذو قوة، حيث أنها تتغذى وتنمو من خلال ارتقاء المحفوظ بالكثرة والجودة.

يعني أنه بجودة المحفوظ تكون جودة الاستعمال والاستخدام لها ذا أهمية بالغة،إذ أنّه كلّما كان استحكام الملكة جيدا تكون بذلك صفة راسخة من خلال كثرة الحفظ وجودته والاستعمال الجيد تكون ملكة لسانية ذا إجادة دون نقصان قد تصل درجة الكمال في استحكامها وامتلاكها.

ج-الفهم: لقد ربط ابن خلدون الحفظ بالفهم، حيث أنه لابدّ أن يفهم ما يحفظه حتى لا يكون ذلك المحفوظ بلا قيمة حتى يتسنى له تحصيل ملكة لسانية راسخة في النفس لاكتساب اللغة، حيث يقول: "هذا العلم –علم الأدب... وإنما المقصود منه عند أهل

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 481.

[2]- المرجع نفسه، ص: 495.

اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم؛ فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة، من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك، متفرقة، يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض من أيام العرب، يفهم ما يقع في أشعارهم منها....".[1]

نفهم من خلال قوله بأنّه لابدّ لتحصيل ملكة لسانية في علم من العلوم أو في لغة من اللغات فمثلا في اللسان العربي لابدّ أولاً تحديد فائدته وثمرته لذلك وهي قوّة الإجادة والاستحكام بخاصة في الشعر والنثر الجاري على أساليب العرب القدامى، وذلك بجمعه وحفظه وانتقاء الفصيح البليغ دون الرديء منه أو الفاسد الذي أثرت عليه العجمة، والبحث في قضايا أخرى في اللغة كالنحو وما إلى ذلك من الأمور المهمة، وفهم تلك الأحكام والقوانين والرجوع إلى ديوان العرب وفهمه، من خلال ما يقوله في هذا الصدد بأنّ: "المقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفّحه، لأنّه لا تحصل الملكة من حفظه إلاّ بعد فهمه، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه".[2]

يتضح أنّه عندما ننسج على منوال العرب فلابدّ أولا لتحصيل الملكة لابدّ من استيعاب ذلك المحفوظ وفهمه جيّدا، إذ أنّه يجب أن يعي ما بحفظه وينتقي الصائب والمهم من الرديء والفاسد، إذ أنّه لمّا يكون هناك فهم صحيح لذلك المحفوظ القيم فإنّه بطبيعة الحال تكون له ملكة لسانية حاصلة حيث أنّها تتوقف على أهمية فهم المحفوظ، والمعرفة التامة له، لأنّ استحكام وامتلاك الملكة لابدّ له أن يعي ويستوعب ما حفظه، وعلى قدر فهم المحفوظ، تكون الإجادة في تلك الملكة.

[1]- المرجع السابق، ص: 476.

[2]- المرجع نفسه، ص: 476.

د- **الاستعمال:** وهو كيفية استخدامه لتلك الملكة المستقاة من حفظه وفهم ذلك المحفوظ وكذلك اختيار ذلك المحفوظ، ويكون الاستعمال هو السبيل في زيادة الرسوخ والقوة لتلك الملكة، وفي هذا يقول: "وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا، ومن حصل على هذه الملكات، فقد حصل على لغة مُضَرَ".[1]

يكون اكتساب اللغة بكثرة الحفظ، وجودة المحفوظ والقدرة على انتقاء الجيد من المحفوظ ثم فهم واستيعاب ذلك المحفوظ لتكون الإجادة في تلك الملكة، وما يزيد في قوتها ورسوخها هو كثرة استخدامها ونسجها على منوال العرب سلفا؛ ليحصل على لغة العرب الفصحى (لغة مضر).

ه- التدريج: يقرّ **ابن خلدون** بأنّ اكتساب اللغة يكون تدريجيا، فالطفل يتدرج شيئا فشيئا في اكتسابها، أي جزء بجزء، قطرة بقطرة إلى أن يفيض الكأس بتحصيل اللغة (ملكة اللغة العربية)، حيث يقول في هذا السياق: "والملكات التي تحصل لها إنّما تحصل على التدريج".[2]

يتضح أنّ حصول الملكات يكون تدريجيا، فبطبيعة الحال، فاللغة صفة إنسانية يكتسبها الإنسان شيئا فشيئا إلى أن تصير صفة راسخة فيه، إذ أنه يبدأ بالقليل فالقليل إلى الكثير، ومن الجزء فالجزء للوصول إلى الكل... وهكذا. فاكتساب اللغة يكون بالتدرج إلى أن يصل وينتهي بتحقيق اكتسابه في الوصول إلى ملكة لسانية مستحكمة الأمور من جميع النواحي.

يكتسب الطفل لغته في مراحل نشأته الأولى، من خلال بيئته والمحيط الذي نشأ فيه وأنه لم "يقتصر ابن خلدون في حديثه عن اكتساب الملكة اللسانية خلال سماع لغة البيئة

[1]- المرجع السابق، ص: 481.

[2]- المرجع نفسه ، ص: 496.

على الطفل فقط، وإنما هي عملية تشمل الصغار والكبار، والمقصود من الكبار عنده أولئك الذين يضطرون للعيش في بيئة لا يتكلم أهلها لغتهم".[1]

وبناءٌ على ذلك فإنّ مسألة اكتساب اللغة عند **ابن خلدون** تكون وفق مبدأ السماع من لغة محيطه، وهي تضم الصغار والكبار، إذ أن الطفل فهو يتعلم لغته بشكل تلقائي من أهله وأفراد مجتمعه من أساليب وتراكيب ومعاني لإفادة المقصود من كلامه.

أما بالنسبة للكبار فمسألة تعلمهم اللغوي وذلك من خلال العيش في بيئة تلك التي يريد تحصيل ملكتها اللسانية، أو أن الذين يضطرون إلى العيش في محيط غير محيطهم فالضرورة تحتم عليهم تعلم تلك اللغة ومن خلال المخالطة والامتزاج بين أفراد تلك المنظومة الاجتماعية تساعدهم في تلقينها واكتسابها وفق المعيار السماع والحفظ وممارستها والتدريب عليها وفهمها فهما دقيقا وبعدها تأتي مرحلة الاستعمال وفيها يتبين أنه قد أحكم قوانينها وأسسها بغية التواصل والتداول بين أفراد المجتمع.

وبذلك يكون قد حصل على ملكة لسانية ترسخت وتجسدت في النفس والذهن بفعل تلك العوامل وتقليد القدامى في كلامهم وأسلوبهم والسير على منوالهم، حيث يقول: "... يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيُلقّنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيُلقّنها كذلك...".[2]

يعني أنّه لاستعمال اللغة بشكل مطلق، لابد من تخطي مراحل معينة حسب **ابن خلدون**، إذ أنه أولا يبدأ بمرحلة المفردات من خلال كيفية استقاءها واستخدامها في إفادة المعاني، فيتعلمها بالدرجة الأولى، ثم تأتي مرحلة تعلم الجمل والتراكيب وترابط الكلمات بعضها ببعض فيتعلمها، ومن بعد ذلك يحقق قدرة لغوية ثرية في تحصيله اللغة التي يتكلمها أثناء تواصله وتخاطبه مع أبناء جنسه في المجتمع الذي يعيش فيه.

[1]- باسم يونس البديرات: علوم اللسان العربي في مقدمة ابن خلدون، ص: 79.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 477.

كما أشار "**عبد الرحمن الحاج صالح**" إلى نفس المسار الذي سار عليه **ابن خلدون** بأن الطفل يكتسب اللغة وفق مراحل[1]،والتي سنعرضها من خلال الآتي:

1-اكتساب اللغة النطقية:

ومعناه أن الطفل يكتسب اللغة من خلال الأصوات اللغوية التي يسمعها بأذنه من كلام محيطه لا شعوريا، حيث تكون عملية الكلام لديه بالتدرج في النطق بما يعيه مما يسمعه؛ يعني أن السماع هو المسؤول عن اكتساب اللغة لدى الطفل وأولى المراحل هي: "المرحلة النطقية".

2-المرحلة السمعية:

يعني أنه بعد اكتساب الأصوات اللغوية من خلال محيطه الأسري، تأتي مرحلة تكوين الكلمات والعبارات المركبة، حيث تنمو مهاراته اللغوية بالمناغاة وتأليف الكلام يشتمل على كلمتين فأكثر.

3-مرحلة العلاقات البنوية وحسن ارتباط دلالتها:

فالطفل يكتسب اللغة بشكل تدريجي، حيث تنمو وتتطور قدراتها العقلية والفكرية وكذلك اللغوية من خلال وعيه لتلك العلاقات الموجودة بين الحروف والكلمات فالجمل، لينشئ بذلك كلاما مترابطا مفهوما حقق ثمرته وهي إفادة المتكلم لمقصوده.

- نخلص من خلال ما أوردناه سابقا في تحديد وجهة نظر **ابن خلدون** في توضيحه لمفهوم الملكة اللسانية، مسألة الاكتساب اللغوي، إلى أنها كانت نظرة اجتماعية، تاريخية حضارية... حيث حاول تبيين الملكة اللسانية وتأديتها، إذ أنه يرى بأن الملكة تكون بالتدريب والتمرن على شيء وتكراره وبالممارسة في استخدامها للتعبير عن أغراضه على حدّ تعبير "**ابن جني**"، حتى تكون صفة راسخة في نفس المتكلم، أما التأدية، فمتغيرة وغير متجسدة تسبق الملكة.

[1]- ينظر: أحمد بوعسرية: الملكة اللغوية عند (عبد الرحمن الحاج صالح) قراءة في تجليات المصطلح، مجلة الواحات، جامعة المدية، الجزائر، مج10، ع1، 2017، ص:7-9.

اكتساب الملكة اللسانية بالذوق، إذ من خلاله يتمكن من معرفة الصواب من الخطأ والفاسد من المستقيم، ومن ذا جودة على الرديء... وما إلى ذلك.

ليشير **ابن خلدون** في طيّات مقدمته إلى مراحل تكوين الملكة اللسانية وكذا العوامل المؤثرة فيها، وكذلك إلى قضية الاكتساب اللغوي وطرقه، ولا نريد إعادة الحديث عن ذلك، لأننا قد فصلنا في ذلك من خلال المبحثين السالف ذكرهما.

المبحث الثالث: مفهوم الملكة عند تشومسكي.

الملكة صفة مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد، والملكة سجية راسخة في الذهن، تمكن صاحبها من قوة الفهم وحسن التعبير عن المعاني المختلفة مع القدرة على الجمع والتفريق والتصحيح، وما إلى ذلك.

حيث يورد **ميشال زكريا** في مؤلفه:(الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية). في أن الملكة عند "**أفرام نعوم تشومسكي**" **(avram naom chomesky)** هي أن كل إنسان يعيش في بيئة معينة فهو يعبر بلغة هذه البيئة، وأنه بإمكانه فهم عدد لا متناه من جمل هذه اللغة وصياغتها حتى وإن لم يسمع بها قط ، وهذه القدرة التي يتسم بها الإنسان غير محدودة، حيث وبصورة عفوية تلقائية له مقدرة على فهم وصياغة الجمل في اللغة، أي له قواعد اكتساب اللغة، حيث أنه تمكنه من استعمال اللغة بصورة إبداعية خلاقة ومتجددة ومتطورة في آن واحد.

وعليه فالكفاية اللغوية (compétence) هي القدرة على إنتاج الجمل وفهمها في عملية تكلم اللغة، في حين أن الأداء الكلامي (performance) هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين.

كما تقوم القواعد على تحديد الكفاية اللغوية التي يمتلكها الإنسان والتي تتيح له أن ينتج ويفهم جمل لغته غير المتناهية. حيث أن وصف قواعد الكفاية العائدة إلى متكلم اللغة والتي تختلف عن الأداء الكلامي تقتضي حلها بما يسمى بالحدس اللغوي. ومن خلال هذا

الأخير يمكن أن نسميه هو مقدرة متكلم اللغة على إعطاء المعلومات حول مجموعة من الكلمات المتتابعة من حيث هي صحيحة أو منحرفة عن قواعد اللغة.[1]

يتبين لنا، بأن الملكة اللغوية تكتسب من المحيط الذي يعيش فيه الفرد ضمن جماعته البشرية، إذ أنه باستطاعته فهم واستيعاب عدد لا محدود من الجمل لتلك اللغة الموجودة في بيئة وإعادة بناءها، دون سماعه لها من قبل، حيث تكون له القدرة على ابتكار واختراع جمل لا نهائية تمكنه من استعمال اللغة بصورة عفوية من خلال القواعد الكلية التي تكون في لغته، حيث يقدم "**ميشال زكريا** تعريفا للكفاية اللغوية- حسب **تشومسكي (chomesky)** -بأنّها تلك: "المعرفة الضمنية باللغة".[2]

يعني هي تلك المعرفة الكامنة في ذهن الإنسان بقواعد لغته، وقدرته على فهمها ووعيه لها.

فكما نعرف الملكة صفة فطرية وهبها الله تعالى للإنسان وميّزه بها عن بقية المخلوقات، فهي خاصية إنسانية، إذ أن "كل إنسان له ملكة يمكن أن تطلق عليها اسم (ملكة الكلام) المقطع تقوم على أعضاء وعلى ما يمكن أن تحصل عليه من عملها ويتعذر استعمالها مباشرة إلا إذا توفر للمرء شيء آخر من الخارج هو اللغة... وهذه الملكة من جهة ثانية ليست كافية لوجود اللغة إذ لا يتصور وجودها على مستوى الفرد".[3]

يكتسب الإنسان ملكته اللغوية من محيطه المتواجد فيه، إذ أنه بطبيعة الحال فاللغة ظاهرة اجتماعية لها صلة وثيقة بالمجتمع، والفرد بطبيعته مهيأ للتكلم بكلمات وعبارات أي بكلام تقطيعي، فلابد أن يكون داخل منظومة اجتماعية يعيش فيها تجعله يتواصل مع أبناء جنسه، إذ أنه لا يمكنه استخدامها بشكل مباشر وفردي إلا في ظل الجماعة.

---

[1]- ينظر: ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986، بيروت، ص: 7-9.

[2]- المرجع نفسه، ص: 07.

[3]- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، ط1، 2009، اربد، ص:79.

ترى (**شفيقة العلوي**) من خلال ما أوردته في محاضراتها في المدارس اللسانية المعاصرة بأن مبادئ النحو التوليدي التحويلي (transformationnel générative grammaire) نجد الملكة والتأدية، حيث تقول في هذا الصدد: "إن الملكة (la compétance) هي المعرفة اللاواعية والضمنية بقواعد اللغة، التي يكتسبها الطفل منذ طفولته، وتبقى راسخة في ذهنه، فتمكنه فيما بعد من إنتاج العدد غير المحدود من الجمل الجديدة التي لم يسمعها من قبل، إنتاجا ابتكاريا، لا مجرد تقليد ساكن، ثم التميز بين ما هو سليم نحوي وغيره، إن هذه الملكة تتجسد في الواقع اللساني المادي من خلال المظهر الكلامي المعروف بالتأدية:(la performance)... فهي الاستعمال الفعال للغته في مواقف مادية وواضحة...".[1]

يتضح من خلال القول أن (compétence) و(performance) وجهان متكاملان من أجل الإنجاز الفعلي اللساني (أي الكلام)، حيث أن الأولى هي المعرفة بقواعد اللغة، أما الثانية هي الانعكاس المباشر لها، ومنه فهو فردي، متغير يتميز به من شخص إلى آخر بحسب اختلاف العوامل الخارجية، من مثل ذلك الظروف الاجتماعية والنفسية (ضعف الذاكرة، التعب، الخوف...).

يعني أن الملكة عامة ومشتركة بين أفراد المنظومة الاجتماعية، واللغة لا تتبين بوضوح إلا من خلال الكلام، يعني أنّها "ما هي إلا نسقٌ كلِّي للتمثيل الذهني".[2]

وبالتالي فإنّ المتكلم والسامع المثالي له مقدرة فطرية على إعطاء جمل منطوقة لها نظام لغوي خاص يربط المعنى بالأصوات من خلال قواعد النظام المجسد في ذهن المتكلم منذ طفولته، بطريقة لا شعورية، وعليه فالتأدية هي انعكاس لهذه العلاقة.[3]

---

[1]- شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص:44.

[2]- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط3، 1986، ص:43.

[3]- ينظر: المرجع السابق، ص: 46-47.

ومنه يمكن القول؛ بأنّ الملكة اللغوية خاصية إنسانية تسقط عنه صفة الحيوانية المجردة عن التفكير المبدع، فاللغة عند **تشومسكي (chomesky)** بطبيعة الحال خلاقة حيوية؛ أي أن كل متكلم يستطيع أن ينتج ويولد جملا لا نهائية لها، فعملية الإبداعية عند الإنسان هي ما تميزه عن بقية المخلوقات الأخرى.

وجاء في مؤلف(**شفيقة العلوي)** أيضا بأنّ: "الإبداعية لدى **تشومسكي** نوعان: إبداعية تغير نظام اللغة، ومحلُّها التأدية فكل الانحرافات الاجتماعية والنفسية قد تؤدي إلى تغيير في ملكة هذا المتكلم، والإبداعية التي تحكمها القواعد وتوجهها ومجالها الملكة، وهي التي تسمح بتوليد اللانهائي من النهائي من خلال قواعدها".[1]

ويتضح من ذلك أنّ اللغة عند **تشومسكي (chomesky)** هي التي ينفرد بها الإنسان، إذ أنّه لا يكتفي بتلفظ صيغ كلامية التقطها مما سمعه فقط، وإنّما يولّد قدرا كبيرا من الجمل التي لم يسمعها أبدا، ويعبّر عنها بصورة غير محدودة من التراكيب.

والإبداع عنده صنفان؛ الأول مرتبط بتغير أحكام وقوانين اللغة والمتمثل في الأداء الكلامي وكل ما يشتمله من انحرافات اجتماعية ونفسية... وما إلى ذلك، والثاني مرتبط بما تضبطه تلك القوانين والأحكام التي تحكم الملكة وتجعلها تبتكر وتخلق اللامحدود من المحدود.

يعدμ الحدس (Intuition) عند **تشومسكي (chomesky)** جزءا من الملكة اللغوية أي فرعا من معرفته الضمنية بقواعد اللغة، فهو تلك المقدرة التي تسمح لمتكلم اللغة بالتفريق بين ما هو صائب وصحيح وما هو خاطئ وفاسد.[2]

يعني أنّه من خلال هذا المبدأ الحدسي هو ما يجعل متكلم اللغة يعرف ويفرّق بين ما هو سليم وما هو غير سليم.

---

[1]- شفيقة العلوي:محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 48.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 51.

ونؤكد ما قلناه سالفا، حيث نجد في كتاب **(جون ليونز)** نظرية تشومسكي اللغوية .من خلال ما يشير إليه من أنّ: "القدرة الإبداعية هي قدرة اللغة الإنسانية غير المحدودة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عدد كبير وغير محدود من الجمل لم يسمعوها قط ولم ينطق بها أحد من قبل".[1]

يتبيّن لنا بأنّ الإنسان له قدرة ابتكارية خلاّقة تجعله قادرا على إنتاج وفهم العدد اللانهائي من الجمل دون سماعه لها أو تكلمها له من قبل، فالإبداعية في اللغة هي واحدة من الحقائق التي كشف عنها **تشومسكي (chomesky)**، فمثلا الطفل ابن الخامسة أو السادسة يستطيع أن ينتج ويبتكر مع فهمها لعدد غير محدود ولا نهائي من الجمل التي لم تلج إلى أذنه أبدا من قبل.

ذكر **عبد القادر عبد الجليل** من خلال كتابه: علم اللسانيات الحديثة . بأن **تشومسكي (chomesky)** عنده أن النظرية اللسانية العامة تقوم على ركيزتين أساسيتين هما:

- **الكفاية اللغوية والأداء الكلامي:**

"فالأولى (compétence) هي: القدرة على إنتاج التراكيب، وتفهم أبعادها، أثناء تكلم هذه اللغة، بما في ذلك الجمل التي لم يسبق له سماعها".[2]

يعني أن متكلم اللغة له القدرة على التصرف والتحكم فيها بطريقة لا شعورية أثناء العملية الكلامية من خلال ابتكار عدد لا متناه من الجمل وكذلك فهمها ووعيها له وإن لم يسمع بها من قبل قط.

"أما الثانية (performance) هو: استعمال الفرد الفعلي للغته...".[3]

---

[1]- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 1985، ص: 57.

[2]- عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، عمان، ط2، 2002، ص: 266.

[3]- المرجع نفسه، ص: 267.

ويتضح من ذلك بأنّه هو ذلك الاستخدام الفردي العملي للغته؛ أي تحقيق اللغة وتنفيذها فعليا.

"فلقد ربط تشومسكي اكتساب اللغة وطبيعة القواعد النحوية، مميّزا بين الكفاية التي يستوي فيها العام والخاص، والأداء الذي يتباين فيه المتكلمون... مؤكدا أن ارتباط البنية العميقة للجملة بالكفاية، في حين أن البنية السطحية لها مرتبطة بالأداء..."[1]

جعل **تشومسكي (chomesky)** اكتساب اللغة مرتبط بالقواعد، إذ أنّه فرّق بين مصطلحين وهما: الكفاءة والأداء .ويرى بأنّ الأولى مرتبطة بالبنية العميقة أما الثانية فمرتبطة بالبنية السطحية "ففكرة تشومسكي في أن الجملة التي يتلفظ بها المتكلم تمر عند النطق بها في مرحلتين متتابعتين ،الأولى يتم فيها استخدام القواعد الأساسية التي ترتبط بكفاية المتكلم ومعرفته المختزنة باللغة، والثانية هي التي يتم فيها اللجوء إلى القواعد التحويلية وهي قواعد مرتبطة بالأداء...".[2]

يتبين لنا من أن العملية الكلامية تمر بنقطتين، الأولى تكون باستعمال المعرفة الباطنية المرتبطة باللغة، أما الثانية فهي تكون باستخدام تلك القواعد وتجسيدها فعليا أثناء التلفظ.

انطلق **تشومسكي (chomesky)** في تفسير الملكة اللغوية من منطلقين؛ باعتبارها كفاءة لغوية لدى المتكلم (compétence)، وباعتبارها إنجازا فعليا (performance)، وهذا ما نجده عند(**سمير شريف استيتية**)من خلال مؤلفه: اللسانيات المجال، والوظيفة والمنهج. بأن اللغة عند **تشومسكي (chomesky)** وجهان: الأول ذهني خالص سمّاه:الكفاية، والآخر عملي منطوق مسموع، سمّاه: الأداء.

[1]- إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص: 91.

[2]- المرجع نفسه ،ص:91.

حيث عرّف "الكفاية" بأنّها: "القدرة على بناء أنموذج لغوي ذهني مشترك بين المرسل والمستقبل، سداه الصوت ولحمته الدلالة، وعلى أساسه تتمثل القواعد اللغوية".[1]

يعني هي تلك القدرة على استعمال اللغة المشتركة بين المتكلم والسامع من خلال تلك القواعد الضمنية التي تتيح للإنسان فرصة التكلم وفهم جملها بصورة خلاّقة.

أما "الأداء" فهو "الصورة الواعية التي تمثل الصورة المعقولة من اللغة".[2]

يعني به ذلك الإنجاز الفعلي الواعي للغة، أي أنه ذلك التجسيد العملي الآني للغة، حسب ما جاء به(**نعمان بوقرة)** عن **تشومسكي (chomesky)** فالكفاية اللغوية هي: "مجموع القواعد الكامنة في ذهن الإنسان التي تمكنه من بناء الجمل، وامتلاك الآلية اللغوية... أما الأداء الكلامي فهو حصيلة الآلية اللغوية".[3]

يعني أن ذلك فإن الكفاية هي جملة من تلك القواعد الباطنية الموجودة في الذهن عند الإنسان، مما تمكنه من إنتاج الجمل، وبذلك تكون له قدرة لغوية آلية في إنتاج وفهم اللانهائي من الجمل حسب تلك القواعد الضمنية، في حين فإن الأداء هو نتيجة تلك القدرة الآلية اللغوية.

ومنه فإن حديثنا عن مفهومي الكفاية اللغوية والأداء الكلامي من الأساسيات التي تجعل متكلم اللغة (المتكلم المستمع المثالي) له القدرة الفطرية على فهم ونطق عدد لا متناه من الجمل وإن لم يسمعها، وكذلك قوة إبداعية تمكنه من ابتكار وخلق اللا محدود من الجمل حتى وإن لم يسمع أو ينطق بها قط.

لقد أوضح **(أحمد مومن)** في مؤلفه: اللسانيات النشأة والتطور، من أنّه قد لاحظ بأنّ **تشومسكي (chomesky)** قد ألمح إلى ضرورة التمييز بين أمرين مهمين في الدراسة اللسانية: معرفة المتكلم المستمع المثالي والأداء اللغوي الفعلي، وأنه قد فصّل

[1]- سمير شريف استيتية: اللسانيات المجال والوظيفة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط2، 2008، ص: 177.

[2]- المرجع نفسه، ص: 178.

[3]- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص: 148.

الحديث في إبراز ماهية هذين المصطلحين: الكفاءة والأداء. حيث يقول: "الكفاءة نظام عقلي تحتي قابع خلف السلوك الفعلي، وعليه فإنه غير قابل للدراسة التجريبية المباشرة، وهكذا فإن الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذا النظام ودراسته هي الاستبطان (introrspection)؛ إذ يساعدنا على إصدار أحكام على كل الجمل من حيث صحتها النحوية ومقبوليتها..".[1]

يتضح من أنّ الكفاءة هي نظام ذهني مجرد مرتبط بالعقل، إذ أنّه لا يمكن إخضاعه للتجربة والملاحظة الملموسة، ولدراسته لابد من استعمال أداة الاستبطان، إذ أنّه من خلاله يمكننا الحكم وإثبات الحكم عليها بالصحة والخطأ من الناحية النحوية ومدى مقبوليتها، وعليه فإن "اللساني وصاحب اللغة يتمتعان بمقدرة لغوية تتمثل في الحدس تمكنهما من معرفة الجمل من حيث استحالتها واستقامتها".[2]

وبذلك فإن الحدس هو الأساس والركيزة لدى الإنسان والتي تجعلنا نميز بين ما هو صائب وخاطئ وما هو حسن وقبيح وبين ما هو محال ومستقيم، فهي تلك المعرفة الواعية للغة بشكل عفوي، وكما هو معلوم أن اللغة ميزة إنسانية، تتمثل في التعبير عن الأحاسيس والمشاعر والأفكار لتوصيل الكلام إلى السامع، وتبليغه ما يريده، ممّا يجعل التواصل أسهل بين أفراد المجتمع في مواقف مختلفة، ولذلك "فاللغة تتسم بميزة أساسية من حيث أنّها توفر للإنسان الوسائل اللازمة لكي يعبِّر بصورة غير متناهية عن أفكار متعددة، ولكي يتفاعل بصورة ملائمة، في عدد غير متناهٍ من المواقف الجديدة...".[3]

ومن هذا المنطلق فإنّ الإنسان بطبيعته قادر على تركيب عدد لا يحصى من الجمل وأشباهها التي لم يسمع بها من قبل وفي ظروف تتطلب منه الكلام في سياقات مختلفة،

---

[1]- أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2002، ص: 210.

[2]- المرجع نفسه،ص:ن.

[3]- ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط2، 1986، ص:27.

كما أنه بمقدوره أن يفهم ويتفاعل مع تلك الأفكار المتنوعة. وعليه فخاصية الإبداعية في اللغة يختص بها الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى، فاستعمالها العادي هو استخدام إبداعي تجددي يتميز بالابتكار والخلق.

وتتعزز هذه الفكرة من حيث أنّه: "يتصف المظهر الإبداعي في اللغة بمميزات: أن استعمال اللغة الطبيعي تجددي... ولا يخضع استعمال اللغة لأي حافز ملحوظ، بل هو حر... ويثبت الاستعمال اللغوي تماسك اللغة وملائمتها لظروف التكلم".[1]

يتبين لنا، أن الإبداعية اللغوية تتصف بسمات في الاستعمال اللغوي من خلال أن الإنسان لمّا يتكلم فإنّه يعبّر بتعابير متجددة ومتطورة، كما أنّ الاستخدام اللغوي لا يخضع لأي ظروف أو مثيرات داخلية، فهو عفوي مطلق، وما مدى تواؤمها وتلك الظروف في الواقع مما يزيد من ثبات وتماسك اللغة.

فالعملية الإبداعية صفة مشتركة بين جميع اللغات البشرية، حيث يرى **تشومسكي (chomesky)** بأن العقل له صفات فطرية تجعل متكلم اللغة الإنسانية قادرا على تعلمها مما يمنح له فرصة لتكوين قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه، ولا يتم ذلك تقليدا وإنما بصورة إبداعية ابتكارية، فهذا الجانب الخلاق من لغة الإنسان هو ما يجعله يرتقي عن الحيوان ويتميز عنه، فالطفل يملك بالفطرة تنظيما إدراكيا من أجل الوصول إلى امتلاك اللغة فتكون له الخبرة بذلك في امتلاكها.

وهذا ما يؤكده **(جون ليونز)** في مؤلفه: نظرية تشومسكي اللغوية. من أن للإنسان قدرة غير محدودة تجعله قادرا على إنتاج عدد كبير وفهم اللامتناهي من الجمل دون نطقه أو سماعه لها من قبل قط.

فالملكة اللغوية تمر بمراحل ثلاث حسب **تشومسكي (chomesky)**، وهي:[2]

---

[1]- ميشال زكريا:الألسنية التوليدية والتحويلية و قواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص: 29.

[2]- عامر بن شتوح : الجهود اللسانية عند مازن الوعر، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب و اللغات، 2013-2014، ص: 37.

1-**مرحلة فطرية:** وهي بطبيعة الحال أولى المراحل للدماغ، إذ أنه تحدث فيها تلك التفاعلات اللغوية الموجودة بكيفية وراثية عضوية دون عوامل أخرى.

2-**مرحلة حالة وسيطة:** وهي مرحلة موجودة عند الطفل أثناء عملية الاكتساب اللغوي.

3-**مرحلة قارة نسبيا:** وهي موجودة عند الإنسان البالغ، حيث يصبح الإنسان قادرا على اكتساب اللغة وامتلاكه لنظام لغته امتلاكا كليا.

يعني أن الإنسان يولد وعنده قدرة فطرية (innate compétence)، أي استعداد لتعلم اللغة البشرية، حيث يمر الفرد بسلسلة من المراحل للوصول إلى مرحلة ثابتة نسبيا تتطور تدريجيا حتى يمتلك نظام لغته في مرحلة معينة.

ومن هذا فإن المنطلقات الأساسية لرأي **تشومسكي (chomesky)**؛ هي منطلقات عقلانية، تأثر بالمنهج الديكارتي، فهذا المنحى يفترض وجود معرفة ضمنية بقواعد معينة، فالفعل الكلامي فعل عقلي بالمرتبة الأولى فقدرة المتكلم على التكلم تكمن وراءها آلية عقلية معقدة، فاللغة إذن هي انعكاس للعقل الإنساني.[1]

لقد ربط اللغة بالعقل الإنساني، إذ أنه هناك قواعد باطنية مضمرة تجعله قادرا على امتلاك ملكته اللغوية فـــ: "هذه القواعد قائمة بشكل ضمني في الملكة اللسانية أو (الكفاية اللغوية) العائدة إلى متكلم اللغة، وهي ممثلة بالتالي في عقول متكلميها".[2]

يعني أنّ هذه الضوابط متجسدة في العقل الإنساني ما يجعله قادرا على تحقيق ملكته.

وإذا توخينا التوضيح أكثر نقول أن هذه القواعد هي تلك المبادئ الكليّة الأولية الفطرية المشتركة بين جميع اللغات الطبيعية الموجودة عند جميع البشر.

---

[1]- ينظر: ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية (دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية)، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص:58.

[2]- المرجع نفسه، ص: 57.

وبالتالي، فإنّ: "اللغة نتاج العقل البشري، وهي تلك الرموز الصوتية التي يصدرها الإنسان بمحض إرادته للتعبير عن أفكاره، وهي غير بسيطة كما يظهر للعيان".[1]

يعني أن اللغة عملية معقدة، تكمن أهميتها في ارتباطها بالعقل الإنساني وهذا ما يؤكده **تشومسكي (chomesky)** من كتابه: المعرفة اللغوية، حيث يقول: "وطبيعة هذه الملكة هي مادة بحث النظرية العامة للبنية اللغوية التي تهدف إلى اكتشاف إطار المبادئ والعناصر المشتركة بين ما يمكن تحققه من اللغات الإنسانية... كما يمكن للمرء أن ينظر إلى هذه الملكة على أنها أداة اكتساب اللغة (a langue acquisition device)".[2]

وبذلك فإن ماهية هذه الملكة هي الكشف عن تلك القواعد المشتركة بين اللغات الطبيعية، والتي يعبر عنها بجهاز اكتساب اللغة. "وأي مكون فطري من مكونات العقل الإنساني يؤدي إلى إيجاد لغة خاصة عبر التفاعل مع التجارب الحاضرة، فهي أداة تحول التجربة إلى نظام مكتسب من لمعرفة أي إلى معرفة لغة أو أخرى".[3]

ويتضح من خلال ذلك أن الطفل يولد ولديه ميل فطري عقلي لمعرفة اللغة، وأن هذه الخاصية الفطرية عامة لدى جميع الأجناس البشرية، فـ "المعرفة باللغة؛ القدرة العملية على التكلم والفهم. فقد يشترك شخصان بالضبط في نفس المعرفة باللغة، لكنهما قد يختلفان اختلافا كبيرا في قدرتهما على استخدام هذه المعرفة".[4]

---

[1]- بن زروق نصر الدين: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2011، ص: 84.

[2]- نوم تشومسكي: المعرفة اللغوية (طبيعتها، وأصولها واستخداماتها)، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ط1، ص: 53.

[3]- المرجع نفسه ص:53.

[4]- المرجع نفسه، ص: 65-66.

وبالتالي، فإن المعرفة باللغة هي صحيح أن اللغة مشتركة بين أفراد الجماعة البشرية إلا أنها تتباين في استعمال تلك المعرفة اللغوية، كما "أنها قد تتحسن القدرة على استخدام اللغة أو تتدهور دونما تغير في المعرفة".[1]

وأنّ المعرفة للإنسان بلغته هي معرفة فطرية، إذ أن الهدف هو تحديد خصائصها عند متكلميها، فامتلاك الإنسان لمقدرة لغوية في التكلم والفهم في آن واحد، دليل على أن هناك شيء مقصورا عن هذه اللغة في ذهنه، ومن خلال العقل الذي سيحدد الألفاظ ودلالاتها والعلاقة الرابطة بينهما، وعليه فالملكة هي القدرة الجوهرية في استخدام وفهم الجمل الجديدة، ومن المؤكد فالعقل ميزة إنسانية تستخدم في اكتساب اللغة، بما أنه صفة عامة بين البشر كلهم، ولتحقيق الملكة اللغوية هي التي تضمن معرفة لغوية محصلة من الاختلافات للحقائق المجردة، وهذا ما يؤكده **تشومسكي (chomesky)** من خلال قوله: "تقوم اللغة البشرية على خاصية أولية... إنها خاصية اللامحدودية (اللانهائية) infinity المتفردة، التي تتكشف بشكلها الأنقى عن طريق الأعداد الطبيعية 1، 2، 3... إن الأطفال لا يتعلمون هذه الخاصية، فما لم يمتلك العقل المبادئ الأساسية قبلا، لا يمكن لأية كمية من الأدلة أن توفرها".[2]

اللغة الإنسانية هي لغة طبيعية تتميز بميزة اللامحدودية، من خلال تلك القدرة تتشكل ملكة لغوية لدى الإنسان، لارتباطها بالعقل الذي من خلاله يمكن فهم وإنتاج اللانهائي من الجمل، و"تعمل هذه الملكة بسرعة وبصورة محددة، كما أنها غير شعورية وتقع خارج حدود الوعي وبشكل لا يختلف في أعضاء النوع وتنتج نظاما معرفيا غنيا ومعقدا، أي لغة بعينها".[3]

---

[1]- نوم تشومسكي:المعرفة اللغوية(طبيعتها،و أصولها واستخداماتها)، ص: 67.

[2]- نعوم تشومسكي: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تر: عدنان حسن، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2009، ص: 34.

[3]- نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيتي، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص: 214.

عملية السرعة واللاشعور هما يميزان الملكة اللغوية إذ أن الإنسان يقوم بإنتاج نظام لغوي مركب، وكما أسلفنا الذكر من خلال قوله: "أن الملكة اللغوية خصيصة إنسانية فريدة... ومن غير المحتمل أبدا أن يكون لدى بعض الكائنات الأخرى هذه الملكة نفسها لكنها لم تفكر أبدا في استعمالها إلا بعد أن درّبها الإنسان".[1]

فالملكة اللغوية سمة إنسانية يتسم بها عن باقي الكائنات الأخرى، وبعد الممارسة والمران عليها يتم اكتسابها وبالتالي استعمالها.

يتطرق **تشومسكي (chomesky)** إلى كيفية امتلاك الملكة اللغوية الإنسانية، حيث يقول: "فالعقل_ الدماغ الإنساني نظام معقد تدخل في تركيبه أجزاء متفاعلة متعددة، أحدها الجزء الذي يمكن أن نسميه بالملكة اللغوية".[2]

يتضح لنا أن العقل البشري نظام غير بسيط، إذ أنه يمكن أن تتفاعل تراكيبه، بصورة عادية.

ولقد جاء في مقال بعنوان: حوار اللغة والعقل في فلسفة تشومسكي من أن هذا الأخير، قد أقر بفطرية الملكة اللغوية، وأنها مشتركة بين جميع البشر، إذ أنه في المراحل الأولى من عملية اكتساب اللغة لدى الطفل حيث تبدأ الملكة في النضج تدريجيا، ويصوّب أخطاءه حتى يكوّن ملكته اللغوية، فهو يرى بأن التجربة لا تلعب دورا حاسما في الاكتساب اللغوي، وإنما يتم اكتسابها وفق ميكانيزمات بيولوجية تضبط مسار تطور حالات الملكة اللغوية.[3]

حيث يؤكد(**براون دوجلاس)** ما جاء به **تشومسكي** من خلال قوله: "إن الأطفال جميعهم يكتسبون لغتهم الأولى بكفاءة عالية وبطريقة طبيعية، دون توجيه".[4]

---

[1]- نعوم تشومسكي: اللغة و مشكلات المعرفة، ص: 64.

[2]- المرجع نفسه، ص: 61.

[3]- يوسف وسطاني: الملكة اللسانية وعلوم اللغة العربية، مجلة التواصل في اللغات والآداب، جامعة محمد دباغين، سطيف2، ع43، سبتمبر، 2015، ص: 7.

[4]- براون دوجلاس: أسس تعليم اللغة وتعلمها، تر: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص: 53.

يعني أن الطفل يكتسب لغته بشكل عفوي تلقائي دون توجيهه وبكفاءة عالية، إذ أنه له القدرة على التواصل والتعلم شيئا فشيئا إلى أن يتحصل على ملكته، حيث يفسّر ذلك **تشومسكي** من خلال قوله: "أن الإنسان يمتلك جهازا فطريا، يسمى "الملكة اللغوية" (المقدرة اللغوية) أو ما يطلق عليها: الكفاءة الكامنة في العقل".[1]

فهو يؤكد على فطرية الملكة اللغوية، فهي قضية عقلية موجودة عن الإنسان منذ الولادة.

وهذا ما يمكن أن نفسره من خلال هذا القول: "اللغة نظام اتصالي يتميز بإمكانية تركيب الإشارات الجديدة وتفسيرها".[2]

فالطفل بقدرته الفطرية، يكون مهيأ ليكون قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه بصورة إبداعية دون تقليد، مما يمكنه أيضا إنتاج وفهم جمل جديدة وتفسيرها حتى وإن لم يواجهها من قبل ولم يتعرف إليها وتكون صحيحة ومتنوعة.

يرى **تشومسكي (chomesky)** بأن الإبداع أساسي في تحقيق كفاءة لغوية عالية القيمة، إذ أنه رفض مبدأ التقليد والمحاكاة، حيث يرى بأن المبدأ الوحيد للانطلاق منه هو الابتكار والخلق الجديد لعدد لا يحصى من الجمل، يعني بالكلام هو "الإتيان دوما بما هو جديد، إنه رد على سؤال لم نسمعه أيضا، إنه تكيف مستمر مع بيئة قابلة للتغيير إلا ما لا نهاية ومتغيرة باستمرار، والمحاكاة عامل مهم في تعلم اللغة إلا أنها ليست عاملا أساسيا".[3]

---

[1]- نعوم تشومسكي: اللغة والمسؤولية، تر: حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرف، القاهرة، مصر، ط2، 2005، ص: 41.

[2]- جورث جرين: علم اللغة النفسي تشومسكي وعلم النفس، تر: مصطفى التوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص: 09.

[3]- برتيل مالبرج: مدخل إلى اللسانيات، تر: السيد عبد الظاهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص: 304.

فالكلام عنده هو حضور الجمل الجديدة أثناء عملية المحاورة والكلام، والإجابة عن الأسئلة دون تخمين ومحاولة استيعابها؛ لأن هذا كله كامن في العقل، مع مراعاة التغير المستمر في محيطه الذي يعيش فيه والتطور اللغوي فيه.

يفترض **تشومسكي (chomesky)** في نظريته العقلية من أن: "النحو التوليدي التحويلي (transformationnel générative grammar) أن الكلام يحتوي على بنية سطحية وأخرى عميقة وأن المتكلم والمستمع ينتقل من بنية لأخرى عن طريق التحويلات، والبنية العميقة هذه هي بنية تفسر فهم الكلام، وهي ذات فعالية ديناميكية على البنية السطحية، بمعنى أن العقل يقوم بعمليات عرفانية يربط بها بين البنية السطحية والعميقة".[1]

اكتساب الملكة اللغوية هي ما تجعل صاحبها له القدرة على الأداء الكلامي، بطريقة مميزة وبسهولة وسرعة، وبدقة ووضوح، من خلال النظام اللغوي الذي ينتمي إليه الطفل، فمن خلال تلك العمليات العقلية التي تربط البنية السطحية بالعميقة هي تجعله يفسر ويفهم البنيات اللغوية لتخرج في شكلها السطحي ذات حيوية وحركية، وهو ما يجعل الطفل يميز بين الصحيح والمنحرف عن طريق "الحدس اللغوي" والذي يعده **تشومسكي (chomesky)** أحد الأصول النفسية لنظريته: فهو تلك المقدرة التي من خلالها يتمكن أبناء اللغة في التفريق بين النماذج السوية، وتفضل إحداها على أخرى في إنتاجية الجمل، فكلما كانت الجمل صحيحة نحويا كان النموذج الذي ينتجها أفضل وأحسن، وهذا معناه أن الحدس هو تمثل عقلي لقواعد اللغة، الذي يجعل الفرد يحكم ويضبط صحة واستقامة الجمل من المنحرفة والخاطئة في النظام اللغوي".[2]

[1]- جمال شمس الدين: علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، ج1، ص: 158.

[2]- المرجع نفسه، ص: 197.

ونختم مبحثنا هذا بتعريف **تشومسكي (chomesky)** للملكة اللغوية، فيقول: "ويبدو الآن بشكل معقول أن هناك عنصر خاص من الدماغ البشري (الذي يطلق عليه ملكة اللغة) مخصص تحديدا اللغة... مثل جميع مكونات الجسم الأخرى: الكلى، الدورة الدموية...."[1].

فهو يرى بأن الملكة اللغوية جزء من أجزاء الدماغ الإنساني، مخصص للغة البشرية مثله مثل الأعضاء الجسمية الأخرى.

ومنه **فتشومسكي (chomesky)** ينظر إلى اللغة نظرة عقلية والتي من خلالها يتمكن الإنسان من إنتاج وفهم العدد اللامتناهي من الجمل غير المسموعة من قبل وبذلك يتمكن من بناء نظامه الإدراكي للغته بطريقة طبيعية دونما أي توجيه.

المبحث الرابع: اكتساب اللغة عند تشومسكي.

تناول علماء النفس وكذلك اللغويين فكرة اكتساب اللغة وعالجوها من جوانب عدة، حيث اختلفت آراءهم في هذه المسألة؛ لأنها ذا أهمية بالغة في حياة البشر،إذ أنها تظهر أثناء عملية الكلام لديهم، ومن خلال هذا نجد **(محمود السعران)** في كتابه: اللغة والمجتمع، يرى بأن لغة الطفل تمر بمراحل معينة وهي:[2]

1-مرحلة الصياح: أي الصراخ وغيره.

2-مرحلة البأبأة: إحداث أصوات معينة.

3-مرحلة الكلام: وهي مرحلة يتم فيها التكلم، وتنقسم إلى فترتين:

3-أ- وهي فترة اللغة الصغيرة؛ أي اللغة الخاصة بالطفل، وفيها يكون الطفل من الوجهة اللغوية متفردا.

[1]- بسطامي أنفال: حوار اللغة والعقل في فلسفة تشومسكي، مجلة الدراسات وأبحاث، ع23، جوان2016، جامعة قسنطينة2، الجزائر، ص: 10.

[2]- محمود السعران: اللغة والمجتمع رأي ومنهج، ط2، الإسكندرية، 1963، ص: 43-44.

3-ب- فترة اللغة المشتركة: أو اللغة الجماعة، وفي هذه الفترة يأخذ خضوع الطفل للمجتمع وتأثره به في الازدياد شيئا فشيئا، أي تكون لغته عامة يشترك فيها مع أبناء جنسه وجماعته البشرية.

ويوضح (**ابراهيم خليل**) حسب ما جاء به **تشومسكي (chomesky)** في مسألة ربطه بين اكتساب اللغة وطبيعة القواعد النحوية، مميزا بين الكفاية والأداء حيث أن الأولى تجعل الطفل يكتسب في مرحلة مبكرة مجموعة من القواعد التي تمكنه من بناء وفهم ما يشاء من جمل لم يتطرق إليها من قبل قط، وأداءه بطبيعة الحال متباين، حسب العوامل النفسية والاجتماعية والشخصية... وما إلى ذلك.

لقد استأثر اكتساب اللغة اهتمام **تشومسكي (chomesky)**، فكل طفل يتمتع بصحة عادية، لديه قدرة فطرية كامنة على تعلم اللغة، حيث يبدأ التعلم منذ البداية، لكنه يتزايد بالنمو اللغوي، باستخدام أعضاء النطق في إصدار الأصوات أولا، ثم تظهر لديه بعد ذلك القدرة على دمج صوتين ببعضهما البعض لتأليف مقطع، نحو: ماما، بابا... ثم ترديد بعض الكلمات أي تكوين مركب من كلمتين فأكثر..[1]

ومنه يجيب **تشومسكي (chomesky)** عن السؤال عن كيفية تحقيق الكفاية عند متكلمي اللغة، فكما نعرف أن الكبار والصغار سيان، فكلاهما له القدرة على اكتساب اللغة في أي سن، ولكن إذا وجد من لم يستطع اكتساب اللغة بصفة عادية وناجعة، فذلك راجع إلى مؤثرات خارجية وليست قدرته الفطرية؛ لأن الطفل يولد وهو مزود بملكة فطرية تمكنه من اكتساب اللغة وفهم وبناء عدد لا متناه من الجمل الجديدة.

وعليه فإن عملية الاكتساب اللغوي عند **تشومسكي (chomesky)** مرتبط بالاتجاه الفطري، والاكتساب لدى الطفل لا يتوقف في مرحلة معينة أو في درجة من العمر.

[1]- ينظر: ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص: 36-37.

وفي نفس السياق يوضح **نعمان بوقرة** حسب ما جاء به **تشومسكي (chomesky)** من أن هناك مبدأين أساسيين في نظريته وهما: الاكتساب اللغوي والإبداعية اللغوية.

حيث يرى أن جميع البشر لهم القدرة على اكتساب اللغة، بغض النظر عن المؤثرات المختلفة، كما بين من أن **تشومسكي (chomesky)** قد رفض رفضا صريحا النظرية السلوكية؛ لأنها قامت بالمساواة بين السلوك الحيواني والسلوك الإنساني الذي تميز به عن باقي المخلوقات لامتلاكه لخاصية اللغة، حيث ردّ على آراء **"سكينر" (skinner)**في كتابه: السلوك الكلامي، من أن العلاقة الشرطية في المثير والاستجابة لا تصلح لتفسير قدرة المتكلم على استخدام اللغة، حيث يقول بأن منهج نظريته هو: "منهج ذهني يجعل ملكة اللغة قدرة فعالة غريزية وفطرية، وهي قدرة تخص الإنسان وحده..".[1]

فملكة اللغة صفة وخاصية إنسانية، حيث يولد وهو مزود بجهاز داخلي يمكنه من اكتساب اللغة وإنتاجها وفهمها واستيعابها، "فكيفية تعلم الأطفال الصغار تتعلم بشكل تطوري سريع دون النظر إلى العوامل الخارجية التي تتدخل في هذه العملية، وهذه العمليات اللغوية مرتكزة على أسس بيولوجية، ثم إن أي محاولة لشرح الظاهرة اللغوية برؤية سلوكية إنما هي تجاهل للخلق اللغوي عنده".[2]

عملية التعلم اللغوي متطورة وسريعة بغض النظر عن المؤثرات الخارجية، وإذا ربطنا عملية الاكتساب اللغوي بالسلوك، فهذا يفقد اللغة ميزتها الإبداعية والقدرة على خلق جمل جديدة وتفسيرها وكذلك استيعابها بطريقة طبيعية، حيث يوجد هناك مبادئ لغوية مجردة تخضع لها جميع اللغات الطبيعية التي تجعله يتعلم اللغة بصورة ابتكارية ما يتيح له فرصة الارتقاء عن منزلة الحيوان.

[1]- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص: 137.

[2]- المرجع نفسه، ص: 138.

يتّخذ **تشومسكي (chomesky)** في نظريته إلى ضرورة اتّباع المنهج العقلاني؛ لأنّ "عقل الإنسان كتلة رخامية في يد النحات يشكل منها ما أراد في حدود خصوصية القطعة الرخامية".[1]

حيث يشبه عقل الإنسان بالذي ينحت على الرخام، إذ أنه يمكنه تشكيل أي قطعة أراد فكذلك متكلم اللغة.

فالإبداع اللغوي من أهم الحقائق التي أزال عنها **تشومسكي (chomesky)**، حيث أن ابن اللغة قادر على خلق الجمل الجديدة بغير وعي في ظروف عادية، دون سماعه لها من قبل.[2]

وهذا ما تؤكده **(هيام كريدية)** من عملية الاكتساب اللغوي عنده مرتبطة بالعقل أي اللغة تتصل بالعقل اتصالا فطريا، يعبر عنه بالإبداع، والكليات والكفاية والبنية العميقة كل هذا يساهم في إنجاح عملية الاكتساب اللغوي وسرعته.[3]

وعليه فالسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا في هذا السياق، كيف نكتسب اللغة؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عنه حسب ما جاء به **تشومسكي (chomesky)** الاكتساب اللغوي أمر حاصل فطريا، حيث يولد الطفل بقدرة خاصة تمكنه من اكتسابها بتفاعل قدراته العقلية وكذلك النفسية، حيث يؤيده "دوجلاس براون" فيما جاء به، من خلال قوله: "إن الأطفال يولدون ولديهم الفطرة لتعلم اللغة، وهذه القدرات الفطرية موجودة لدى جميع أفراد النوع البشري".[4]

يعني أنّ اكتساب اللغة أمر مركوز في الإنسان بالولادة، فمن خلال تلك القدرة الفطرية يتمكن من اكتسابها، وهي ما جعلت الجماعة البشرية تتميز به.

---

[1]- نعمان بوقرة:اللسايات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، ص: 140.

[2]- ينظر: جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص: 57.

[3]- ينظر: هيام كريدية: أضواء على الألسنية، ص: 150.

[4]- دوجلاس براون: أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص: 38.

يطرح **تشومسكي (chomesky)** قضية وهي ما يوسمها بـــ "معضلة أفلاطون"، وهي مشكلة عدم التطابق بين المدخلات اللغوية الأساسية وما يتحقق فعلا، فنظام القواعد عند البالغين نظام عالي التعقيد وغير بسيط إذ أنه لا يتناسب والمدخلات، ولا يمكن اكتساب الإنسان اللغة عن طريق الإشراط (من مثير واستجابة وتعزيز...) وكذلك القياس والتعميم... كما يقر أصحاب المذهب السلوكي. وعليه فهذه المشكلات التي تكتنف المادة اللغوية المقدمة للطفل في اكتسابه لغته الموصوفة بالفقر والقصر.[1]

فالطفل كما نعلم لا يولد صفحة بيضاء، وإنما يولد وفيه من الاستعداد لاكتساب أي لغة بشرية، حيث يتبين من هذا القول من أن: "الطفل تتوفر لديه بكيفية ما بعض المفاهيم قبل أن يمر بتجربته اللغوية، وأن ما يقوم به أساسا ليس إلا تعلم أسماء لتلك المفاهيم التي تكون جزءا من تركيبه المفهومي المسبق".[2]

يعني أن الطفل يقوم باكتساب أسماء تلك المفاهيم التركيبية السابقة له في معرفتها قبل مروره بالتجارب اللغوية الأخرى.

ولتأكيد ما سبق فمن خلال ما جاء به **(مرتضى جواد باقر)** في مؤلفه بتقديم مثال يوضح ذلك؛ فمعرفة أن فلانا اغتال فلانا تعني أن هناك قصدا في القتل وأن القتل جرى مخاتلة، هذا ما نعرفه بدون حاجة إلى معرفة ما حدث، فـــ "الإنسان قد وهب عدة ملكات محددة أطلقنا عليها اسم العقل، وهذا العقل أو تلك القدرات تقوم بدور حاسم في اكتسابنا للمعرفة كما تمكننا من القيام بدور مستقل عن أي عامل خارجي في البيئة المحيطة بنا، أي أننا لا نتأثر بهذه البيئة حتما".[3]

---

[1]- ينظر: مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص: 28.

[2]- المرجع نفسه، ص: 40.

[3]- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص: 235.

منح الإنسان ملكة خاصة به وهي العقل، والتي تمكنه من القدرة على اكتساب اللغة بطريقة صحيحة ومستقيمة، إذ أن اللغة نظام معرفي عقلي حيث تفسر طبيعتها واستخدامها ضمن ما يفرضه حدود العقل البشري، والبيئة المحيطة به لا تؤثر فينا، والكفاءة اللغوية حسب ما جاء به **تشومسكي (chomesky)** بأنها: "الحالة المعرفية التي تضم كل تلك الجوانب من الشكل والمعنى والعلاقات فيما بينها بما في ذلك البنى التحتية التي تدخل في تلك العلاقة والتي يختص بها النظام العقلي الفرعي المحدد الذي يصل بين تمثيلات الشكل والمعنى".[1]

فالملكة اللغوية هي الربط بين تلك العلاقات التي يختص بها النظام العقلي التي تظهر متجسدة في الجوانب الممثلة في الشكل والمعنى.

دعا **تشومسكي** إلى التمييز بين ثنائية البنية العميقة وكذا السطحية، فالأولى؛ تمثل التفسير الدلالي للجملة، أما السطحية، فتتمثل في الشكل النهائي للكلام المنطوق فعلا، فـــ: "ملكة اللغة تتضح خلال الطفولة ومن ثم تهيء الفرصة لوجود مبادئ متنوعة في مراحل خاصة من عملية اكتساب اللغة".[2]

اكتساب اللغة عملية لا شعورية، يولد الطفل وهو مزوّد بقابلية لغوية يمر بمراحل التعلم وذلك لتحقيق عملية النمو اللغوي لديه والرقي فيها وتطويرها، وتتعزز هذه الفكرة من خلال ما أقرّ به **(دوجلاس براون)** حسب ما جاء به **تشومسكي (chomesky)** في قوله: "يؤكد تشومسكي من وجود خصائص نظرية لغوية تفسّر لنا كيف يستطيع طفل أن يتقن لغة في وقت قصير جدا رغم الطبيعة التجريدية لقواعد اللغة، ويشبه تشومسكي هذه المعرفة الفطرية بأنها "صندوق أسود صغير" أطلق عليه اسم "جهاز اكتساب اللغة".[3]

---

[1]- مرتضى جواد باقر:مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص: 28.

[2]- نعوم تشومسكي: المعرفة اللغوية (طبيعتها وأصولها واستخدامها)، ص: 122.

[3]- دوجلاس براون: أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص: 39.

فمقدرة الطفل على إتقان اللغة واكتسابها في مدة قصيرة وبسرعة وبسهولة أيضا لوجود جهاز اكتساب اللغة الفطري فيه، حيث يشبهه بذلك الصندوق الأسود الصغير الذي يقوم بتسجيل تلك المعلومات، ومن خلال هذا الجهاز الوهمي الموجود في الذهن والمجرد، هو ما يجعلنا نكتسب اللغة بضبطها بتلك القواعد الكلية، وأن "اكتساب اللغة أمر متوفر لكل بني البشر، ولا يمنعهم من ذلك إلا الإصابات والأضرار الدماغية الكبيرة، بل إنه محصور البشر لا يشاركهم به أي حيوان آخر".[1]

حيث أورد مثالا عن القردة ورأى بأنّه لا يمكن تصوّر حيوان قادر على تعلم اللغة واكتسابها وكذا استخدامها، إذ أن اللغة تمنح قابلية استعمالها بمزايا كبيرة، واستخدام الإنسان للغة يكون بصورة إبداعية متجددة وكذلك بحرية، فهو لا يعيد ما سمعه من قبل، فعملية الاكتساب اللغوي تقريبا تمر بمراحل متشابهة عند جميع الأطفال، فيتعملونها باعتمادهم على تلك المعرفة الفطرية اللغوية.

كما أن "فقدان القدرة على الكلام لا يعني فقدان المعرفة بالنظام العقلي الذي اكتسبه في صغره وحين يستعيد الإنسان هذه القدرة لن يتحدث إلا لغته الأولى التي اكتسب معرفتها، وليس بلغة حديدة".[2]

فالمعرفة اللغوية عملية عميقة بالغة الأهمية في استخدام الإنسان لغته، حيث أنه وإن هناك عرقلات ومتغيرات خارجية أثرت على عملية الكلام لديه، فإن هذا لا يؤثر على طبيعة نظامه المعرفي المكتسب أثناء مرحلة نموه العقلي واللغوي، ولما يقوم باستعادة تلك المقدرة اللغوية على الكلام فتكون له قابلية بالتحدث بتلك المعرفة المكتسبة سابقا المرتبطة بالمبدأ النحوي الفطري الفعال دون استعمال لغة جديدة غير التي كان يتحدث بها.

[1]- مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص: 49.

[2]- المرجع نفسه، ص: 54.

لقد اهتم الإنسان باللغة اهتماما بالغا منذ وجوده، وفترة ميلاده، حيث منحه الله سبحانه وتعالى العقل وميزه عن سائر المخلوقات الأخرى، فمنذ لحظة ميلاده اللغوي له القدرة وذلك الاستعداد لاكتساب اللغة البشرية وفي هذا يقول **تشومسكي (chomesky)**: "أن الإنسان يولد ولديه قدرة لغوية محددة تساعده على اكتساب أية لغة يعيش في مجتمعها، فاللغة هي قدرة المتكلم بها على تأليف وابتكار جمل وتعابير جديدة لم يقلها أحد من قبل، أو على الأقل لم يسمعها هو نفسه من قبل".[1]

يمكن للإنسان من خلال قدرته اللغوية على اكتساب أي لغة من اللغات البشرية الموجودة في محيطه الطبيعي الذي يعيش فيه، ومن تأليف وابتكار جمل وأشباهها، وكذلك إشارات لغوية جديدة وتفسيرها، فهذا كله يساعد على إنتاج وفهم عدد لا يحصى في شكل مستمر من الجمل حتى وإن لم يسمع بها قط، ولأن اللغة نتاج عقلي يكمن وراء بنية فطرية تستعمل في اكتساب اللغة، حيث يورد **(ميشال زكريا)** أنّ **تشومسكي (chomesky)** يرتكز على نقطة أساسية هي ارتباط اللغة بالجانب العقلي، وفي هذا يقول: "لا وجود للغة خارج إطار تصورها العقلي، ومهما كانت خصائصها، فهي تختص بها عبر المسار العقلي النظري للجهاز العضوي الذي أوجدها ويوجدها في كل جيل، والذي يوجد فيها في الوقت نفسه الخصائص المتعلقة بشروط استعمالها، ويبدو أن اللغة مفيدة لسبر المسار العقلي و اكتشاف نظامه".[2]

كما يتضح لنا، فاللغات الإنسانية متجسدة في عقول مستعمليها، التي تختزن فيها قواعد ومبادئ خاصة كالتركيبية والدلالية لإنتاج اللامحدود من الجمل وغيرها في اللغة الطبيعية، والعقل هو المقياس الذي يحدد ويكتشف نظامها الصحيح من المنحرف؛ لأن اللغة استعمال إبداعي تجددي متطور في استمرار، وبها يتم تحقيق عملية التواصل والإبلاغ والتبليغ بين متكلمي اللغة بصورة ناجعة.

---

[1]- نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1978، ص: 116.

[2]- ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية (دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية)، ص: 58.

فكما نعلم أن اللساني الأمريكي المعاصر **نعوم تشومسكي (naom chomesky)** دعا إلى دراسة اللغة الإنسانية دراسة لغوية نفسية معرفية، تهدف إلى الكشف عن طبيعة اللغة ونموها في عقل الإنسان، حيث يرى بأنها سجية خاصة بالإنسان، وأن اكتسابها قدرة عقلية مغروسة فيه منذ ولادته، وأن أي طفل يولد في بيئة بشرية معينة سوف يكتسب لغة هذه البيئة، بغض النظر عن مستواه التعليمي والاجتماعي، ما لم يكن مصابا بأمراض جسمية أو عاهات عقلية تمنعه من تلقي اللغة أو فهمها أو حتى استعمالها، فحسب **تشومسكي (chomesky)** فإن أي إنسان يعيش في بيئة معينة يكتسب لغتها بقواعدها الصوتية، الصرفية، التركيبية، كما أنه يمكنه إتقان حتى أساليبها التداولية التواصلية.

والطفل يتوصل إلى هذه القواعد من خلال ما وهبه الله عز وجل من مقدرة عقلية فطرية كامنة في دماغه، وهذه القدرة هي التي أطلق عليها **تشومسكي (chomesky)** مصطلح: القواعد الكلية، التي يضبطها جهاز اكتساب اللغة[1]، وقد أكد على أن الطفل "لا يكتسب لغته بالتقليد والتكرار والتعزيز، وإنما يكتسبها بالتفكير والتحليل وفرض الفروض واختيارها معتمدا على كفايته اللغوية الكامنة، وعلى الدخل اللغوي بنوعيه: المنطوق والمكتوب".[2]

يعني أن الطفل لا يقوم بعملية القياس على الأشباه في إنتاجه للغة كما يسمعها، وإنما يقوم بإعادة بناء قواعدها وبلورتها، حيث تتطور تلقائيا من خلال تلك المعرفة الضمنية بتلك القواعد ويكون ذلك بسرعة وعفوية وبسهولة أيضا، وذلك لأن: "... جميع الأطفال يولدون مزودين بجهاز لاكتساب اللغة يحتوي على المعرفة الوراثية المنقولة إليه والتي يسميها تشومسكي المنطقية (الصورية) formal أو الأصول الكلية الثابتة (substantive universal)".[3]

---

[1]- ينظر: عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي: علم اللغة النفسي، البحوث العلمية، ط1، 20006، ص: 250-251.

[2]- المرجع نفسه، ص: 283.

[3]- جمال شمس الدين: علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، ص: 108.

يعني أن هذا الجهاز المستعمل في اكتساب اللغة متوفر لدي جميع الأطفال حيث أيضا يساعد على تطويرها، فله قدرة فطرية نابعة من الداخل تجعله يرتقي ويتميز عن درجة الحيوانية من خلال ما يقدمه هذا الجهاز الفطري المنطقي في قدرته على التصرف فيها من خلال الأحكام الكلية الثابتة. "فليس اكتساب اللغة شيئا يعمله الطفل في واقع الأمر؛ بل شيء يحدث له إذا ما وضع في بيئة ملائمة وهو أمر يشبه نمو جسم الطفل ونضجه بطريقة محددة مسبقا حين يقدم له غذاء ملائم وبيئة حافزة".[1]

يتضح من خلال هذا القول بأن عملية الاكتساب اللغوي مثل عملية نمو جسم الطفل حيث أنها تتطور شيئا فشيئا، وترتقي بشكل تدريجي، إذا كانت في إقليم ملائم.

يمتلك الطفل قدرة تجعله يحول البنية العميقة إلى البنية السطحية من خلال ارتباطهما ببعضهما، إذ أن الأولى هي تلك الناحية الإدراكية في الذهن للغة أما الأخرى هي الكلام المنطوق الخارج إلى السطح في اللغة، ومن خلال هذين المبدأين الأساسيين حيث يرى **تشومسكي (chomesky)** أن الإنسان له قابلية لغوية تتميز بالإبداعية و الابتكار مشتركة بين جميع البشر،حيث يعتبر أن الطفل ركن أساسي خلاّق في اكتساب اللغة[2]"يؤكد على أنّ"الطفل يمتلك قدرة خاصة في إدراك معاني ومفردات اللغة المكتسبة، وكذلك كيفية نطقها، حيث تختلف نسبة إلى حالات معينة، تتصل بالإنسان والتي تجعله يمتلك اللغة فالأولى يمكن تسميتها بالحالة الأولى للطفل وهي امتلاكه لتنظيم إدراكي، وفيها تحصل تغيرات خفيفة وسريعة خلال المرحلة المبكرة من الطفولة، ثم تأتي مرحلة الحالة الصلبة وفيها يتم اكتمال الحالة العقلية الثانية والصلبة بعد ذلك تتعرض أيضا لتغيرات طفيفة، للوصول إلى الحالة النهائية وذلك بامتلاك اللغة، حيث أن هذه الحالات

[1]- نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، ص: 187.

[2]- نايف خرما: اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، ص:93

خاصة بالنوع البشري ولها علاقة متكاملة ومترابطة فيما بينها إذ أنه بالإمكان تسميتها "نظرية اكتساب اللغة الإنسانية".[1]

والطفل السوي أثناء عملية اكتسابه للغة في مراحله الأولى من نموه العام يكون حسب ما يراه **تشومسكي (chomesky)** بطريقة عفوية تلقائية لا شعورية أي بدون وعي، فهو مهيأ لاكتسابها منذ ميلاده.[2]

ينطلق **تشومسكي (chomesky)** في تفسيره لمراحل النمو اللغوي للطفل من خلال الآتي:[3]

1- أن اكتساب بنى اللغة يتم على نسق واحد بالنسبة إلى جميع أطفال البيئة اللغوية الواحدة، وغير المصابين بأي عارض مرضي يعيق نموهم اللغوي الطبيعي.

2- يكتسب الطفل لغته عن طريق سمعه لجملها ومحاولاته لتكلمها.

3- في نحو السنة الأولى من عمره، ينطق الطفل السوي ببعض الكلمات المنفردة، وفي عمر السنة والنصف أو السنتين يركب الطفل جملا مؤلفة من كلمتين متتابعيتن أو ثلاث كلمات، وفي السنة الرابعة من عمره قد اكتسب تقريبا بنى لغته بمجملها.

4- في ما يختص باللغة التي يكتسبها الطفل ينبغي ألا تتعدى خصائصها بصورة أساسية قدرات الطفل الطبيعية على استيعابها وإلا استحال عليه اكتسابها.

5- لا يكتسب الطفل اللغة واستعمالها فحسب، بل يكتشف في الوقت نفسه، محتوى الكلام كحقيقة قائمة بحد ذاتها.

---

[1]- ينظر: نعوم تشومسكي: اللغة والمسؤولية، ص: 67.

[2]- ينظر: أحمد محمد معتوق: الحصيلة اللغوية (أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها)، عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص: 47.

[3] ميشال زكريا: الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص: 45-49.

يتضح من خلال ما قلناه سالفا من أن تشومسكي (**chomesky**) في عملية تحليله للاكتساب اللغوي عند الطفل يكون وفق مراحل تتطور مع نموه اللغوي، حيث يكون على استعداد فطري (ذهني/ نفسي) كامل لامتلاك كفاءة لغوية عالية، وذلك لإتمام عملية الكلام لديه، حيث يستطيع الطفل استكناه القواعد الكامنة في ذهنه للغة المراد اكتسابها مما يؤدي إلى نجاح عملية أداءه الكلامي لتحقيق تواصله مع أبناء جنسه، فهو بذلك ينمي صورة داخلية في اكتشاف تلك القواعد الضمنية ومعرفتها من خلال ما يحيط به من حوله، وما يجعل له القدرة والإمكانية على الحكم على أصولية واستقامة الجمل أو انحرافها ونقصها، أي مطابقة للقواعد الكلية أو مخالفة لها.

ونخلص من خلال ما قلناه سابقا أن مفهوم الملكة اللغوية عند **تشومسكي** ومسألة اكتساب اللغة مرتبطة بالاتجاه الفطري عند الإنسان، وأنها متصلة اتصالا وثيقا بالعقل البشري، لأن الطفل يولد وهو مزود بطاقة فطرية تمكنه من تحصيل ملكة لغوية واكتسابها بطريقة عفوية، فاللغة عنده حركية حيوية يتميز بها الجنس البشري عن سائر المخلوقات الأخرى.

الفصل الأول

الملكة اللغوية و اكتساب اللغة
عند ابن خلدون و تشومسكي

المبحث الأول: مفهوم الملكة عند ابن خلدون (ت808ه).

انطلق **ابن خلدون** في توضيحه لمفهوم الملكة اللغوية من منطلق اجتماعي، فقد تحدث عنها في مواضع متعددة في ثنايا مقدمته، مبيّنا ماهيتها، وكيفية تحصيلها وتكوينها، وكذلك العوامل المؤثرة فيها.

فقد عدّ الملكة شبيهة بالصناعة، في الفصل السادس والأربعون من مقدمته في أنّ اللغة ملكة صناعية، حيث يقول:

"اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها،"[1]

يتضح من خلال قوله أنّه قد ربط الملكة بالصناعة، وأنها خاصة بكل إنسان، حيث تعنى بقدرته على تحصيل اللغة، في حسن استعمالها من حيث الجودة والفساد.

فهي ملكة لسانية للتعبير عن المعاني، فإذا كان حصول الملكة بالإجادة كان تمامها وإذا كانت تحصيل الملكة اللسانية ناقصا فبطبيعة الحال تكون فاسدة وقاصرة.

لقد أشار **ابن خلدون** في مقدمته إلى مفهوم الملكة اللسانية، وبذلك فهي من اصطلاحه ،حيث يقول:

"أنّ صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية، لا نفس كيفية، فليست نفسُ الملكة، وإنّما هي بمثابة من يعرفُ صناعة عن الصنائع علمًا، ولا يُحكمها عملاً".[2]

يتبيّن لنا، أنّ **ابن خلدون** من هذا المنطلق أنّه يفرِّق بين الملكة اللغوية وصناعة العربية؛ أي أنّ الملكة اللغوية فطرية في الإنسان، أو كما اصطلح عليها هو (نفسُ كيفية)، وأما صناعة العربية فهي مكتسبة ومتعلّمة أي (العلم بكيفية) كما أوردها. وعليه فالملكة

[1]- عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط8، 2003، ص:476.

[2]- المرجع نفسه، ص:481.

عنده فطرية مكتسبة، وهي القدرة على التحكم والتصرف في عمل ما؛ أي القدرة على استعمال اللغة بإجادة دون قصور.

كما تحدّث **ابن خلدون** عن الفكر الإنساني، وعن تمييز الله عز وجل للإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل الذي زاد فيه قبسا مضيئا، حيث يقول في هذا الصدد: "أنّ الإنسان من جنس الحيوانات، وأن الله تعالى ميّزه عنها بالفكر الذي جعل له، يوقع به أفعاله على انتظام وهو العقل التمييزي أو يقتنص به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من أبناء جنسه، وهو العقل التجريبي؛ أو يحصل به في تصوُّر الموجودات غائبا وشاهدا، على ما هي عليه، وهو العقل النظري".[1]

حيث يرى بأنّ الإنسان متميّز عن الحيوان، وأنّ الله سبحانه وتعالى قد فطر فيه العقل؛ ليتسم بسمة يختلف بها عن باقي المخلوقات الأخرى. أي عن طريق العقل الإنساني يميّز الإنسان بين مختلف الأفكار والآراء التي تخدم مصلحته واتصاله بأبناء جلدته.

ويضيف في هذا السياق: "... أن الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة، فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته، وهو (وجدان حركة النفس)، في البطن الأوسط عن الدماغ... هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات".[2]

ومنه **فابن خلدون** في ثنايا مقدمته يتحدّث عن اشتراك الإنسان مع الحيوان في الغذاء والحركة والحس...وغير ذلك، إلا أنه قد فضله الله سبحانه وتعالى عنه من خلال الفكر، وميّزه به عن سائر الكائنات الأخرى، حيث من خلاله يمكنه أن يفسر، يحلل، يدرك، يركب، يتأمل، يلاحظ... وما إلى ذلك. ومن خلال اليد التي بها يستجيد جملة من الصنائع سواء بتمامها أو نقصانها؛ أي أنّ الإنسان يفكر، نظريا، وباليد يمكنه أن يجعل

[1]- المرجع السابق، ص:374.

[2]- المرجع نفسه، ص:495.

طبيعة الفكرة عملية، حيث يقول في هذا السياق: "أنّ اللغة ملكة في اللسان، وكذا الخط صناعة ملكتها اليد".[1]

ومعناه أن اللغة تمثل اللسان السوي التي تخضع للإرادة والعقل فيتم إنتاجها عن طريق الكتابة.

وبناءً على ذلك فإن الملكة تكون قادرة على التحكم في ذلك العمل المنتقى، ويصير لها الاستعداد الكامل على التصرف به، بعد أن تستولي عليه النفس وتستبد به، فيعود إليها، فتكون بذلك في وجدان النفس وتحقق كمالها، بالنظر إلى ما يقيدها ويميزها وبذلك تكون القدرة على استعمال اللغة بعفوية وروحانية، حيث تتحقق الملكة بتتابع الفعل وتكراره؛ ليصبح صفة راسخة.

وهذا ما يؤكده في قوله: "الملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته".[2]

اللغة كلية مركوزة فينا وأن جميع البشر يكتسبونها من خلال نظام وقواعد موحدة، من جميع النواحي، إلا أنها تختلف باختلاف الألسن، عربي، صيني، فرنسي، إنجليزي.. وما إلى ذلك، حيث تتفاعل مع أفكارنا ومشاعرنا، وتصوير مفهوماتنا، بها يتواصل مختلف الشعوب والأمم، وبها تتحقق وسيلة الإبلاغ والتبليغ بين أفراد الأمة الواحدة، وتؤدي بذلك وظيفتها التعبيرية وغير ذلك.

تتصف اللغة بأنّها ميزة إنسانية تمتلكها مجموعة بشرية، لأجل التواصل والتخاطب والتبليغ وبذلك تتحقق الإفادة.

[1]- المرجع السابق، ص:468.

[2]- المرجع نفسه، ص:315.

يقول **ابن خلدون**: "هكذا تصيّرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل، وتعلّمها العجم والأطفال، وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع، أي بالملكة الأولى التي أُخذت عنهم، ولم يأخذوها عن غيرهم".[1]

ويتضح من ذلك أن العرب قد توارثوا اللغة جيلا بعد جيل، حتى تكوّنت لديهم ملكة لسانية، فهي تنشأ بين الأفراد، الذين طبعوا وجُبلوا عليها، وتجسّدت بعد ذلك في الذهن _النفس.

اللغة ظاهرة فكرية إنسانية، لا يمكن أن تنشأ إلا في وسط المجتمع، بغية التواصل والتعامل في ما بينهم، وعليه فقد ارتبط مفهوم الملكة اللغوية (اللسانية) عند **ابن خلدون** بالمواضعة اللغوية، التي تنبئ عن عقد اجتماعي يؤمن سلامة الاتصال بين المرسل والمتلقي.[2]

"فاللغة وطريقة استخدامها، هي التي تطبع كل مجتمع بطابع خاص يصبح هو الطابع المميز في عيون الآخرين من خارج ذلك المجتمع، بحيث تصبح نظرة هؤلاء لكل فرد من أفراد ذلك المجتمع كأنه قطعة تتمثل فيه جميع الصفات التي تميز مجتمعه كله، بغض النظر عن الفروق الواضحة بين فرد وآخر".[3]

وعليه فاللغة ظاهرة اجتماعية يتم استخدامها بين الأفراد في المجتمع الواحد، وذلك لأجل تحقيق التواصل وأواصر الترابط بين أبناء جنسه، كما تجعل من الفرد قطعة تميّزه عن باقي الأفراد من خلال استخدام لغته في مواضع معينة.

حيث يقول **ابن خلدون** في هذا السياق: "... أن الإنسان هو مدني بالطبع، أنه لا تمكن حياة المنفرد من البشر، ولا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه، وذلك لما هو عليه من

---

[1]- المرجع السابق، ص:477.

[2]- ينظر: فايز عيسى المحاسنة: الملكة اللغوية عند ابن خلدون (دراسة لسانية مقارنة)، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، ع3، مج3، تموز، 2003، ص:5.

[3]- نايف خرما: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص:127.

العجز عن استكمال وجوده وحياته، فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبدا لطبعه".[1]

فالإنسان بطبيعته اجتماعي، إذ أنّه لا يمكن أن يعيش كل فرد بمعزل عن حياة الجماعة؛ لأن ذلك فيه من العجز في إكمال حياته طبيعيا، فالفرد لا يكون له دور فعّال إلاّ في وسط منظومته الاجتماعية، على حد تعبير **ابن خلدون** الإنسان اجتماعي بطبعه.

زيادة على ذلك اهتم **ابن خلدون** بفكرة التراكيب لما لها من دور في تحقيق الملكة وحصولها، وذلك، "أن الملكة اللسانية يتم استعابها من خلال فهم التراكيب النحوية المبثوثة في ثنايا النص الأدبي أو الكلام البليغ، ثم القدرة على تمثلها مرة أخرى أو إنتاج تراكيب شبيهة بهذه التراكيب المتنوعة".[2]

فهو يؤكد على أهمية التراكيب النحوية في تحصيل الملكة اللسانية؛ لأنّها صفة راسخة في النفس وبعد استعابها وفهمها تكون له القدرة على التمثيل والتجسيد في إنتاج تراكيب مماثلة لها وبذلك تكون متنوعة ومتباينة.

الملكة اللغوية (اللسانية) تستقيم في جملة الوحدات اللغوية وهي مجتمعة، ولا يمكنها أن تتجسّد في انفراد تلك الوحدات اللغوية، وبذلك فتعلم اللغة يكون على المحور التركيبي النحوي، ولا يكون في المحور الذي تتفرد فيه الكلمات، وفي إشارة أخرى ركز **(محمد الصغير بناني)**- حسب **ابن خلدون**- على النحو باعتباره كيفية لتركيب الكلام، باستخدام الفكر، وهو أن النحو مرتبط بنشاط الفكر، وهذا النشاط يعنى ببناء العقول، وصياغة القوالب، وعليه فالنحو أساسي في تكوين عملية الملكة اللسانية، فقد أولى **ابن خلدون** عناية فائقة بعلوم اللسان العربي، حيث أنه يقدم النحو على باقي العلوم، وذلك

[1]-عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص:371.

[2]- أمل محمود علي إبراهيم: تصور مقترح لتدريس القواعد النحوية لتلاميذ المرحلة الإعدادية بمحافظة القاهرة في ضوء الملكة اللسانية لابن خلدون، مجلة جامعة المدنية العالمية، ع16، 2016، ص:431.

للإبانة على المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل عن المفعول، والمبتدأ من الخبر... وما إلى ذلك.

وبناءً على ذلك يتضح بأنه قد ربط النحو بالصناعة، بمعنى أنّه من أجادها وترسّخت قواعد ومبادئ النحو فيه بالجبِّلة أي عفويا دون قيامه باستذكار لتلك القوانين، من خلال قوله: "فإن العلم بقوانين الإعراب، إنّما هو علم بكيفية العمل وليس نفس العمل".[1]

فهو بذلك فرّق بين علم النحو والنحو، فالأول من يعرف القوانين والقواعد دون رسوخها بالتالي لم يحصل في ذلك ملكة ، أما الثاني فقد أحكم تلك القوانين والقواعد في النفس _الذهن مما جعلها راسخة، وعليه فقد تمّ حصوله على ملكة.

ويفسر ذلك **(سالم علوي)** في: "... أن علم النحو ليس هو العربية، بل هي ملكة يمتلكها الإنسان مند الطفولة ويتدرب عليها حتى يحكمها.. والنحو هو صناعة قوانين هذه الملكة".[2]

ويتبيّن لنا، بأن النحو هو الركيزة الأساسية لإتقان اللغة العربية، وبذلك يمكننا الحصول على ملكة لغوية (لسانية) في العربية، كما يمكننا أن نشير إلى أن علماءنا القدامى كانوا يصطلحون على علم النحو بعلم العربية، والمتأمل لكتاب المقدمة يجد تكرار لفظة الملكة، حيث اعتبرها المعيار الحقيقي والسجية المركوزة في فكر كاتب أو نحوي أو لساني، وهذه الصفة لها أساسان:

- إما أن تكون جبِّلية تنشأ مع الطفولة، في المحيط المعاش فيه عربي كان أو غير عربي، حيث يقول **ابن خلدون**: "أن النفس وإن كانت في جبّلتها واحدة بالنوع، فهي

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص:481.

[2]- سالم علوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، دار هومه، الجزائر، ص:99.

تختلف في البشر بالقوة والضعف في الإدراكات والملكات والألوان التي تكيّفها من خارج؛ فبهذه يتم وجودها، وتخرج من القوة إلى الفعل صورتها".[1]

ومعناه أنّ الملكة تختلف من فكر شخص إلى آخر انطلاقا من القدرة الفكرية لكل إنسان في إدراكه للوقائع الخارجية باختلافها وتنوعها.

حسب (**أبو خلدون ساطع الحصري**)أن الملكة التي يتحدث عنها ابن خلدون هي تلك الصفة الراسخة التي تكتسبها النفس من جراء الممارسة والمران، والتي تؤدي إلى حصول الأعمال الفكرية والجسدية بسرعة وسهولة، إذ تجعلها بمثابة بالجبِّلة والفطرة.[2]

فالملكة عند **ابن خلدون** ملكات، فنظرته إليها هي نظرة اجتماعية، حيث يتكلم الأفراد في المنظومة الاجتماعية، بكلام مفيد المعنى، وبذلك يقول: "اعلم أن الكلام الذي هو العبارة والخطاب، إنما سرّه وروحه في إفادة المعنى، وأما إذا كان مهملا فهو كالموات الذي لا عبرة به".[3]

يعني بذلك أن الكلام لابدّ أن تكون له دلالة لبلوغ المقاصد، لدى المتكلم والسامع حتى يتحقق التواصل، فإذا كان غير ذلك فهو لغو لا مفاد منه.

وهو ما يؤكده في قوله: "ثم اعلم أنهم إذا قالوا "الكلام المطبوع" فإنّهم يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله المقصود منه، لأنه عبارة وخطاب، ليس المقصود منه النطق فقط، بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة، ويدل به عليه دلالة وثيقة".[4]

فالمتكلم لابدّ أن يحقق إفادة، أي إيصال المعنى المراد إلى السامع، وذلك لأجل تحقيق التخاطب في العمران البشري (المجتمع)، وليس الغرض من المتكلم التكلم فقط

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون، ص:496.

[2]- ينظر: أبو خلدون ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار المعارف، مصر، 1953، ص:423.

[3]- المرجع السابق، ص:498.

[4]- المرجع نفسه، ص:ن.

بالسجية، وإنّما يكمن ذلك السرّ في كيفية إفادة السامع بالدلالة والمعنى المقصود من كلامه.

وهنا نجد أنفسنا أمام نقطة مهمة، وهي أنّ الملكة قبل اكتسابها تكون شعورية وبوعي، أما بعد اكتسابها فتكون لا شعورية (دون وعي)، وبذلك يكون الطبع غير شعوري (لا وعي)، لأنه فطري ولد مع الإنسان، وفي ذلك يقول: "ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها"،[1] أي أنّ الإنسان يولد ولديه الاستعداد الفطري لتقبل الملكات والحصول عليها.

فالقدرة على تحصيل الملكة، وحسن استخدامها من حيث جودتها أو فسادها، يكون بذلك قد اكتسب ملكة لسانية، وفي هذا يقول: "أن الحذقَ في العلم والتفنُّنَ فيه والاستيلاءَ عليه، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا".[2]

نستطيع أن نقول بأنّنا قد حصلنا على ملكة في ذلك العلم أو الفن إلا إذا تمكنا من أساسيات وقوانين ذلك الفن، والوقوف على قضاياه، واستقراء ما فيه، بالتالي فقد استطعنا أن نحصل على ملكة في علم ما دمنا نستطيع التحكم فيه والتصرف به.

ويمكن للإنسان التطلع على المعرفة لتحصيل الملكة في العلوم والمعارف المتباينة والمتنوعة من خلال الفكر الذي تميز به، وبذلك يكون قد حقق الحذق في علم من العلوم وما إلى ذلك.

وعودة إلى حديثنا عن علاقة العمران البشري (المجتمع) بالعلم، حيث يرى **ابن خلدون** أن العلم والتعليم طبيعيان في العمران البشري؛ لأن ما يتميز به الإنسان عن

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 319.

[2]- المرجع نفسه، ص:342.

الحيوان هو إعماله للفكر، كما ذكرنا ذلك سالفا، والذي من خلاله يتمكن الإنسان من تطوير كل مناحي حياته المادية والروحية والمعيشية.[1]

ومنه فنشأة الملكة كانت منذ الطفولة، أي من لحظة ميلاد الإنسان اللغوي، من خلال محيطه الذي يعيش فيه، حيث يقول: "لو فرضنا صبيا من صبيانهم، نشأ ورَبِيَ في جيلهم، فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها، حتى يستولي على غايتها، وليس من العلم القانوني في شيء وإنما هو بحصول هذه الملكةٍ في لسانه ونطقه".[2]

وعليه فمن ترعرع ونشأ في بيئة غير بيئته، فبذلك يستطيع أن يحكم قوانينها وقواعدها، ويصل إلى مراده وهدفه وهو حصول ملكة في ذلك اللسان، لأنه نشأ بين أحياءهم وكلامهم، وصار نطقه وكلامه مثلهم.

أي أنه صارت له ملكة على نحو كلامهم وبذلك فنفسه استولت على تحقيق تلك الغاية.

- كما لا يفوتنا الإشارة إلى أن الملكة اللسانية لا تتم بطريقة عشوائية، وإنما تخضع لمبدأ التدرج في فكرة التعلم، ويقدم في ذلك **(أبو خلدون ساطع الحصري)** في شرح ذلك بأن الملكات من المنظور الخلدوني، تستند إلى مبدأ نفسي عام إذ أن كل فعل – ماديا أو معنويا، فكريا كان أو بدنيا_ لابد من أن يترك أثرا في النفس، فإذا تكرر الفعل ارتسم أثره في النفس، تولد من ذلك صفة، ثم تتجسد تلك الصفة، فكونت ملكة، وبذلك فهي تنمو شيئا فشيئا على التدريج، تبعا لهذا التكرار فكأنها تتغذى به وبذلك تقوى منه.[3]

لقد ذكر **(عبد السلام المسدي)** من خلال ما جاء به عن نظرة **ابن خلدون** للملكة اللسانية، حيث يقول في هذا: "بأنّ **ابن خلدون** أول ما يتقرر لديه في هذا المضمار أن

[1]- ينظر: البخاري حمانة: الموسوعة التاريخية للشباب (ابن خلدون)، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ص:100.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة بن خلدون،ص:483.

[3]- ينظر: أبو خلدون ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص:424.

الملكة في الحدث اللساني تستند إلى حصوله كلاًّ لا يتجزأ، أي أنّ ممارسة الإنسان للغة بالملكة تنفي عنه أن يكون واعيا بانفصال مفرداتها عن تراكيبها، وهو ما يُنمّ عن بصيرة عميقة عند صاحب المقدمة في أمر الظاهرة اللغوية مما يلحق الاكتساب عن طريق المنشأ الطبيعي بقوانين الإدراك الشمولي حيث يعي الإنسان الكلَّ دون أن يكون حتما قد وعى أجزاءه".[1]

ونستشف ممّا أورده **(عبد السلام المسدي)** عن نظرة **ابن خلدون** للملكة، حيث يُعنى بالتراكيب وما لها من قيمة من الإفادة في كمال المعنى، وأن تمام الملكة يكون بنظرته لهذه التراكيب التي تحدد دلالة المقاصد عند الإنسان.

فكما فهمنا من خلال ما أوردناه سابقا بأنّ الملكة خارجية قابلة للملاحظة؛ أي أنّها ذات بعد بيولوجي. حيث يقول صاحب المقدمة: "والملكات كلها جسمانية، سواء كانت في البدن أو في الدماغ، من الفكر وغيره، كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة، فتفتقر إلى التعليم".[2]

يعني أنّ الملكة ذات بعد محسوس قابل للملاحظة والتجريب مرتبطة بالذهن/ النفس أي الدماغ / البدن. أي أنّها تقصر عملية التعليم إذا لم تكن ذا وصل بالعالم المحسوس.

فمن خلال ما أوردناه سابقا **فابن خلدون** يرى بأن عامل الزمان هو الكفيل بإخراج الملكة من القوة إلى الفعل ويكون ذلك بالتدريج شيئا فشيئا، أي قليلا بقليل، بالإضافة إلى عامل الحضارة والتطور فذلك داعي إلى استعمال الصنائع واستنباطها من الجزء إلى أن تصل إلى الكل، وبالتالي فاللغة إذن ظاهرة فكرية إنسانية وهو ما يتميز به.

[1]- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، 2، 1986، ص:216.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص:342.

ونجد **ابن خلدون** يربط اللغة بالصناعة وجعلها مثيلة بها، حيث يقول في هذا السياق: "أن الألسن واللغات شبيهة بالصنائع... وأن الصنائع وملكاتها لا تزدحم، وأن من سبقت له إجادة في صناعة فقلّ أن يُجيد أخرى أو يستولي فيها على الغاية".[1]

شبّه **ابن خلدون** اللسان واللغة بالصناعة، وأنها لا تجتمع وإن اجتمعت فلا تكون بقدر إجادة الأولى، وبالتالي لم يتحقق الهدف في الوصول إلى تلك الملكة.

ويقرّ **ابن خلدون** من خلال ما جاء به في مقدمته بأن: "الملكاتُ اللسانيةُ كلها إنّما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم، حتى يحصل شبه في تلك الملكة".[2]

حيث أنّه يرجع إلى أن الملكات اللسانية تكتسب بالمران على الكلام وإجادته حتى يمكن أن تحصل تلك الملكة وتكون مثيلة للأولى.

كما يبيّن لنا طريقة تحصيل الملكة اللغوية (اللسانية) من المجتمع لا من القواعد، فإذا كان المجتمع سليما لغته ولسانه؛ فإنّ التعلم بطبيعة الحال يكون منه تلقائيا كما كان في المجتمع العربي القديم قبل الاختلاط.[3]

يعدّ **ابن خلدون** رائدا من روّاد الفكر اللساني في الحضارة العربية، وينظر إلى التعليم من ناحية اجتماعية وحضارية وتاريخية... ويربط الملكة بالصنائع، حيث يقول في الفصل السابع عشر المعنون بـــ: في أن الصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته من المقدمة: "وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ، واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة".[4]

وهو بذلك يرى بأنّ على حسب العمران تكون الاستجادة في مختلف الصنائع، لتوفر عناصر الغنى والثراء في جميع النواحي.

---

[1]- عبد الرحمن ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون، ص:488.

[2]- المرجع نفسه، ص:489.

[3]- ينظر: حسين بن زروق: النظريات العربية حول حصول ملكة اللغة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1985-1986، ص:183.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص:344.

يشير لنا في السياق نفسه إلى أن الصنائع تكثر بكثرة العمران، وتقل بقلتهم وذلك في قوله: "أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار على نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة والترف، تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة، لأنه أمر زائد عن المعاش".[1]

يعني أنه لم يتحقق الأمن والاستقرار في مختلف المجالات الحياتية لدى الإنسان، فبطبيعة الحال يتجه إلى صناعات متباينة من أجل الحصول على الحذق في تلك الفنون المتناولة بغية الحصول على تلك الملكات؛ لأجل إنارة فكره واتزان عقله. وعليه فابن خلدون يقول في هذا الصدد: "وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية، تزيد الإنسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس، إذ أنّ النفس تنشأ بالإدراكات وما يرجع إليها من الملكات فيزدادون بذلك كيسًا لمّا يرجع إلى النفس من الآثار العلمية، فيظنه العامي تفاوتا في الحقيقة الإنسانية وليس كذلك".[2]

يتبين من ذلك، أن **ابن خلدون** يتحدث عن الملكة، وهي تلك الصفة الراسخة في النفس الإنسانية، حيث تزيد في الإنسان الفطنة والحذق في تحصيل تلك الملكات وتحسن هذه الملكات بكثرة الطلب لها، حيث يقول: "أنّ الصنائع إنّما تستجاد إذا احتيجَ إليها وكثُرَ طالبها".[3]

تزيد الملكات والصنائع بكثرة طالبها وتحصل الإجادة والاستقامة فيها، لما تكون الحاجة لها، وكذلك فإنه بضعف الأقاليم ونقص مجتمعاتها، وقلّة طالبها، فذلك بالتالي يؤدي إلى ضعف وقلة الصنائع من خلال قوله: "فإذا ضَعُفَت أحوال المصرَ، وأخذ في الهرم بانتقاض عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف، ورجعوا إلى الاقتصار على الضروري

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون،ص:344.

[2]- المرجع نفسه، ص: 344.

[3]- المرجع نفسه، ص:318.

من أحوالهم، فتقلّ الصنائع التي كانت من توابع الترف... ولا تزال الصناعات في التناقص ما زال المصرُ في التناقص، إلى أن تضمحل".[1]

يرى **ابن خلدون** بأنه إذا آلت الأقاليم والمدن والدول إلى التراجع، ووقوع الخراب والفساد فيها، فذلك بطبيعة الحال يعود على الصنائع، حيث أنها تؤدي إلى ضمور الصنائع واختفائها، وتضمحل تلك الملكات دون تحصيلها. وذلك لعدم وجود حياة الترف والغنى. لأنها من أسباب تزايد الصناعات والملكات، يعني أنه إذا كانت هناك حياة مستقرة من الترف... وما إلى ذلك فبالتالي يكثر العمران ويزيد من ساكنيه، فهذا يؤدي إلى التزايد في الصناعات، وتكمل إجادتها.

وهو ما يؤكده في قوله: "وإذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها؛ فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها".[2]

ويعني ذلك أنّه بتزايد الترف يزيد العمران، وبتزايد العمران يتزايد ويكثر ساكنوه وبتزايد الساكنين تتزايد الصنائع، وعليه تحصل الإجادة في مختلف تلك الملكات وبالتالي لا يمكن أن تنتقض أو تختفي. كما أشار **ابن خلدون** إلى فكرة النزوع الديني وربطها بفكرة الإيمان التي تستقر في النفس حيث تظهر في ثنايا المقدمة تلك النزعة الدينية لصاحب المقدمة وقوة الإيمان فيه، من خلال ختامه لمواضع بآيات قرآنية وغيرها، فكما قلنا فالملكة تلك السجية المركوزة في النفس. وفي هذا يقول **ابن خلدون**: "أن ملكة الإيمانٍ إذا استقرّت، فإنها تحصل بمثابة الجبِّلة والفطرة".[3]

يعني أنّه لمّا تتجسد ملكة الإيمان في النفس يعسر عليها معارضتها ومناقضتها، حيث أن الملكات لما تترسخ فإنها تكون وكأنّها طبيعية.

---

[1]- المرجع السابق،ص:318.

[2]- المرجع نفسه، ص:316.

[3]- المرجع نفسه، ص: 366.

يرى **ابن خلدون** بأن الملكة تفيد صاحبها بتنوير عقله وقوام فكره، حيث يورد ذلك في "فصل العلوم الهندسية" من خلال قوله: "واعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله واستقامة في فكره، لأن براهينها كلها بنية الانتظام جلية الترتيب، لا يكاد يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيع".[1]

ومعناه أن ملكة الهندسة صفة راسخة في النفس الإنسانية، حيث تزيد في العقل نورا ويستقيم الفكر فيها، وأن العمل على هذه الملكة يجعل الفكر ينأى عن الخطأ لوضوح دلائلها نظما وترتيبا، وبذلك يكون له عقل متميز على هذا المقياس.

يؤكد **(أبو خلدون ساطع الحصري)** بأنّ **ابن خلدون** في فصل علم الكلام يشبّه العقل بالميزان، من خلال قوله: "العقل ميزان صحيح...".[2]

العقل هو العامل الأساس الذي يمكن من خلاله التمييز بين ما هو صحيح وخاطئ وناقص وكامل، ومستقيم أو منحرف.. فهو بطبيعة الأمر ميزان صحيح عادل يتميز به الإنسان عن البقية من الكائنات الأخرى.

تحدث **ابن خلدون** عن فكرة السجية الراسخة التي تكتسبها النفس، حيث وسع فكرته بالإحالة إلى ملكة الكتابة التي تساعد الإنسان في التعبير عمّا يختلج النفس الإنسانية، والإحاطة بجميع المعاني، مما يكسب ذلك زيادة وإفادة للعقل، حيث أن الكتابة مفيدة من جميع النواحي خاصة وأنها تشتمل على المعارف والعلوم المختلفة والمتنوعة، كما ينظر **ابن خلدون** إلى اللغة والملكة نظرة تاريخية، فهما تحاكيان المجتمع في تغيراته: الحضارية، الاجتماعية، السياسية....

ومنه فقد ركّز على ماهية الكتابة في تطوير الملكة اللسانية عند المتعلم وبالأخص الطفل في مرحلة النشأة.

---

[1]- المرجع السابق، ص:398.

[2]- أبو خلدون ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص: 364.

يكتسب المرء الملكة بصورة طبيعية تلقائية من البيئة التي ترعرع فيها، فمثلا العربي الذي يتكلم العربية فبالتالي ملكته اللغة العربية وذلك من خلال التداول واستعمال اللغة العربية في ما بينهم بغية التواصل والإبلاغ والتبليغ لتصبح بذلك صفة راسخة – وبذلك يصطلح مصطلح "الذوق" وهو الذي بدوره يعرف المتكلم الصواب والخطأ، ويظهر ذلك بشكل طبيعي، حيث يقول: "... اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان... وإن سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى، مجّه ونبا عنه سمعه بأدنى فكرٍ، بل وبغير فكر، إلا بما استفاده من حصول هذا الملكة".[1]

العرب بطبيعتهم ملكوا اللغة العربية، فإن تكلم أو سمع كلا ما غير الكلام المستقر والراسخ في أذهانهم بالجبَّلة، فإنه بطبيعة الحال لا تستسيغه الأذن ولا تطرب له النفس، فهو يعرف الصواب من الخطأ، والحسن من القبيح...

كما يذهب **ابن خلدون** إلى أن ملكة الشعر وتحصيلها تثير النفس وتوقظ نشاطه الفكري، ولإحكام هذه الملكة لابدّ من معايير حتى يمكنه النسج على منوال العرب القدامى وما تتركه من أثر في النفس وتتكيف معها وينتقش فيه روح الإبداع والابتكار مما يزيد في الجمال والرونق فيصبح مهيئ لنظم الشعر ويستحكم ملكته لتكون بذلك صفة راسخة، وأن عملية الإبداع عند الشاعر فهي ليست مفاجئة له فلما تنشط القريحة لدى الشاعر ويستطيع بذلك أن ينسج وينظم شعرا ويتم تحصيله لتلك الملكة وكأنها مطبوعة في نفسه.
وعلى هذا: "فالشعر عبارة عن هيئة راسخة في النفس شبيهة بملكة اللغة... وإذا كان لابدّ من اعتبار الشعر ملكة لغوية أعني بنية نفسية عصبية تتشكل بحفظ الكلام الشعري فهو على كل حال ملكة الملكات إن صح التعبير، لأنّ صاحبها يصبح بمنزلة الواضع للغة والمجدد لتراكيبها".[2]

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص:483.

[2]- محمد الصغير بناني: البلاغة والعمران عند ابن خلدون، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1996، ص:178.

يعني أنّ ناظم الشعر له من الصفة كمن لديه ملكة لغوية (لسانية)، فهو سجية وصورة متجسدة في النفس الإنسانية تماثل ملكة اللغة. فهو يأتي بتراكيب جديدة مستقاة على القالب الشعري المحفوظ والمنسي للشعر العربي القديم الفصيح البليغ وما تركه من أثر في نفسه وبذلك يبدع الشاعر في نظم الشعر من خلال تفجير قريحته للإتيان والحصول على هذه الملكة وكأنّها طبيعية عفوية.

ومن الأمور التي توضح لنا بصورة جلية مفهوم الملكة هما: المراحل التي تكون الملكة اللسانية عند ابن خلدون والعوامل المؤثرة فيها.

المطلب الأول: مراحل تكوين الملكة اللسانية عند ابن خلدون:

ركّز **ابن خلدون** على مفهوم الملكة اللغوية (اللسانية)، حيث تناولها بعناية فائقة في ثنايا مقدمته. وقد شكلت بؤرة اهتمامه، إلاّ أنّ هذا لا ينفي من أنّه قد أغفل النظر عن مراحل تكوينها وسيتبيّن ذلك من خلال ما سنورده عن هذه المراحل وفق التقسيم التالي:

- السماع.
- التكرار والممارسة.
- الترسيخ.

يأخذنا الحديث إلى الإشارة أن الملكات صفات في النفس تترك أثرا فيها. وفي ذلك يقول: "الملكات صفات للنفس وألوان".[1]

يعني أن الملكات صفات تتصف بها النفس، وتتنوع من واحدة إلى أخرى، ويعلل **(أبو خلدون ساطع الحصري)** عن قول **ابن خلدون** بأن الملكات صفات للنفس، والنفس إذا اتصفت بصفة ما، يصعب عليها أن تتصف بصفة مغايرة، ولا سيّما إذا كانت هذه الصفة مخالفة لأولاها تماما، أي أن النفس تتلون بملكات، فإذا تلونت بلون من الألوان يصعب عليها قبول لون آخر، غير اللون الأول، وهذا ما نؤكده بقول **ابن خلدون** في هذا السياق:

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 319.

"... فإذا تلوّنت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعدادُ باللون الحاصل من هذه الملكة، فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف".[1]

يتضح من ذلك أنّه لمّا ترسخ ملكة في نفس الإنسان فإنّه لا يستطيع ترسيخ ملكة أخرى، وإن استطاع فلا تكون بنفس إجادة الأولى وبنفس القابلية الفطرية؛ لتكون بذلك ملكة متجسدة في النفس. ويضرب مثلا حول ذلك في أن من أحكم ملكة الخياطة يعسر عليه بعد ذلك إحكام ملكة النجارة أو البناء لأنها تجتمع دفعة واحدة.

وكذلك فإنّ تكوين الملكات عند **ابن خلدون** يظهر جلياً من خلال كل ملكة وكيف تنشأ، وعن كيفية ترسيخها في النفس، وما تتركه من أثر فيها. من خلال قوله: "الملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر، وملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسيل، والعلمية بمخالطة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار، والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها.. والتصوفية الربانية بالعبادات والأذكار.. حيث تحصل له ملكة الرجوع إلى حسه الباطن وروحه، ... وللنفس في كل واحد منها لون تتكيف به، وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءةٍ تكون تلك الملكة".[2]

أي أنّ الملكة تختلف مجالاتها من شخص إلى آخر حسب تخصصه فمجال الشعر غير مجال الكتابة... وغيرها من المجالات.

نعود إلى موضوعنا، وهو التبصّر بمراحل تكوين الملكات لدى **ابن خلدون** حيث نلج إلى أول مبدأ وهو **"السماع"**، فإذا امتلك الواحد ملكة واستولى على ناصيتها، فهو بذلك قد تمكن من تحصيل ملكة لسانية حيث يقول: "السمع أبو الملكات اللسانية".[3]

حيث أولى أهمية كبيرة للسماع من خلال فعل المشافهة التي تكتسب بها الملكة اللسانية العربية، إلى أن دخل الأعاجم الإسلام، واختلطت الشعوب في ما بينها، عربي

---

[1]- المرجع السابق،ص:319.

[2]- المرجع نفسه، ص:496.

[3]- المرجع نفسه، ص: 470.

أعجمي، مما أدى إلى فساد ملكة اللسان العربي، بعد أن كانت تكتسب من أفواه العرب بالمشافهة والمحاورة، حيث كان العربي يتكلم بالسليقة دون لحن، أو غلط، ومن أخطأ في لغته اعتبر ذلك عيبا كبيرا يُتعيّر به، فكما قلنا بأن الأعاجم لما دخلوا إلى الديانة الإسلامية، استدعى بهم الأمر إلى تحصيل ملكة اللسان العربي، فبطبيعة الحال استصعب الأمر عليهم، لأن اللغة العربية بحر زاخر ببيانها ومعانيها وبديعها.

كما يفسّر ذلك **ابن خلدون** بأنّه من كانت له ملكة نشأ عليها فإنّه بطبيعة الحال يستعسر عليه الأمر في تحصيل ملكة أخرى وبالتالي يقصّر فيها حتى وإن امتلكها فتكون ناقصة.

ويعلّل ذلك من خلال ما جاء في قوله: "... فإذا سبقت إلى محله ملكة أخرى، قصرت بالمحلِّ عن تمام الملكة اللاحقة لأن قبول الملكات وحصولها للطبائع التي على الفطرة الأولى أسهل وأيسرُ، وإذا تقدمتها ملكة أخرى كانت منازعة لها في المدة القابلة وعائقة عن سرعة القبول، فوقعت المنافاةُ وتعذّر التمامُ في الملكة".[1]

يعني أنّه لمّا تتجسد ملكة في نفس الإنسان فإنّه يصعب عليه ترسيخ ملكة أخرى؛ لأنّ الأولى تكون بالفطرة وبالتالي سهلة وبسيطة، أمّا في تحصيل الملكة الثانية فتكون صعبة التقبل وفيها من القصور في عملية تحصيلها ويتعذّر كمالها، وسبب الاختلاط بين الأمم والشعوب المختلفة، مما أدى إلى فساد الفصحى، وتأثيرها على اللسان العربي؛ لأن العرب كانت تنطق بالجبِّلة متبعة في ذلك المشافهة والمناظرة. حيث يقول في هذا الصدد: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة فيهم، كما يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في مخاطبتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصَبِّيُّ استعمال المفردات في معانيها، فيُلَقَّنُها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيُلَقَّنُها كذلك ثم لا يزال

[1]- المرجع السابق، ص:488.

سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم".[1]

ملكة اللغة العربية كانت تكتسب بالسماع من أهل العرب وذلك من خلال أساليبهم ومحاوراتهم، حيث يسمع الألفاظ المفردة ثم التراكيب ويتعلمها، إذ أنه تتطور في كل مرة عند كل متكلم بالتكرار والمران لتكون بذلك عندهم ملكة متجسدة فيهم وكأنها طبيعية عفوية.

فحسب **ابن خلدون** فإن السمع أبو الملكات اللسانية: "إذ هو الحاسة الحساسة التي تؤثر في اللسان، إذ سرعان ما تؤثر في الألسن المختلفة فتتزاوج اللغات ويتداخل بعضها في بعض".[2]

فهو يرى بأن حاسة السمع هي التي تؤثر في اللسان بصفة عامة، وفي اللسان العربي بالخصوص. وبذلك تتمازج وتتداخل اللغات في ما بينها.

يكتسب الطفل اللغة من خلال ما يسمعه من محيطه الطبيعي الذي يعيش فيه؛ أي أن: "الذي يحصل عليه الطفل في المراحل العمرية الأولى من خلال بيئته هو (اكتساب الملكة) خاضع للتقليد الناتج عن السماع".[3]

حيث تتحدد طريقة السماع باعتبارها جزء مهما في الملكة اللغوية وأنها تزيد فيها الجودة والنقاء أيضا.

يتحدّث **ابن خلدون** عن الصفة الراسخة التي تكتسبها النفس جرّاء "التكرار والممارسة" وهو ثاني مبدأ في تكوين الملكة عنده، حيث يقول في ذلك: "والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته".[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص: 477.

[2]- سالم العلوي: وقائع لغوية وأنظار نحوية، ص: 141.

[3]- باسم يونس البديرات: علوم اللسان العربي في مقدمة ابن خلدون،(دراسة لغوية معاصرة)،الأكاديميون للنشر و التوزيع،عمان ،الأردن،ط1، ص: 78.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 315.

حيث ينظر إلى الملكة على أنها سمة متجسدة في النفس، تمكن الإنسان من القيام بالعمل العائد إليه، من خلال تكراره وممارسته لترتسم تلك الصورة فيه . فالملكة عنده تكتسب بتكرار الأفعال والمران عليها لتجسيدها في النفس لتصبح صفة راسخة.

أمّا المعيار الثاني الذي يمثل فعل "**الممارسة والمران**" على تكرار الفعل، حيث يرى بأن: "الأفعال الاختيارية كلها ليس شيء منها بالطبع، وإنما يستمر بالقدم والمران حتى يصير ملكة راسخة".[1]

وطريقة انتقاء الأفعال ليست أشياء مجبولة وفطرية في الفرد، و إنّما من خلال ممارستها والتدرب عليها ومع الوقت تصبح صفة متجسدة في النفس الإنسانية.

ويؤكد **ابن خلدون** ما جاء به من أن حصول الملكات يكون بتكرار الأفعال وتتابعها والاستمرار دون الانقطاع في قوله: "الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكرره".[2]

يتسنّى لصاحب الملكة تكرار الفعل واستمراره، وذلك من خلال الاعتياد عليه وذلك يكون بالمران والممارسة لذلك الفعل لترسيخه في الذهن، وترك أثر في النفس. مؤكدا ذلك بقوله: "إنما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرر لكلام العرب".[3]

أي أنه للحصول على الملكة لابدّ من تكرار كلام العرب ثم المران عليه والتدريب من خلال التداول، وبذلك يتعود اللسان على ممارسة اللسان العربي، ليتمكن من التصرف فيه وقدرته على التحكم وفقا لمنوال العرب، وذلك لأن "مبدأ التكرار يقوم على الحفظ وهو أساسي في عملية الإنتاج والفهم والتأويل باعتباره من المصادر الأساسية في عملية التواصل الإنساني، فالنسيج على منوال مشترك بين المتخاطبين يمكن المتكلم من بناء ملكة لسانية ثرية بمصادرها الاجتماعية".[4]

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون:مقدمة ابن خلدون، ص:456.

[2]- المرجع نفسه، ص:459.

[3]- المرجع نفسه، ص:484.

[4]- خليفة الميساوي: المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص:161.

يعني أنّ التكرار يساعد في عملية توليد المفردات والجمل وبطبيعة الحال فهمها واستيعابها وكذلك استقراءها واستنباطها؛ لأنه يمكن المتكلم من تحصيل ملكة لسانية للتواصل فيها داخل المنظومة الاجتماعية، حيث يرى ابن خلدون بأنّ: "الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأنّ الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار ملكة أو صفة راسخة".[1]

يركز **ابن خلدون** على مبدأ التكرار والممارسة حيث يعده الركيزة الثانية في تحصيل الملكات لأنّه من خلال التكرار والزيادة في التكرار تصير ملكة وصفة متجسدة، وهو ما يجعلنا نقف على مبدأ آخر وهو "الترسيخ" فهو: "نتيجة لمنوال سابق استقر في الذاكرة الاجتماعية، وعلى المتكلم أن يرسخه في ذهنه حتى ينسج عليه".[2]

يتضح أنّه بعد تكيف النفس ممّا اكتسبته سابقا، وما تبقى من أثر في الذهن، وما انتقش من أسلوب فيها، ممّا يجعل الذهن والنفس ترتسخ فيها الملكات وعلى ذلك القالب يبني ملكته، فمثلا: نجد ناظم الشعر لابدّ له من سماع وحفظ كلام العرب وبالتحديد ديوانهم، وتكراره لمرات عديدة، ثم نسيانه بالمرة، ولكن يبقى في النفس ذلك الأثر والذي من خلاله يستطيع أن يحكم ملكة الشعر وبذلك تكون صفة راسخة، وهو أيضا ما نجده عند تحصيل ملكة الكتابة... وما إلى ذلك، فلابدّ من استقرار الملكة في النفس حتى تكون صفة راسخة، حيث يقول في هذا السياق: "أن الملكات إذا استقرّت ورسخت في محالّها ظهرت كأنّها طبيعية وجبِّلة".[3]

ويعني بأنّه لمّا تتجسد الملكات وتبقى في مكانها مستقرة دون تغيير تصبح وكأنّها فطرية طبيعية، ف**ابن خلدون** ينفي بأنّ العرب كانت تتكلم بالسليقة وذلك بين في قوله:

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 476.

[2]- خليفة الميساوي:المصطلح اللساني و تأسيس المفهوم، ص:162.

[3]- المرجع السابق، ص: 483.

"..كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك، وإنّما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنّها جبِّلة وطبع".[1]

ويتضّح من خلال ذلك أنّه لمّا يتم تأليف الكلام ويتمكن المتكلم من القدرة على التحكم في اللسان والتصرف فيه بذلك تكون به صفة راسخة في النفس فتظهر وكأنّها طبيعية فطرية وبالتالي تكون له ملكة لسانية من خلال حفظ كلام العرب الأوائل وتكراره ثم ممارسته ليرتسخ في النفس وبذلك يتمكن الفرد من استحكام ملكته ورسوخها. حيث يقول **ابن خلدون** في هذا الموقف: "... ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم، وبالإكثار منه تَستحكم ملكته وترسخ".[2]

وعليه فإن استمرار الأفعال وتتابعها وعدم انقطاعها، وممارستها من خلال تكرار المحفوظ المتخير والإكثار منه هو ما يجعل الملكة راسخة من خلال تقويتها وتغذيتها وبذلك تكون صفة راسخة في النفس- الذهن بالأخص.

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في الملكة اللسانية.

الملكة اللسانية صفة إنسانية وبذلك فهي عرضة لأحداث تؤثر فيها، ومن بين هذه الأسباب المؤثرة في الملكة اللسانية عند **ابن خلدون**، حيث تعددت عدة عوامل، أهمها:

1- الاختلاط وفساد الملكة: هو عامل من العوامل التي بدورها تؤثر في اللغة، حيث يرى ابن خلدون أنه سبب واضح في فساد الفصحى لدى العرب، وذلك بامتزاج غير العرب بالعرب، واللغة الفصحى عند **ابن خلدون** هي لغة مضر، وفي هذا يقول: "اعلم أن ملكة اللسان المضريّ، لهذا العهد، قد ذهبت وفسدت".[3]

يعني اختلاط العرب بالأعاجم سبب في ظهور لغة تباين اللغة العربية الفصحى (مضر) وفي نفس السياق يقول أيضا على هذه اللغة بأنّها: "أبعدُ عن اللسان الأول من لغة

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون:مقدمة ابن خلدون،ص:383.

[2]- المرجع نفسه، ص: 492.

[3]- المرجع نفسه، ص:481.

هذا الجيل؛ فلأنّ البعد عن اللسان إنما هو بمخالطة العجمة، فمن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد، لأن الملكة إنما تحصل بالتعليم، وهذه ملكة ممتزجة عن الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم، فعلى مقدار ما يسمعونه من العجمة، ويربون عليه يبعدون عن الملكة الأولى".[1]

يعني أنّه من خلال التداول والتخاطب في المدن بين أهل شعوبها، بسبب الامتزاج والاقتران للشعوب بعضها ببعض، ممّا أدى إلى فساد ملكة اللسان العربي (المضري) وانقلابها إلى لغة أخرى مغايرة لها؛ لأن الملكة اللسانية إذا اختلطت بملكة أخرى فبطبيعة الحال تكون ملكة بين الأولى والثانية وبالتالي تنأى عن الملكة الأولى.

حيث يقول أنّه : "فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الأعاجم، وسبب فسادها أن الناشئ من الجيل، صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب، فيعبّر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم".[2]

يتضح من خلال قول **ابن خلدون** أن سبب فساد ملكة اللسان العربي هو الاختلاط بالأعاجم، مما أدى إلى ظهور لغة مخالفة للغتهم، لأنّ العرب كانت تكتسب ملكتها اللغوية (اللسانية) بالمشافهة والمحاورة، أي من خلال السماع من أفواه العرب الأقحاح، وبذلك لما اختلطوا بالعجم أصبحوا يسمعون مقاصد ودلالات الكلام بأسلوب غير أسلوب العرب الذي ولج إليها اللحن والغلط وبالتالي آلت إلى التغيير والاختلاف فيها.

فانتشار الإسلام في مختلف بقاع الأمصار (العالم)، أدى إلى دخول الأعاجم في الدين الإسلامي، وبذلك تأثرت الملكة اللسانية مما أدى إلى فساد ملكة اللسان العربي.

ومنه فإن امتلاك فرد لملكة لسانية غير ملكته الفطرية الطبيعية، فإنه لا يستطيع تحصيل ملكة أخرى بنفس إجادة الأولى، حتى وإن علم بتلك القوانين والأحكام التي تضبط ملكة ذلك اللسان.

---

[1]-ه المرجع السابق، ص: 480.

[2]- المرجع نفسه، ص:477.

2- تزاحم وامتزاج الملكات: يعد ثاني عامل من العوامل التي تؤثر في حصول الملكة اللغوية (اللسانية)، حيث يقول **ابن خلدون** في هذا الصدد: "الملكات صفات للنفس وألوان، فلا تزدحم دفعة".[1]

فهو يرى بأنّ الملكات الموجودة في النفس والمتنوعة فيها والمؤثرة عليها، لا تجتمع جملة واحدة، ذلك أن النفس لا يمكنها أن تتسع إلا لملكة واحدة، وحتى وإن قبلت ملكات أخرى فلا تكون بنفس درجة الإحكام كما للأولى.

يؤكد **ابن خل**دون ما سبق، حيث يقول: "فقلَّ أن تجد صاحب صناعة يحكمها، ثم يحكم من بعدها أخرى، وبكون فيهما معا على رتبة واحدة من الإجادة".[2]

يتضح أنّه لا يمكن أن تكون ملكتين على نفس الموقع من الإحكام والإجادة لتلك الملكات الموجودة في النفس الإنسانية، مؤكدا بذلك بمثال أورده في ثنايا مقدمته، حيث يقول: "ومثال ذلك الخياط إذا جاء ملكة الخياطة وأحكمها، ورسخت في نفسه، فلا يجيد من بعدها ملكة النجارة أو البناء، إلا أن تكون الأولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها".[3]

يرى بأنه لا يمكن اجتماع الملكات؛ لأن الملكة صفة راسخة في النفس، فلا تستطيع أن تتجسد الملكة الثانية لأن الأولى قد ترسخت صبغتها في النفس، إذ يقول: "أن الصنائع وملكاتها لا تزدحم، وأن من سبقت له إجادة في صناعة فقل أن يجيد أخرى أو يستولي فيها على الغاية".[4]

ففي رأيه لا يمكن اجتماع ملكتين واجتماع إجادتهما بالدرجة نفسها، وإنما ضرورة وجود ملكة واحدة تحدد ماهية الفرد وتربطه بنظام اجتماعي محدد، وفي مجتمع تربطه علاقة التفاعل اللغوي والاجتماعي.

---

[1]- المرجع السابق، ص: 319.

[2]- المرجع نفسه، ص: 319.

[3]- المرجع نفسه، ص: 488.

[4]- المرجع نفسه، ص:ن.

المبحث الثاني: اكتساب اللغة عند ابن خلدون.

شغلت قضية الاكتساب اللغوي فكر **ابن خلدون**، فاللغة هي أساس التواصل داخل المنظومة الاجتماعية، هي ملكة طبيعية يكتسبها الإنسان، ولاكتسابها وتحصيلها لابدّ من طرق سندرجها في ثنايا عرضنا لمسألة الاكتساب اللغوي وأساليبه، حيث انطلق **ابن خلدون** في حديثه عن هذه الفكرة بقوله:

"أن اللغات لما كانت ملكات كما مرّ كان تعلمها ممكنا، شأن سائر الملكات".[1]

يتضح بأنّ اللغة عنده سمة إنسانية يكتسبها الإنسان بدون قصدية وبالتدرج.

وعليه فلاكتساب الملكة اللغوية (اللسانية) عنده وتحصيلها، من خلال قوله: "ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويرومُ تحصيلَها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولّدين أيضا في سائر فنونهم؛ حتى يتنزّل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره،... فتحصل له هذه الملكة".[2]

يرى **ابن خلدون** أنّه لتحصيل الملكة اللغوية (اللسانية) لابدّ له من حفظ كلام العرب وبخاصة كلام فحول الشعراء منهم، سواء أكان منظوما أو منثورا، حتى يستطيع أن تكون له ملكة لسانية يستطيع أن يتحكم ويتصرف فيها، وبذلك تصير ملكة وكأنّه نشأ بينهم وصار واحدا منهم.

كما يرى **ابن خلدون** أن اللغة تكتسب من خلال البيئة التي ترعرع فيها، ونشأ بين جماعة بشرية وبذلك تكون صلة وثيقة بين اللغة والمجتمع وبذلك يكون هناك تواصل اجتماعي وتتحقق غاية الإبلاغ والتبليغ، فهو يقوم بتقليد أهله وكلام السلف والسابقين لمساعدته في تكوين ملكته، فهو: "إذ قلّد فيها الآباء والمشيخة والأكابر، ولقن عنهم وعلى

[1]- المرجع السابق، ص: 481.

[2]- المرجع نفسه، ص: 481.

تعليمهم... ومن فقد العلم في ذلك والتقليد فيه أو أعرض عن حسن استماعه واتباعه، طال غناؤه في التأديب بذلك، فيجري في غير مألوف ويدركها على غير نسبة، فتوجد آدابه ومعاملاته سيئة الأوضاع بادية الخلل، ويفسد حاله في معاشه بين أبناء جنسه".[1]

ومعناه أنه لابدّ من اتباع الآباء والمشايخ وأولي الألباب وأهل العلم والمعرفة، وذلك بتقليدهم والسير على منوال كلامهم وأساليب حديثهم، أما من خالف وأعرض عن الاستماع الجيد واتباعهم بطريقة سليمة في التلقين فإنه يطول به الزمن في اكتساب اللغة وكذلك المعارف وبذلك يؤدي إلى انحراف ملكته اللغوية، ويقع فيها نوع من الخلل والاعوجاج، وهو ما يؤثر عليه بين أفراد مجتمعه إذ أنه لا يحقق وسيلة الاتصال بين جماعته البشرية في المعاملة وغيرها.

ومنه فمن خلال ما تبيّن لنا، بأنّ الملكات لمّا تتجسد في مكانها، فتظهر وكأنّها طبيعية فطرية موجودة في النفس، أما الذين قد غفلوا عن الأمر الصحيح بأنّ العرب لغتهم طبيعية وكانت تتكلم بالطبع فهو غير ذلك، وإنّما تكون ملكة لسانية إذا تجسدت وصارت في النفس وكأنّها طبع، فهو ينفي الرأي القائل بأنّ ملكة اللسان العربي طبع.

يذكر **ابن خلدون** بأنّ اللغة عملية مكتسبة بالممارسة والمران لتكون صفة راسخة في النفس وتكون بذلك طبيعية. حيث يقول بأنّ من: "يظُنُّها المشاهدُ طبيعية كما هو رأي كثير عن البُلداء في اللغة العربية؛ فيقولون: العرب كانت تعرب بالطبع وتنطق بالطبع، وهذا وهمٌ".[2]

يرى بأنّ كثير من الغافلين عن أمرهم في اللسان العربي يرون بأنّ العرب كانت تتكلم بالسليقة وتفصح بالسليقة، إلّا أنّ هذا الأمر عند **ابن خلدون** زيف ووهم ،أي من نسج خيالهم ولا أساس له من الصحة، فهو من خلال السماع وتكرار المحفوظ ثم ممارسته

[1]- المرجع السابق ، ص: 381.

[2]- المرجع نفسه، ص: 456.

والتدريب عليه وبذلك يتلقنه وتصير له صفة راسخة في النفس يستطيع التصرف والتحكم في تلك اللغة، فتظهر كأنها طبع وجبلة فيه.

ينظر **ابن خلدون** مؤسس علم الاجتماع إلى اللغة نظرة اجتماعية، وذلك أن الإنسان بطبعه اجتماعي، لا يكون إلا من خلال جماعته البشرية وأبناء جنسه ويكون هناك تواصل وتخاطب فيما بينهم، وذلك أنّ: "اكتساب الطفل اللغة جزء لا يتجزأ من عملية تطبيعه الاجتماعي والحضاري من نواح ثلاث أُولاها أن اللغة نفسها جزء من حضارة المجتمع، ولذلك فإن كثيرا من المفاهيم والعلوم والمهارات والمعتقدات وسواها تنتقل عن طريقها من جيل إلى آخر، وثانيتها أن اللغة واسطة تنتقل الأوجه الأخرى لحضارة المجتمع عن طريقها، أما ثالثها؛ فهي أن اللغة أداة يستخدمها الطفل لاكتشاف مجتمعه، ولتثبيت دعائم وضعه الاجتماعي ودوره في المجتمع الذي يعيش فيه بالنسبة لأدوار أعضاء المجتمع الآخرين".[1]

يكتسب الطفل لغته الطبيعية من خلال بيئته ومحيطه الذي يتواجد فيه، حيث أنه لا يستطيع العيش بمفرده، وإنما داخل منظومة اجتماعية يتخللها التفاهم والتواصل بلغة ذلك المجتمع، فاللغة عند **ابن خلدون** هي تلك التي تعبِّر عمّا يختلج النفس البشرية من أحاسيس ومشاعر وأفكار ومعاني متباينة بتباين المجتمعات للوصول إلى مقاصده ومتطلباته.

فعملية الاكتساب اللغوي عند الطفل مرتبطة بالجانب الاجتماعي والحضاري لها من خلال جوانب ثلاث وهي: الأولى بأنّ اللغة لها صلة عميقة بحضارة المجتمع إذ تنتقل بواسطتها الموروث الحضاري للمجتمع من جيل إلى جيل.

أما الجانب الثاني، فإن: اللغة همزة وصل ونقطة اتصال بين المجتمع وحضارته، وأما الناحية الثالثة فتكمن في أنّ اللغة وسيلة يستعملها الطفل في التعبير والتواصل بين الأفراد في مجتمعه الذي يقيم فيه، وبما أنّ: "اكتساب ملكة التواصل لا تعتمد على تطوير

[1]- نايف خرما: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها،عالم المعرفة،الكويت،1988، ص: 127.

قدرة لغوية أو تواصلية فطرية كامنة فحسب، بل أنها تأتي أيضا نتيجة عمليات من التواصل والتفاعل في ظروف ومقامات اجتماعية حضارية متعددة".[1]

يتبين لنا بأن عملية اكتساب ملكة التواصل، تكون من خلال التفاعل بين أفراد المجتمع للتواصل فيما بينهم في مواقف ومقامات مختلفة ترتبط بالجانب الاجتماعي والحضاري للغة، فهو بطبيعة الحال يؤدي هذا لتحصيل ملكة تواصلية تفاعلية لاكتساب اللغة وتطويرها من خلال تحقق وظيفة التواصل بين الجماعات البشرية.

فالمجتمع كما يرى **ابن خلدون** كائن حي ينمو ويتطور وبذلك فهو يشبه اللغة به؛ لأنها تتطور وتتغير بطول الزمن وتختلف باختلاف الأمكنة، وبهذا فإن اللغة ظاهرة اجتماعية وخاصية يمتاز بها الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى.

حيث يكون الطفل قادرا على اكتساب اللغة من خلال محيطه ومجتمعه، ويتحدث بها بشكل طبيعي، بغية التواصل والتعامل مع أبناء جنسه.

إذن من هنا تنطلق إلى عرض أهم الطرق والأساليب التي تساعدنا في عملية الاكتساب اللغوي، وتحصيل لغة طبيعية لغاية التواصل والتفاهم.

المطلب الأول: طرق اكتساب اللغة.

تمثل طريقة اكتساب اللغة داخل المجتمع مرحلة مهمة في الميدان اللغوي يعتمد فيها المتعلم عدة أساليب وطرق نذكر؛ منها:

أ- الاستعداد.

ب- كثرة الحفظ وجودة المحفوظ.

ج- الفهم.

د- التدريج.

ه- الاستعمال.

[1]- المرجع السابق، ص:ن.

أ- **الاستعداد:** لابد أن يكون هناك قابلية لاكتساب اللغة، واستعداد من جميع النواحي لاكتسابها، عقليا، ذهنيا، فطريا... وما إلى ذلك.

حيث يقول في هذا الصدد: "... ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه، حتى ينتهي إلى آخر...".[1]

وثمة ضرورة لوجود الاستعداد الفطري سواء كان جسديا أم ذهنيا، وكذا النفس لتقبل ما يسمعه من محيطه حتى يكتسب اللغة الموجودة في مجتمعه، والتهيؤ لقبول ما يتلقاه إلى آخر شيء.

ب- **كثرة الحفظ وجودة المحفوظ:** ركز **ابن خلدون** على أهمية الحفظ، وذلك بأنه جعله سبيلا لاكتساب الملكة اللغوية (اللسانية)، فلقد أدرك بأن الحفظ هام لتحصيل ملكة اللغة العربية، لأنه يجعل أثرا في النفس الذي من خلاله ينسج على منواله وذلك بعد نسيان ذلك المحفوظ والنأي عنه، والرسم على قوالبه؛ لأنه بطبيعة الحال قد رسخت تلك الملكة في نفسه وبذلك يمكنه اكتساب اللغة كأمر طبيعي.

حيث أنّه يولي اللغة العربية عناية كبيرة، حيث تمثل لديه لغة الإسلام ولغة العلم والحضارة، وفي ذلك يقول: "اللغة العربية بالنسبة لابن خلدون، ولا تمثل فقط لغة العلم والحضارة ولكنها تمثل كذلك لغة الإسلام الذي لا يمكن فهمه أو التفاعل مع مضمونه تفاعلا كاملا إلا من خلال هذه اللغة التي من خلالها تجلت عظمة الله".[2]

ومنه تعني أهمية الحفظ لدى **ابن خلدون** كثيرا، وذلك لمن أراد تحصيل الملكة لابد من حفظ كلام الله عز وجل وحديث نبينا الكريم ثم حفظ كلام العرب والسابقين، وذلك لمن يريد تحقيق الملكة اللسانية، فكثرة الحفظ لكلامهم تساعد في تحصيلها لأنه ينسج على

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 458.

[2]- البخاري حمانة: الموسوعة التاريخية للشباب (ابن خلدون)، ص: 70.

منوالهم. من خلال "ما وعاهُ وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم، فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتهما رسوخا وقوة".[1]

ليتضح بأنّه من كثرة الحفظ وجودة ذلك المحفوظ لكلام العرب ومخاطباتهم المختلفة والمتنوعة من أساليب وبلاغة وبيان ونحو.. وما إلى ذلك، فهي تزيد في تجسيد الملكة وقوتها في النفس الإنسانية ويصبح وكأنه نشأ وربي بينهم لتكون له بذلك ملكة لسانية محكمة، حيث يقول بأنّ: "وعلى قدر المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلّته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ".[2]

ومن هذا المنطلق نفهم أنّه على حسب المحفوظ تكون إجادة ونقص الملكة، وإذ أنّه لمّا يكون المحفوظ قليل فهو غير كاف لتحصيل ملكة كاملة يستحكم فيها ويتصرف في لغته كأمر طبيعي، أما كثرة الحفظ وجودته تساعد في تحقيق ملكة لسانية قابلة للاستعمال بشكل عادي؛ يعني أنه بكثرة الحفظ يساعد الحافظ على اكتساب اللغة وامتلاك ملكته ويصير كأحد منهم فتكون له صفة راسخة فيه.

فجودة المحفوظ تزيد من رقي وتطور الكلام، لتكون بذلك الملكة الحاصلة ذو قوة، حيث أنها تتغذى وتنمو من خلال ارتقاء المحفوظ بالكثرة والجودة.

يعني أنه بجودة المحفوظ تكون جودة الاستعمال والاستخدام لها ذا أهمية بالغة،إذ أنّه كلّما كان استحكام الملكة جيدا تكون بذلك صفة راسخة من خلال كثرة الحفظ وجودته والاستعمال الجيد تكون ملكة لسانية ذا إجادة دون نقصان قد تصل درجة الكمال في استحكامها وامتلاكها.

ج-الفهم: لقد ربط ابن خلدون الحفظ بالفهم، حيث أنه لابدّ أن يفهم ما يحفظه حتى لا يكون ذلك المحفوظ بلا قيمة حتى يتسنى له تحصيل ملكة لسانية راسخة في النفس لاكتساب اللغة، حيث يقول: "هذا العلم –علم الأدب... وإنما المقصود منه عند أهل

[1]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 481.

[2]- المرجع نفسه، ص: 495.

اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم؛ فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة، من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك، متفرقة، يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض من أيام العرب، يفهم ما يقع في أشعارهم منها....".[1]

نفهم من خلال قوله بأنّه لابدّ لتحصيل ملكة لسانية في علم من العلوم أو في لغة من اللغات فمثلا في اللسان العربي لابدّ أولاً تحديد فائدته وثمرته لذلك وهي قوّة الإجادة والاستحكام بخاصة في الشعر والنثر الجاري على أساليب العرب القدامى، وذلك بجمعه وحفظه وانتقاء الفصيح البليغ دون الرديء منه أو الفاسد الذي أثرت عليه العجمة، والبحث في قضايا أخرى في اللغة كالنحو وما إلى ذلك من الأمور المهمة، وفهم تلك الأحكام والقوانين والرجوع إلى ديوان العرب وفهمه، من خلال ما يقوله في هذا الصدد بأنّ: "المقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفّحه، لأنّه لا تحصل الملكة من حفظه إلاّ بعد فهمه، فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه".[2]

يتضح أنّه عندما ننسج على منوال العرب فلابدّ أولا لتحصيل الملكة لابدّ من استيعاب ذلك المحفوظ وفهمه جيّدا، إذ أنّه يجب أن يعي ما بحفظه وينتقي الصائب والمهم من الرديء والفاسد، إذ أنّه لمّا يكون هناك فهم صحيح لذلك المحفوظ القيم فإنّه بطبيعة الحال تكون له ملكة لسانية حاصلة حيث أنّها تتوقف على أهمية فهم المحفوظ، والمعرفة التامة له، لأنّ استحكام وامتلاك الملكة لابدّ له أن يعي ويستوعب ما حفظه، وعلى قدر فهم المحفوظ، تكون الإجادة في تلك الملكة.

[1]- المرجع السابق، ص: 476.

[2]- المرجع نفسه، ص: 476.

د- **الاستعمال:** وهو كيفية استخدامه لتلك الملكة المستقاة من حفظه وفهم ذلك المحفوظ وكذلك اختيار ذلك المحفوظ، ويكون الاستعمال هو السبيل في زيادة الرسوخ والقوة لتلك الملكة، وفي هذا يقول: "وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا، ومن حصل على هذه الملكات، فقد حصل على لغة مُضَرَ".[1]

يكون اكتساب اللغة بكثرة الحفظ، وجودة المحفوظ والقدرة على انتقاء الجيد من المحفوظ ثم فهم واستيعاب ذلك المحفوظ لتكون الإجادة في تلك الملكة، وما يزيد في قوتها ورسوخها هو كثرة استخدامها ونسجها على منوال العرب سلفا؛ ليحصل على لغة العرب الفصحى (لغة مضر).

ه- التدريج: يقرّ **ابن خلدون** بأنّ اكتساب اللغة يكون تدريجيا، فالطفل يتدرج شيئا فشيئا في اكتسابها، أي جزء بجزء، قطرة بقطرة إلى أن يفيض الكأس بتحصيل اللغة (ملكة اللغة العربية)، حيث يقول في هذا السياق: "والملكات التي تحصل لها إنّما تحصل على التدريج".[2]

يتضح أنّ حصول الملكات يكون تدريجيا، فبطبيعة الحال، فاللغة صفة إنسانية يكتسبها الإنسان شيئا فشيئا إلى أن تصير صفة راسخة فيه، إذ أنه يبدأ بالقليل فالقليل إلى الكثير، ومن الجزء فالجزء للوصول إلى الكل... وهكذا. فاكتساب اللغة يكون بالتدرج إلى أن يصل وينتهي بتحقيق اكتسابه في الوصول إلى ملكة لسانية مستحكمة الأمور من جميع النواحي.

يكتسب الطفل لغته في مراحل نشأته الأولى، من خلال بيئته والمحيط الذي نشأ فيه وأنه لم "يقتصر ابن خلدون في حديثه عن اكتساب الملكة اللسانية خلال سماع لغة البيئة

[1]- المرجع السابق، ص: 481.

[2]- المرجع نفسه ، ص: 496.

على الطفل فقط، وإنما هي عملية تشمل الصغار والكبار، والمقصود من الكبار عنده أولئك الذين يضطرون للعيش في بيئة لا يتكلم أهلها لغتهم".[1]

وبناءٌ على ذلك فإنّ مسألة اكتساب اللغة عند **ابن خلدون** تكون وفق مبدأ السماع من لغة محيطه، وهي تضم الصغار والكبار، إذ أن الطفل فهو يتعلم لغته بشكل تلقائي من أهله وأفراد مجتمعه من أساليب وتراكيب ومعاني لإفادة المقصود من كلامه.

أما بالنسبة للكبار فمسألة تعلمهم اللغوي وذلك من خلال العيش في بيئة تلك التي يريد تحصيل ملكتها اللسانية، أو أن الذين يضطرون إلى العيش في محيط غير محيطهم فالضرورة تحتم عليهم تعلم تلك اللغة ومن خلال المخالطة والامتزاج بين أفراد تلك المنظومة الاجتماعية تساعدهم في تلقينها واكتسابها وفق المعيار السماع والحفظ وممارستها والتدريب عليها وفهمها فهما دقيقا وبعدها تأتي مرحلة الاستعمال وفيها يتبين أنه قد أحكم قوانينها وأسسها بغية التواصل والتداول بين أفراد المجتمع.

وبذلك يكون قد حصل على ملكة لسانية ترسخت وتجسدت في النفس والذهن بفعل تلك العوامل وتقليد القدامى في كلامهم وأسلوبهم والسير على منوالهم، حيث يقول: "... يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيُلقّنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيُلقّنها كذلك...".[2]

يعني أنّه لاستعمال اللغة بشكل مطلق، لابد من تخطي مراحل معينة حسب **ابن خلدون**، إذ أنه أولا يبدأ بمرحلة المفردات من خلال كيفية استقاءها واستخدامها في إفادة المعاني، فيتعلمها بالدرجة الأولى، ثم تأتي مرحلة تعلم الجمل والتراكيب وترابط الكلمات بعضها ببعض فيتعلمها، ومن بعد ذلك يحقق قدرة لغوية ثرية في تحصيله اللغة التي يتكلمها أثناء تواصله وتخاطبه مع أبناء جنسه في المجتمع الذي يعيش فيه.

[1]- باسم يونس البديرات: علوم اللسان العربي في مقدمة ابن خلدون، ص: 79.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص: 477.

كما أشار "**عبد الرحمن الحاج صالح**" إلى نفس المسار الذي سار عليه **ابن خلدون** بأن الطفل يكتسب اللغة وفق مراحل[1]،والتي سنعرضها من خلال الآتي:

1-اكتساب اللغة النطقية:

ومعناه أن الطفل يكتسب اللغة من خلال الأصوات اللغوية التي يسمعها بأذنه من كلام محيطه لا شعوريا، حيث تكون عملية الكلام لديه بالتدرج في النطق بما يعيه مما يسمعه؛ يعني أن السماع هو المسؤول عن اكتساب اللغة لدى الطفل وأولى المراحل هي: "المرحلة النطقية".

2-المرحلة السمعية:

يعني أنه بعد اكتساب الأصوات اللغوية من خلال محيطه الأسري، تأتي مرحلة تكوين الكلمات والعبارات المركبة، حيث تنمو مهاراته اللغوية بالمناغاة وتأليف الكلام يشتمل على كلمتين فأكثر.

3-مرحلة العلاقات البنوية وحسن ارتباط دلالتها:

فالطفل يكتسب اللغة بشكل تدريجي، حيث تنمو وتتطور قدراتها العقلية والفكرية وكذلك اللغوية من خلال وعيه لتلك العلاقات الموجودة بين الحروف والكلمات فالجمل، لينشئ بذلك كلاما مترابطا مفهوما حقق ثمرته وهي إفادة المتكلم لمقصوده.

- نخلص من خلال ما أوردناه سابقا في تحديد وجهة نظر **ابن خلدون** في توضيحه لمفهوم الملكة اللسانية، مسألة الاكتساب اللغوي، إلى أنها كانت نظرة اجتماعية، تاريخية حضارية... حيث حاول تبيين الملكة اللسانية وتأديتها، إذ أنه يرى بأن الملكة تكون بالتدريب والتمرن على شيء وتكراره وبالممارسة في استخدامها للتعبير عن أغراضه على حدّ تعبير "**ابن جني**"، حتى تكون صفة راسخة في نفس المتكلم، أما التأدية، فمتغيرة وغير متجسدة تسبق الملكة.

[1]- ينظر: أحمد بوعسرية: الملكة اللغوية عند (عبد الرحمن الحاج صالح) قراءة في تجليات المصطلح، مجلة الواحات، جامعة المدية، الجزائر، مج10، ع1، 2017، ص:7-9.

اكتساب الملكة اللسانية بالذوق، إذ من خلاله يتمكن من معرفة الصواب من الخطأ والفاسد من المستقيم، ومن ذا جودة على الرديء... وما إلى ذلك.

ليشير **ابن خلدون** في طيّات مقدمته إلى مراحل تكوين الملكة اللسانية وكذا العوامل المؤثرة فيها، وكذلك إلى قضية الاكتساب اللغوي وطرقه، ولا نريد إعادة الحديث عن ذلك، لأننا قد فصلنا في ذلك من خلال المبحثين السالف ذكرهما.

المبحث الثالث: مفهوم الملكة عند تشومسكي.

الملكة صفة مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد، والملكة سجية راسخة في الذهن، تمكن صاحبها من قوة الفهم وحسن التعبير عن المعاني المختلفة مع القدرة على الجمع والتفريق والتصحيح، وما إلى ذلك.

حيث يورد **ميشال زكريا** في مؤلفه:(الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية). في أن الملكة عند "**أفرام نعوم تشومسكي**" **(avram naom chomesky)** هي أن كل إنسان يعيش في بيئة معينة فهو يعبر بلغة هذه البيئة، وأنه بإمكانه فهم عدد لا متناه من جمل هذه اللغة وصياغتها حتى وإن لم يسمع بها قط ، وهذه القدرة التي يتسم بها الإنسان غير محدودة، حيث وبصورة عفوية تلقائية له مقدرة على فهم وصياغة الجمل في اللغة، أي له قواعد اكتساب اللغة، حيث أنه تمكنه من استعمال اللغة بصورة إبداعية خلاقة ومتجددة ومتطورة في آن واحد.

وعليه فالكفاية اللغوية (compétence) هي القدرة على إنتاج الجمل وفهمها في عملية تكلم اللغة، في حين أن الأداء الكلامي (performance) هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين.

كما تقوم القواعد على تحديد الكفاية اللغوية التي يمتلكها الإنسان والتي تتيح له أن ينتج ويفهم جمل لغته غير المتناهية. حيث أن وصف قواعد الكفاية العائدة إلى متكلم اللغة والتي تختلف عن الأداء الكلامي تقتضي حلها بما يسمى بالحدس اللغوي. ومن خلال هذا

الأخير يمكن أن نسميه هو مقدرة متكلم اللغة على إعطاء المعلومات حول مجموعة من الكلمات المتتابعة من حيث هي صحيحة أو منحرفة عن قواعد اللغة.[1]

يتبين لنا، بأن الملكة اللغوية تكتسب من المحيط الذي يعيش فيه الفرد ضمن جماعته البشرية، إذ أنه باستطاعته فهم واستيعاب عدد لا محدود من الجمل لتلك اللغة الموجودة في بيئة وإعادة بناءها، دون سماعه لها من قبل، حيث تكون له القدرة على ابتكار واختراع جمل لا نهائية تمكنه من استعمال اللغة بصورة عفوية من خلال القواعد الكلية التي تكون في لغته، حيث يقدم "**ميشال زكريا** تعريفا للكفاية اللغوية- حسب **تشومسكي (chomesky)** -بأنّها تلك: "المعرفة الضمنية باللغة".[2]

يعني هي تلك المعرفة الكامنة في ذهن الإنسان بقواعد لغته، وقدرته على فهمها ووعيه لها.

فكما نعرف الملكة صفة فطرية وهبها الله تعالى للإنسان وميّزه بها عن بقية المخلوقات، فهي خاصية إنسانية، إذ أن "كل إنسان له ملكة يمكن أن تطلق عليها اسم (ملكة الكلام) المقطع تقوم على أعضاء وعلى ما يمكن أن تحصل عليه من عملها ويتعذر استعمالها مباشرة إلا إذا توفر للمرء شيء آخر من الخارج هو اللغة... وهذه الملكة من جهة ثانية ليست كافية لوجود اللغة إذ لا يتصور وجودها على مستوى الفرد".[3]

يكتسب الإنسان ملكته اللغوية من محيطه المتواجد فيه، إذ أنه بطبيعة الحال فاللغة ظاهرة اجتماعية لها صلة وثيقة بالمجتمع، والفرد بطبيعته مهيأ للتكلم بكلمات وعبارات أي بكلام تقطيعي، فلابد أن يكون داخل منظومة اجتماعية يعيش فيها تجعله يتواصل مع أبناء جنسه، إذ أنه لا يمكنه استخدامها بشكل مباشر وفردي إلا في ظل الجماعة.

---

[1]- ينظر: ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 1986، بيروت، ص: 7-9.

[2]- المرجع نفسه، ص: 07.

[3]- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، ط1، 2009، اربد، ص:79.

ترى (**شفيقة العلوي**) من خلال ما أوردته في محاضراتها في المدارس اللسانية المعاصرة بأن مبادئ النحو التوليدي التحويلي (transformationnel générative grammaire) نجد الملكة والتأدية، حيث تقول في هذا الصدد: "إن الملكة (la compétance) هي المعرفة اللاواعية والضمنية بقواعد اللغة، التي يكتسبها الطفل منذ طفولته، وتبقى راسخة في ذهنه، فتمكنه فيما بعد من إنتاج العدد غير المحدود من الجمل الجديدة التي لم يسمعها من قبل، إنتاجا ابتكاريا، لا مجرد تقليد ساكن، ثم التميز بين ما هو سليم نحوي وغيره، إن هذه الملكة تتجسد في الواقع اللساني المادي من خلال المظهر الكلامي المعروف بالتأدية:(la performance)... فهي الاستعمال الفعال للغته في مواقف مادية وواضحة...".[1]

يتضح من خلال القول أن (compétence) و(performance) وجهان متكاملان من أجل الإنجاز الفعلي اللساني (أي الكلام)، حيث أن الأولى هي المعرفة بقواعد اللغة، أما الثانية هي الانعكاس المباشر لها، ومنه فهو فردي، متغير يتميز به من شخص إلى آخر بحسب اختلاف العوامل الخارجية، من مثل ذلك الظروف الاجتماعية والنفسية (ضعف الذاكرة، التعب، الخوف...).

يعني أن الملكة عامة ومشتركة بين أفراد المنظومة الاجتماعية، واللغة لا تتبين بوضوح إلا من خلال الكلام، يعني أنّها "ما هي إلا نسقٌ كلِّي للتمثيل الذهني".[2]

وبالتالي فإنّ المتكلم والسامع المثالي له مقدرة فطرية على إعطاء جمل منطوقة لها نظام لغوي خاص يربط المعنى بالأصوات من خلال قواعد النظام المجسد في ذهن المتكلم منذ طفولته، بطريقة لا شعورية، وعليه فالتأدية هي انعكاس لهذه العلاقة.[3]

---

[1]- شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص:44.

[2]- عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية (نماذج تركيبية ودلالية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط3، 1986، ص:43.

[3]- ينظر: المرجع السابق، ص: 46-47.

ومنه يمكن القول؛ بأنّ الملكة اللغوية خاصية إنسانية تسقط عنه صفة الحيوانية المجردة عن التفكير المبدع، فاللغة عند **تشومسكي (chomesky)** بطبيعة الحال خلاقة حيوية؛ أي أن كل متكلم يستطيع أن ينتج ويولد جملا لا نهائية لها، فعملية الإبداعية عند الإنسان هي ما تميزه عن بقية المخلوقات الأخرى.

وجاء في مؤلف(**شفيقة العلوي)** أيضا بأنّ: "الإبداعية لدى **تشومسكي** نوعان: إبداعية تغير نظام اللغة، ومحلُّها التأدية فكل الانحرافات الاجتماعية والنفسية قد تؤدي إلى تغيير في ملكة هذا المتكلم، والإبداعية التي تحكمها القواعد وتوجهها ومجالها الملكة، وهي التي تسمح بتوليد اللانهائي من النهائي من خلال قواعدها".[1]

ويتضح من ذلك أنّ اللغة عند **تشومسكي (chomesky)** هي التي ينفرد بها الإنسان، إذ أنّه لا يكتفي بتلفظ صيغ كلامية التقطها مما سمعه فقط، وإنّما يولّد قدرا كبيرا من الجمل التي لم يسمعها أبدا، ويعبّر عنها بصورة غير محدودة من التراكيب.

والإبداع عنده صنفان؛ الأول مرتبط بتغير أحكام وقوانين اللغة والمتمثل في الأداء الكلامي وكل ما يشتمله من انحرافات اجتماعية ونفسية... وما إلى ذلك، والثاني مرتبط بما تضبطه تلك القوانين والأحكام التي تحكم الملكة وتجعلها تبتكر وتخلق اللامحدود من المحدود.

يعدμ الحدس (Intuition) عند **تشومسكي (chomesky)** جزءا من الملكة اللغوية أي فرعا من معرفته الضمنية بقواعد اللغة، فهو تلك المقدرة التي تسمح لمتكلم اللغة بالتفريق بين ما هو صائب وصحيح وما هو خاطئ وفاسد.[2]

يعني أنّه من خلال هذا المبدأ الحدسي هو ما يجعل متكلم اللغة يعرف ويفرّق بين ما هو سليم وما هو غير سليم.

---

[1]- شفيقة العلوي:محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص: 48.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 51.

ونؤكد ما قلناه سالفا، حيث نجد في كتاب **(جون ليونز)** نظرية تشومسكي اللغوية .من خلال ما يشير إليه من أنّ: "القدرة الإبداعية هي قدرة اللغة الإنسانية غير المحدودة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج وفهم عدد كبير وغير محدود من الجمل لم يسمعوها قط ولم ينطق بها أحد من قبل".[1]

يتبيّن لنا بأنّ الإنسان له قدرة ابتكارية خلاّقة تجعله قادرا على إنتاج وفهم العدد اللانهائي من الجمل دون سماعه لها أو تكلمها له من قبل، فالإبداعية في اللغة هي واحدة من الحقائق التي كشف عنها **تشومسكي (chomesky)**، فمثلا الطفل ابن الخامسة أو السادسة يستطيع أن ينتج ويبتكر مع فهمها لعدد غير محدود ولا نهائي من الجمل التي لم تلج إلى أذنه أبدا من قبل.

ذكر **عبد القادر عبد الجليل** من خلال كتابه: علم اللسانيات الحديثة . بأن **تشومسكي (chomesky)** عنده أن النظرية اللسانية العامة تقوم على ركيزتين أساسيتين هما:

- **الكفاية اللغوية والأداء الكلامي:**

"فالأولى (compétence) هي: القدرة على إنتاج التراكيب، وتفهم أبعادها، أثناء تكلم هذه اللغة، بما في ذلك الجمل التي لم يسبق له سماعها".[2]

يعني أن متكلم اللغة له القدرة على التصرف والتحكم فيها بطريقة لا شعورية أثناء العملية الكلامية من خلال ابتكار عدد لا متناه من الجمل وكذلك فهمها ووعيها له وإن لم يسمع بها من قبل قط.

"أما الثانية (performance) هو: استعمال الفرد الفعلي للغته...".[3]

---

[1]- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 1985، ص: 57.

[2]- عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، عمان، ط2، 2002، ص: 266.

[3]- المرجع نفسه، ص: 267.

ويتضح من ذلك بأنّه هو ذلك الاستخدام الفردي العملي للغته؛ أي تحقيق اللغة وتنفيذها فعليا.

"فلقد ربط تشومسكي اكتساب اللغة وطبيعة القواعد النحوية، مميّزا بين الكفاية التي يستوي فيها العام والخاص، والأداء الذي يتباين فيه المتكلمون... مؤكدا أن ارتباط البنية العميقة للجملة بالكفاية، في حين أن البنية السطحية لها مرتبطة بالأداء..."[1]

جعل **تشومسكي (chomesky)** اكتساب اللغة مرتبط بالقواعد، إذ أنّه فرّق بين مصطلحين وهما: الكفاءة والأداء .ويرى بأنّ الأولى مرتبطة بالبنية العميقة أما الثانية فمرتبطة بالبنية السطحية "ففكرة تشومسكي في أن الجملة التي يتلفظ بها المتكلم تمر عند النطق بها في مرحلتين متتابعتين ،الأولى يتم فيها استخدام القواعد الأساسية التي ترتبط بكفاية المتكلم ومعرفته المختزنة باللغة، والثانية هي التي يتم فيها اللجوء إلى القواعد التحويلية وهي قواعد مرتبطة بالأداء...".[2]

يتبين لنا من أن العملية الكلامية تمر بنقطتين، الأولى تكون باستعمال المعرفة الباطنية المرتبطة باللغة، أما الثانية فهي تكون باستخدام تلك القواعد وتجسيدها فعليا أثناء التلفظ.

انطلق **تشومسكي (chomesky)** في تفسير الملكة اللغوية من منطلقين؛ باعتبارها كفاءة لغوية لدى المتكلم (compétence)، وباعتبارها إنجازا فعليا (performance)، وهذا ما نجده عند(**سمير شريف استيتية**)من خلال مؤلفه: اللسانيات المجال، والوظيفة والمنهج. بأن اللغة عند **تشومسكي (chomesky)** وجهان: الأول ذهني خالص سمّاه:الكفاية، والآخر عملي منطوق مسموع، سمّاه: الأداء.

[1]- إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص: 91.

[2]- المرجع نفسه ،ص:91.

حيث عرّف "الكفاية" بأنّها: "القدرة على بناء أنموذج لغوي ذهني مشترك بين المرسل والمستقبل، سداه الصوت ولحمته الدلالة، وعلى أساسه تتمثل القواعد اللغوية".[1]

يعني هي تلك القدرة على استعمال اللغة المشتركة بين المتكلم والسامع من خلال تلك القواعد الضمنية التي تتيح للإنسان فرصة التكلم وفهم جملها بصورة خلاّقة.

أما "الأداء" فهو "الصورة الواعية التي تمثل الصورة المعقولة من اللغة".[2]

يعني به ذلك الإنجاز الفعلي الواعي للغة، أي أنه ذلك التجسيد العملي الآني للغة، حسب ما جاء به(**نعمان بوقرة)** عن **تشومسكي (chomesky)** فالكفاية اللغوية هي: "مجموع القواعد الكامنة في ذهن الإنسان التي تمكنه من بناء الجمل، وامتلاك الآلية اللغوية... أما الأداء الكلامي فهو حصيلة الآلية اللغوية".[3]

يعني أن ذلك فإن الكفاية هي جملة من تلك القواعد الباطنية الموجودة في الذهن عند الإنسان، مما تمكنه من إنتاج الجمل، وبذلك تكون له قدرة لغوية آلية في إنتاج وفهم اللانهائي من الجمل حسب تلك القواعد الضمنية، في حين فإن الأداء هو نتيجة تلك القدرة الآلية اللغوية.

ومنه فإن حديثنا عن مفهومي الكفاية اللغوية والأداء الكلامي من الأساسيات التي تجعل متكلم اللغة (المتكلم المستمع المثالي) له القدرة الفطرية على فهم ونطق عدد لا متناه من الجمل وإن لم يسمعها، وكذلك قوة إبداعية تمكنه من ابتكار وخلق اللا محدود من الجمل حتى وإن لم يسمع أو ينطق بها قط.

لقد أوضح **(أحمد مومن)** في مؤلفه: اللسانيات النشأة والتطور، من أنّه قد لاحظ بأنّ **تشومسكي (chomesky)** قد ألمح إلى ضرورة التمييز بين أمرين مهمين في الدراسة اللسانية: معرفة المتكلم المستمع المثالي والأداء اللغوي الفعلي، وأنه قد فصّل

[1]- سمير شريف استيتية: اللسانيات المجال والوظيفة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط2، 2008، ص: 177.

[2]- المرجع نفسه، ص: 178.

[3]- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص: 148.

الحديث في إبراز ماهية هذين المصطلحين: الكفاءة والأداء. حيث يقول: "الكفاءة نظام عقلي تحتي قابع خلف السلوك الفعلي، وعليه فإنه غير قابل للدراسة التجريبية المباشرة، وهكذا فإن الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذا النظام ودراسته هي الاستبطان (introrspection)؛ إذ يساعدنا على إصدار أحكام على كل الجمل من حيث صحتها النحوية ومقبوليتها..".[1]

يتضح من أنّ الكفاءة هي نظام ذهني مجرد مرتبط بالعقل، إذ أنّه لا يمكن إخضاعه للتجربة والملاحظة الملموسة، ولدراسته لابد من استعمال أداة الاستبطان، إذ أنّه من خلاله يمكننا الحكم وإثبات الحكم عليها بالصحة والخطأ من الناحية النحوية ومدى مقبوليتها، وعليه فإن "اللساني وصاحب اللغة يتمتعان بمقدرة لغوية تتمثل في الحدس تمكنهما من معرفة الجمل من حيث استحالتها واستقامتها".[2]

وبذلك فإن الحدس هو الأساس والركيزة لدى الإنسان والتي تجعلنا نميز بين ما هو صائب وخاطئ وما هو حسن وقبيح وبين ما هو محال ومستقيم، فهي تلك المعرفة الواعية للغة بشكل عفوي، وكما هو معلوم أن اللغة ميزة إنسانية، تتمثل في التعبير عن الأحاسيس والمشاعر والأفكار لتوصيل الكلام إلى السامع، وتبليغه ما يريده، ممّا يجعل التواصل أسهل بين أفراد المجتمع في مواقف مختلفة، ولذلك "فاللغة تتسم بميزة أساسية من حيث أنّها توفر للإنسان الوسائل اللازمة لكي يعبِّر بصورة غير متناهية عن أفكار متعددة، ولكي يتفاعل بصورة ملائمة، في عدد غير متناهٍ من المواقف الجديدة...".[3]

ومن هذا المنطلق فإنّ الإنسان بطبيعته قادر على تركيب عدد لا يحصى من الجمل وأشباهها التي لم يسمع بها من قبل وفي ظروف تتطلب منه الكلام في سياقات مختلفة،

---

[1]- أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2002، ص: 210.

[2]- المرجع نفسه،ص:ن.

[3]- ميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط2، 1986، ص:27.

كما أنه بمقدوره أن يفهم ويتفاعل مع تلك الأفكار المتنوعة. وعليه فخاصية الإبداعية في اللغة يختص بها الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى، فاستعمالها العادي هو استخدام إبداعي تجددي يتميز بالابتكار والخلق.

وتتعزز هذه الفكرة من حيث أنّه: "يتصف المظهر الإبداعي في اللغة بمميزات: أن استعمال اللغة الطبيعي تجددي... ولا يخضع استعمال اللغة لأي حافز ملحوظ، بل هو حر... ويثبت الاستعمال اللغوي تماسك اللغة وملائمتها لظروف التكلم".[1]

يتبين لنا، أن الإبداعية اللغوية تتصف بسمات في الاستعمال اللغوي من خلال أن الإنسان لمّا يتكلم فإنّه يعبّر بتعابير متجددة ومتطورة، كما أنّ الاستخدام اللغوي لا يخضع لأي ظروف أو مثيرات داخلية، فهو عفوي مطلق، وما مدى تواؤمها وتلك الظروف في الواقع مما يزيد من ثبات وتماسك اللغة.

فالعملية الإبداعية صفة مشتركة بين جميع اللغات البشرية، حيث يرى **تشومسكي (chomesky)** بأن العقل له صفات فطرية تجعل متكلم اللغة الإنسانية قادرا على تعلمها مما يمنح له فرصة لتكوين قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه، ولا يتم ذلك تقليدا وإنما بصورة إبداعية ابتكارية، فهذا الجانب الخلاق من لغة الإنسان هو ما يجعله يرتقي عن الحيوان ويتميز عنه، فالطفل يملك بالفطرة تنظيما إدراكيا من أجل الوصول إلى امتلاك اللغة فتكون له الخبرة بذلك في امتلاكها.

وهذا ما يؤكده **(جون ليونز)** في مؤلفه: نظرية تشومسكي اللغوية. من أن للإنسان قدرة غير محدودة تجعله قادرا على إنتاج عدد كبير وفهم اللامتناهي من الجمل دون نطقه أو سماعه لها من قبل قط.

فالملكة اللغوية تمر بمراحل ثلاث حسب **تشومسكي (chomesky)**، وهي:[2]

---

[1]- ميشال زكريا:الألسنية التوليدية والتحويلية و قواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص: 29.

[2]- عامر بن شتوح : الجهود اللسانية عند مازن الوعر، رسالة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، كلية الآداب و اللغات، 2013-2014، ص: 37.

1-**مرحلة فطرية:** وهي بطبيعة الحال أولى المراحل للدماغ، إذ أنه تحدث فيها تلك التفاعلات اللغوية الموجودة بكيفية وراثية عضوية دون عوامل أخرى.

2-**مرحلة حالة وسيطة:** وهي مرحلة موجودة عند الطفل أثناء عملية الاكتساب اللغوي.

3-**مرحلة قارة نسبيا:** وهي موجودة عند الإنسان البالغ، حيث يصبح الإنسان قادرا على اكتساب اللغة وامتلاكه لنظام لغته امتلاكا كليا.

يعني أن الإنسان يولد وعنده قدرة فطرية (innate compétence)، أي استعداد لتعلم اللغة البشرية، حيث يمر الفرد بسلسلة من المراحل للوصول إلى مرحلة ثابتة نسبيا تتطور تدريجيا حتى يمتلك نظام لغته في مرحلة معينة.

ومن هذا فإن المنطلقات الأساسية لرأي **تشومسكي (chomesky)**؛ هي منطلقات عقلانية، تأثر بالمنهج الديكارتي، فهذا المنحى يفترض وجود معرفة ضمنية بقواعد معينة، فالفعل الكلامي فعل عقلي بالمرتبة الأولى فقدرة المتكلم على التكلم تكمن وراءها آلية عقلية معقدة، فاللغة إذن هي انعكاس للعقل الإنساني.[1]

لقد ربط اللغة بالعقل الإنساني، إذ أنه هناك قواعد باطنية مضمرة تجعله قادرا على امتلاك ملكته اللغوية فـــ: "هذه القواعد قائمة بشكل ضمني في الملكة اللسانية أو (الكفاية اللغوية) العائدة إلى متكلم اللغة، وهي ممثلة بالتالي في عقول متكلميها".[2]

يعني أنّ هذه الضوابط متجسدة في العقل الإنساني ما يجعله قادرا على تحقيق ملكته.

وإذا توخينا التوضيح أكثر نقول أن هذه القواعد هي تلك المبادئ الكليّة الأولية الفطرية المشتركة بين جميع اللغات الطبيعية الموجودة عند جميع البشر.

---

[1]- ينظر: ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية (دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية)، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص:58.

[2]- المرجع نفسه، ص: 57.

وبالتالي، فإنّ: "اللغة نتاج العقل البشري، وهي تلك الرموز الصوتية التي يصدرها الإنسان بمحض إرادته للتعبير عن أفكاره، وهي غير بسيطة كما يظهر للعيان".[1]

يعني أن اللغة عملية معقدة، تكمن أهميتها في ارتباطها بالعقل الإنساني وهذا ما يؤكده **تشومسكي (chomesky)** من كتابه: المعرفة اللغوية، حيث يقول: "وطبيعة هذه الملكة هي مادة بحث النظرية العامة للبنية اللغوية التي تهدف إلى اكتشاف إطار المبادئ والعناصر المشتركة بين ما يمكن تحققه من اللغات الإنسانية... كما يمكن للمرء أن ينظر إلى هذه الملكة على أنها أداة اكتساب اللغة (a langue acquisition device)".[2]

وبذلك فإن ماهية هذه الملكة هي الكشف عن تلك القواعد المشتركة بين اللغات الطبيعية، والتي يعبر عنها بجهاز اكتساب اللغة. "وأي مكون فطري من مكونات العقل الإنساني يؤدي إلى إيجاد لغة خاصة عبر التفاعل مع التجارب الحاضرة، فهي أداة تحول التجربة إلى نظام مكتسب من لمعرفة أي إلى معرفة لغة أو أخرى".[3]

ويتضح من خلال ذلك أن الطفل يولد ولديه ميل فطري عقلي لمعرفة اللغة، وأن هذه الخاصية الفطرية عامة لدى جميع الأجناس البشرية، فـ "المعرفة باللغة؛ القدرة العملية على التكلم والفهم. فقد يشترك شخصان بالضبط في نفس المعرفة باللغة، لكنهما قد يختلفان اختلافا كبيرا في قدرتهما على استخدام هذه المعرفة".[4]

---

[1]- بن زروق نصر الدين: دروس ومحاضرات في اللسانيات العامة، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2011، ص: 84.

[2]- نوم تشومسكي: المعرفة اللغوية (طبيعتها، وأصولها واستخداماتها)، تر: محمد فتيح، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ط1، ص: 53.

[3]- المرجع نفسه ص:53.

[4]- المرجع نفسه، ص: 65-66.

وبالتالي، فإن المعرفة باللغة هي صحيح أن اللغة مشتركة بين أفراد الجماعة البشرية إلا أنها تتباين في استعمال تلك المعرفة اللغوية، كما "أنها قد تتحسن القدرة على استخدام اللغة أو تتدهور دونما تغير في المعرفة".[1]

وأنّ المعرفة للإنسان بلغته هي معرفة فطرية، إذ أن الهدف هو تحديد خصائصها عند متكلميها، فامتلاك الإنسان لمقدرة لغوية في التكلم والفهم في آن واحد، دليل على أن هناك شيء مقصورا عن هذه اللغة في ذهنه، ومن خلال العقل الذي سيحدد الألفاظ ودلالاتها والعلاقة الرابطة بينهما، وعليه فالملكة هي القدرة الجوهرية في استخدام وفهم الجمل الجديدة، ومن المؤكد فالعقل ميزة إنسانية تستخدم في اكتساب اللغة، بما أنه صفة عامة بين البشر كلهم، ولتحقيق الملكة اللغوية هي التي تضمن معرفة لغوية محصلة من الاختلافات للحقائق المجردة، وهذا ما يؤكده **تشومسكي (chomesky)** من خلال قوله: "تقوم اللغة البشرية على خاصية أولية... إنها خاصية اللامحدودية (اللانهائية) infinity المتفردة، التي تتكشف بشكلها الأنقى عن طريق الأعداد الطبيعية 1، 2، 3... إن الأطفال لا يتعلمون هذه الخاصية، فما لم يمتلك العقل المبادئ الأساسية قبلا، لا يمكن لأية كمية من الأدلة أن توفرها".[2]

اللغة الإنسانية هي لغة طبيعية تتميز بميزة اللامحدودية، من خلال تلك القدرة تتشكل ملكة لغوية لدى الإنسان، لارتباطها بالعقل الذي من خلاله يمكن فهم وإنتاج اللانهائي من الجمل، و"تعمل هذه الملكة بسرعة وبصورة محددة، كما أنها غير شعورية وتقع خارج حدود الوعي وبشكل لا يختلف في أعضاء النوع وتنتج نظاما معرفيا غنيا ومعقدا، أي لغة بعينها".[3]

---

[1]- نوم تشومسكي:المعرفة اللغوية(طبيعتها،و أصولها واستخداماتها)، ص: 67.

[2]- نعوم تشومسكي: آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، تر: عدنان حسن، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2009، ص: 34.

[3]- نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيتي، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص: 214.

عملية السرعة واللاشعور هما يميزان الملكة اللغوية إذ أن الإنسان يقوم بإنتاج نظام لغوي مركب، وكما أسلفنا الذكر من خلال قوله: "أن الملكة اللغوية خصيصة إنسانية فريدة... ومن غير المحتمل أبدا أن يكون لدى بعض الكائنات الأخرى هذه الملكة نفسها لكنها لم تفكر أبدا في استعمالها إلا بعد أن درّبها الإنسان".[1]

فالملكة اللغوية سمة إنسانية يتسم بها عن باقي الكائنات الأخرى، وبعد الممارسة والمران عليها يتم اكتسابها وبالتالي استعمالها.

يتطرق **تشومسكي (chomesky)** إلى كيفية امتلاك الملكة اللغوية الإنسانية، حيث يقول: "فالعقل_ الدماغ الإنساني نظام معقد تدخل في تركيبه أجزاء متفاعلة متعددة، أحدها الجزء الذي يمكن أن نسميه بالملكة اللغوية".[2]

يتضح لنا أن العقل البشري نظام غير بسيط، إذ أنه يمكن أن تتفاعل تراكيبه، بصورة عادية.

ولقد جاء في مقال بعنوان: حوار اللغة والعقل في فلسفة تشومسكي من أن هذا الأخير، قد أقر بفطرية الملكة اللغوية، وأنها مشتركة بين جميع البشر، إذ أنه في المراحل الأولى من عملية اكتساب اللغة لدى الطفل حيث تبدأ الملكة في النضج تدريجيا، ويصوّب أخطاءه حتى يكوّن ملكته اللغوية، فهو يرى بأن التجربة لا تلعب دورا حاسما في الاكتساب اللغوي، وإنما يتم اكتسابها وفق ميكانيزمات بيولوجية تضبط مسار تطور حالات الملكة اللغوية.[3]

حيث يؤكد(**براون دوجلاس)** ما جاء به **تشومسكي** من خلال قوله: "إن الأطفال جميعهم يكتسبون لغتهم الأولى بكفاءة عالية وبطريقة طبيعية، دون توجيه".[4]

---

[1]- نعوم تشومسكي: اللغة و مشكلات المعرفة، ص: 64.

[2]- المرجع نفسه، ص: 61.

[3]- يوسف وسطاني: الملكة اللسانية وعلوم اللغة العربية، مجلة التواصل في اللغات والآداب، جامعة محمد دباغين، سطيف2، ع43، سبتمبر، 2015، ص: 7.

[4]- براون دوجلاس: أسس تعليم اللغة وتعلمها، تر: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص: 53.

يعني أن الطفل يكتسب لغته بشكل عفوي تلقائي دون توجيهه وبكفاءة عالية، إذ أنه له القدرة على التواصل والتعلم شيئا فشيئا إلى أن يتحصل على ملكته، حيث يفسّر ذلك **تشومسكي** من خلال قوله: "أن الإنسان يمتلك جهازا فطريا، يسمى "الملكة اللغوية" (المقدرة اللغوية) أو ما يطلق عليها: الكفاءة الكامنة في العقل".[1]

فهو يؤكد على فطرية الملكة اللغوية، فهي قضية عقلية موجودة عن الإنسان منذ الولادة.

وهذا ما يمكن أن نفسره من خلال هذا القول: "اللغة نظام اتصالي يتميز بإمكانية تركيب الإشارات الجديدة وتفسيرها".[2]

فالطفل بقدرته الفطرية، يكون مهيأ ليكون قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه بصورة إبداعية دون تقليد، مما يمكنه أيضا إنتاج وفهم جمل جديدة وتفسيرها حتى وإن لم يواجهها من قبل ولم يتعرف إليها وتكون صحيحة ومتنوعة.

يرى **تشومسكي (chomesky)** بأن الإبداع أساسي في تحقيق كفاءة لغوية عالية القيمة، إذ أنه رفض مبدأ التقليد والمحاكاة، حيث يرى بأن المبدأ الوحيد للانطلاق منه هو الابتكار والخلق الجديد لعدد لا يحصى من الجمل، يعني بالكلام هو "الإتيان دوما بما هو جديد، إنه رد على سؤال لم نسمعه أيضا، إنه تكيف مستمر مع بيئة قابلة للتغيير إلا ما لا نهاية ومتغيرة باستمرار، والمحاكاة عامل مهم في تعلم اللغة إلا أنها ليست عاملا أساسيا".[3]

---

[1]- نعوم تشومسكي: اللغة والمسؤولية، تر: حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرف، القاهرة، مصر، ط2، 2005، ص: 41.

[2]- جورث جرين: علم اللغة النفسي تشومسكي وعلم النفس، تر: مصطفى التوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص: 09.

[3]- برتيل مالبرج: مدخل إلى اللسانيات، تر: السيد عبد الظاهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص: 304.

فالكلام عنده هو حضور الجمل الجديدة أثناء عملية المحاورة والكلام، والإجابة عن الأسئلة دون تخمين ومحاولة استيعابها؛ لأن هذا كله كامن في العقل، مع مراعاة التغير المستمر في محيطه الذي يعيش فيه والتطور اللغوي فيه.

يفترض **تشومسكي (chomesky)** في نظريته العقلية من أن: "النحو التوليدي التحويلي (transformationnel générative grammar) أن الكلام يحتوي على بنية سطحية وأخرى عميقة وأن المتكلم والمستمع ينتقل من بنية لأخرى عن طريق التحويلات، والبنية العميقة هذه هي بنية تفسر فهم الكلام، وهي ذات فعالية ديناميكية على البنية السطحية، بمعنى أن العقل يقوم بعمليات عرفانية يربط بها بين البنية السطحية والعميقة".[1]

اكتساب الملكة اللغوية هي ما تجعل صاحبها له القدرة على الأداء الكلامي، بطريقة مميزة وبسهولة وسرعة، وبدقة ووضوح، من خلال النظام اللغوي الذي ينتمي إليه الطفل، فمن خلال تلك العمليات العقلية التي تربط البنية السطحية بالعميقة هي تجعله يفسر ويفهم البنيات اللغوية لتخرج في شكلها السطحي ذات حيوية وحركية، وهو ما يجعل الطفل يميز بين الصحيح والمنحرف عن طريق "الحدس اللغوي" والذي يعده **تشومسكي (chomesky)** أحد الأصول النفسية لنظريته: فهو تلك المقدرة التي من خلالها يتمكن أبناء اللغة في التفريق بين النماذج السوية، وتفضل إحداها على أخرى في إنتاجية الجمل، فكلما كانت الجمل صحيحة نحويا كان النموذج الذي ينتجها أفضل وأحسن، وهذا معناه أن الحدس هو تمثل عقلي لقواعد اللغة، الذي يجعل الفرد يحكم ويضبط صحة واستقامة الجمل من المنحرفة والخاطئة في النظام اللغوي".[2]

[1]- جمال شمس الدين: علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، ج1، ص: 158.

[2]- المرجع نفسه، ص: 197.

ونختم مبحثنا هذا بتعريف **تشومسكي (chomesky)** للملكة اللغوية، فيقول: "ويبدو الآن بشكل معقول أن هناك عنصر خاص من الدماغ البشري (الذي يطلق عليه ملكة اللغة) مخصص تحديدا اللغة... مثل جميع مكونات الجسم الأخرى: الكلى، الدورة الدموية...."[1].

فهو يرى بأن الملكة اللغوية جزء من أجزاء الدماغ الإنساني، مخصص للغة البشرية مثله مثل الأعضاء الجسمية الأخرى.

ومنه **فتشومسكي (chomesky)** ينظر إلى اللغة نظرة عقلية والتي من خلالها يتمكن الإنسان من إنتاج وفهم العدد اللامتناهي من الجمل غير المسموعة من قبل وبذلك يتمكن من بناء نظامه الإدراكي للغته بطريقة طبيعية دونما أي توجيه.

المبحث الرابع: اكتساب اللغة عند تشومسكي.

تناول علماء النفس وكذلك اللغويين فكرة اكتساب اللغة وعالجوها من جوانب عدة، حيث اختلفت آراءهم في هذه المسألة؛ لأنها ذا أهمية بالغة في حياة البشر،إذ أنها تظهر أثناء عملية الكلام لديهم، ومن خلال هذا نجد **(محمود السعران)** في كتابه: اللغة والمجتمع، يرى بأن لغة الطفل تمر بمراحل معينة وهي:[2]

1-مرحلة الصياح: أي الصراخ وغيره.

2-مرحلة البأبأة: إحداث أصوات معينة.

3-مرحلة الكلام: وهي مرحلة يتم فيها التكلم، وتنقسم إلى فترتين:

3-أ- وهي فترة اللغة الصغيرة؛ أي اللغة الخاصة بالطفل، وفيها يكون الطفل من الوجهة اللغوية متفردا.

[1]- بسطامي أنفال: حوار اللغة والعقل في فلسفة تشومسكي، مجلة الدراسات وأبحاث، ع23، جوان2016، جامعة قسنطينة2، الجزائر، ص: 10.

[2]- محمود السعران: اللغة والمجتمع رأي ومنهج، ط2، الإسكندرية، 1963، ص: 43-44.

3-ب- فترة اللغة المشتركة: أو اللغة الجماعة، وفي هذه الفترة يأخذ خضوع الطفل للمجتمع وتأثره به في الازدياد شيئا فشيئا، أي تكون لغته عامة يشترك فيها مع أبناء جنسه وجماعته البشرية.

ويوضح (**ابراهيم خليل**) حسب ما جاء به **تشومسكي (chomesky)** في مسألة ربطه بين اكتساب اللغة وطبيعة القواعد النحوية، مميزا بين الكفاية والأداء حيث أن الأولى تجعل الطفل يكتسب في مرحلة مبكرة مجموعة من القواعد التي تمكنه من بناء وفهم ما يشاء من جمل لم يتطرق إليها من قبل قط، وأداءه بطبيعة الحال متباين، حسب العوامل النفسية والاجتماعية والشخصية... وما إلى ذلك.

لقد استأثر اكتساب اللغة اهتمام **تشومسكي (chomesky)**، فكل طفل يتمتع بصحة عادية، لديه قدرة فطرية كامنة على تعلم اللغة، حيث يبدأ التعلم منذ البداية، لكنه يتزايد بالنمو اللغوي، باستخدام أعضاء النطق في إصدار الأصوات أولا، ثم تظهر لديه بعد ذلك القدرة على دمج صوتين ببعضهما البعض لتأليف مقطع، نحو: ماما، بابا... ثم ترديد بعض الكلمات أي تكوين مركب من كلمتين فأكثر..[1]

ومنه يجيب **تشومسكي (chomesky)** عن السؤال عن كيفية تحقيق الكفاية عند متكلمي اللغة، فكما نعرف أن الكبار والصغار سيان، فكلاهما له القدرة على اكتساب اللغة في أي سن، ولكن إذا وجد من لم يستطع اكتساب اللغة بصفة عادية وناجعة، فذلك راجع إلى مؤثرات خارجية وليست قدرته الفطرية؛ لأن الطفل يولد وهو مزود بملكة فطرية تمكنه من اكتساب اللغة وفهم وبناء عدد لا متناه من الجمل الجديدة.

وعليه فإن عملية الاكتساب اللغوي عند **تشومسكي (chomesky)** مرتبط بالاتجاه الفطري، والاكتساب لدى الطفل لا يتوقف في مرحلة معينة أو في درجة من العمر.

[1]- ينظر: ابراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص: 36-37.

وفي نفس السياق يوضح **نعمان بوقرة** حسب ما جاء به **تشومسكي (chomesky)** من أن هناك مبدأين أساسيين في نظريته وهما: الاكتساب اللغوي والإبداعية اللغوية.

حيث يرى أن جميع البشر لهم القدرة على اكتساب اللغة، بغض النظر عن المؤثرات المختلفة، كما بين من أن **تشومسكي (chomesky)** قد رفض رفضا صريحا النظرية السلوكية؛ لأنها قامت بالمساواة بين السلوك الحيواني والسلوك الإنساني الذي تميز به عن باقي المخلوقات لامتلاكه لخاصية اللغة، حيث ردّ على آراء **"سكينر" (skinner)**في كتابه: السلوك الكلامي، من أن العلاقة الشرطية في المثير والاستجابة لا تصلح لتفسير قدرة المتكلم على استخدام اللغة، حيث يقول بأن منهج نظريته هو: "منهج ذهني يجعل ملكة اللغة قدرة فعالة غريزية وفطرية، وهي قدرة تخص الإنسان وحده..".[1]

فملكة اللغة صفة وخاصية إنسانية، حيث يولد وهو مزود بجهاز داخلي يمكنه من اكتساب اللغة وإنتاجها وفهمها واستيعابها، "فكيفية تعلم الأطفال الصغار تتعلم بشكل تطوري سريع دون النظر إلى العوامل الخارجية التي تتدخل في هذه العملية، وهذه العمليات اللغوية مرتكزة على أسس بيولوجية، ثم إن أي محاولة لشرح الظاهرة اللغوية برؤية سلوكية إنما هي تجاهل للخلق اللغوي عنده".[2]

عملية التعلم اللغوي متطورة وسريعة بغض النظر عن المؤثرات الخارجية، وإذا ربطنا عملية الاكتساب اللغوي بالسلوك، فهذا يفقد اللغة ميزتها الإبداعية والقدرة على خلق جمل جديدة وتفسيرها وكذلك استيعابها بطريقة طبيعية، حيث يوجد هناك مبادئ لغوية مجردة تخضع لها جميع اللغات الطبيعية التي تجعله يتعلم اللغة بصورة ابتكارية ما يتيح له فرصة الارتقاء عن منزلة الحيوان.

[1]- نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص: 137.

[2]- المرجع نفسه، ص: 138.

يتّخذ **تشومسكي (chomesky)** في نظريته إلى ضرورة اتّباع المنهج العقلاني؛ لأنّ "عقل الإنسان كتلة رخامية في يد النحات يشكل منها ما أراد في حدود خصوصية القطعة الرخامية".[1]

حيث يشبه عقل الإنسان بالذي ينحت على الرخام، إذ أنه يمكنه تشكيل أي قطعة أراد فكذلك متكلم اللغة.

فالإبداع اللغوي من أهم الحقائق التي أزال عنها **تشومسكي (chomesky)**، حيث أن ابن اللغة قادر على خلق الجمل الجديدة بغير وعي في ظروف عادية، دون سماعه لها من قبل.[2]

وهذا ما تؤكده **(هيام كريدية)** من عملية الاكتساب اللغوي عنده مرتبطة بالعقل أي اللغة تتصل بالعقل اتصالا فطريا، يعبر عنه بالإبداع، والكليات والكفاية والبنية العميقة كل هذا يساهم في إنجاح عملية الاكتساب اللغوي وسرعته.[3]

وعليه فالسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا في هذا السياق، كيف نكتسب اللغة؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عنه حسب ما جاء به **تشومسكي (chomesky)** الاكتساب اللغوي أمر حاصل فطريا، حيث يولد الطفل بقدرة خاصة تمكنه من اكتسابها بتفاعل قدراته العقلية وكذلك النفسية، حيث يؤيده "دوجلاس براون" فيما جاء به، من خلال قوله: "إن الأطفال يولدون ولديهم الفطرة لتعلم اللغة، وهذه القدرات الفطرية موجودة لدى جميع أفراد النوع البشري".[4]

يعني أنّ اكتساب اللغة أمر مركوز في الإنسان بالولادة، فمن خلال تلك القدرة الفطرية يتمكن من اكتسابها، وهي ما جعلت الجماعة البشرية تتميز به.

---

[1]- نعمان بوقرة:اللسايات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، ص: 140.

[2]- ينظر: جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص: 57.

[3]- ينظر: هيام كريدية: أضواء على الألسنية، ص: 150.

[4]- دوجلاس براون: أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص: 38.

يطرح **تشومسكي (chomesky)** قضية وهي ما يوسمها بـــ "معضلة أفلاطون"، وهي مشكلة عدم التطابق بين المدخلات اللغوية الأساسية وما يتحقق فعلا، فنظام القواعد عند البالغين نظام عالي التعقيد وغير بسيط إذ أنه لا يتناسب والمدخلات، ولا يمكن اكتساب الإنسان اللغة عن طريق الإشراط (من مثير واستجابة وتعزيز...) وكذلك القياس والتعميم... كما يقر أصحاب المذهب السلوكي. وعليه فهذه المشكلات التي تكتنف المادة اللغوية المقدمة للطفل في اكتسابه لغته الموصوفة بالفقر والقصر.[1]

فالطفل كما نعلم لا يولد صفحة بيضاء، وإنما يولد وفيه من الاستعداد لاكتساب أي لغة بشرية، حيث يتبين من هذا القول من أن: "الطفل تتوفر لديه بكيفية ما بعض المفاهيم قبل أن يمر بتجربته اللغوية، وأن ما يقوم به أساسا ليس إلا تعلم أسماء لتلك المفاهيم التي تكون جزءا من تركيبه المفهومي المسبق".[2]

يعني أن الطفل يقوم باكتساب أسماء تلك المفاهيم التركيبية السابقة له في معرفتها قبل مروره بالتجارب اللغوية الأخرى.

ولتأكيد ما سبق فمن خلال ما جاء به **(مرتضى جواد باقر)** في مؤلفه بتقديم مثال يوضح ذلك؛ فمعرفة أن فلانا اغتال فلانا تعني أن هناك قصدا في القتل وأن القتل جرى مخاتلة، هذا ما نعرفه بدون حاجة إلى معرفة ما حدث، فـــ "الإنسان قد وهب عدة ملكات محددة أطلقنا عليها اسم العقل، وهذا العقل أو تلك القدرات تقوم بدور حاسم في اكتسابنا للمعرفة كما تمكننا من القيام بدور مستقل عن أي عامل خارجي في البيئة المحيطة بنا، أي أننا لا نتأثر بهذه البيئة حتما".[3]

---

[1]- ينظر: مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص: 28.

[2]- المرجع نفسه، ص: 40.

[3]- جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، ص: 235.

منح الإنسان ملكة خاصة به وهي العقل، والتي تمكنه من القدرة على اكتساب اللغة بطريقة صحيحة ومستقيمة، إذ أن اللغة نظام معرفي عقلي حيث تفسر طبيعتها واستخدامها ضمن ما يفرضه حدود العقل البشري، والبيئة المحيطة به لا تؤثر فينا، والكفاءة اللغوية حسب ما جاء به **تشومسكي (chomesky)** بأنها: "الحالة المعرفية التي تضم كل تلك الجوانب من الشكل والمعنى والعلاقات فيما بينها بما في ذلك البنى التحتية التي تدخل في تلك العلاقة والتي يختص بها النظام العقلي الفرعي المحدد الذي يصل بين تمثيلات الشكل والمعنى".[1]

فالملكة اللغوية هي الربط بين تلك العلاقات التي يختص بها النظام العقلي التي تظهر متجسدة في الجوانب الممثلة في الشكل والمعنى.

دعا **تشومسكي** إلى التمييز بين ثنائية البنية العميقة وكذا السطحية، فالأولى؛ تمثل التفسير الدلالي للجملة، أما السطحية، فتتمثل في الشكل النهائي للكلام المنطوق فعلا، فـــ: "ملكة اللغة تتضح خلال الطفولة ومن ثم تهيء الفرصة لوجود مبادئ متنوعة في مراحل خاصة من عملية اكتساب اللغة".[2]

اكتساب اللغة عملية لا شعورية، يولد الطفل وهو مزوّد بقابلية لغوية يمر بمراحل التعلم وذلك لتحقيق عملية النمو اللغوي لديه والرقي فيها وتطويرها، وتتعزز هذه الفكرة من خلال ما أقرّ به **(دوجلاس براون)** حسب ما جاء به **تشومسكي (chomesky)** في قوله: "يؤكد تشومسكي من وجود خصائص نظرية لغوية تفسّر لنا كيف يستطيع طفل أن يتقن لغة في وقت قصير جدا رغم الطبيعة التجريدية لقواعد اللغة، ويشبه تشومسكي هذه المعرفة الفطرية بأنها "صندوق أسود صغير" أطلق عليه اسم "جهاز اكتساب اللغة".[3]

---

[1]- مرتضى جواد باقر:مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص: 28.

[2]- نعوم تشومسكي: المعرفة اللغوية (طبيعتها وأصولها واستخدامها)، ص: 122.

[3]- دوجلاس براون: أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص: 39.

فمقدرة الطفل على إتقان اللغة واكتسابها في مدة قصيرة وبسرعة وبسهولة أيضا لوجود جهاز اكتساب اللغة الفطري فيه، حيث يشبهه بذلك الصندوق الأسود الصغير الذي يقوم بتسجيل تلك المعلومات، ومن خلال هذا الجهاز الوهمي الموجود في الذهن والمجرد، هو ما يجعلنا نكتسب اللغة بضبطها بتلك القواعد الكلية، وأن "اكتساب اللغة أمر متوفر لكل بني البشر، ولا يمنعهم من ذلك إلا الإصابات والأضرار الدماغية الكبيرة، بل إنه محصور البشر لا يشاركهم به أي حيوان آخر".[1]

حيث أورد مثالا عن القردة ورأى بأنّه لا يمكن تصوّر حيوان قادر على تعلم اللغة واكتسابها وكذا استخدامها، إذ أن اللغة تمنح قابلية استعمالها بمزايا كبيرة، واستخدام الإنسان للغة يكون بصورة إبداعية متجددة وكذلك بحرية، فهو لا يعيد ما سمعه من قبل، فعملية الاكتساب اللغوي تقريبا تمر بمراحل متشابهة عند جميع الأطفال، فيتعملونها باعتمادهم على تلك المعرفة الفطرية اللغوية.

كما أن "فقدان القدرة على الكلام لا يعني فقدان المعرفة بالنظام العقلي الذي اكتسبه في صغره وحين يستعيد الإنسان هذه القدرة لن يتحدث إلا لغته الأولى التي اكتسب معرفتها، وليس بلغة حديدة".[2]

فالمعرفة اللغوية عملية عميقة بالغة الأهمية في استخدام الإنسان لغته، حيث أنه وإن هناك عرقلات ومتغيرات خارجية أثرت على عملية الكلام لديه، فإن هذا لا يؤثر على طبيعة نظامه المعرفي المكتسب أثناء مرحلة نموه العقلي واللغوي، ولما يقوم باستعادة تلك المقدرة اللغوية على الكلام فتكون له قابلية بالتحدث بتلك المعرفة المكتسبة سابقا المرتبطة بالمبدأ النحوي الفطري الفعال دون استعمال لغة جديدة غير التي كان يتحدث بها.

[1]- مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص: 49.

[2]- المرجع نفسه، ص: 54.

لقد اهتم الإنسان باللغة اهتماما بالغا منذ وجوده، وفترة ميلاده، حيث منحه الله سبحانه وتعالى العقل وميزه عن سائر المخلوقات الأخرى، فمنذ لحظة ميلاده اللغوي له القدرة وذلك الاستعداد لاكتساب اللغة البشرية وفي هذا يقول **تشومسكي (chomesky)**: "أن الإنسان يولد ولديه قدرة لغوية محددة تساعده على اكتساب أية لغة يعيش في مجتمعها، فاللغة هي قدرة المتكلم بها على تأليف وابتكار جمل وتعابير جديدة لم يقلها أحد من قبل، أو على الأقل لم يسمعها هو نفسه من قبل".[1]

يمكن للإنسان من خلال قدرته اللغوية على اكتساب أي لغة من اللغات البشرية الموجودة في محيطه الطبيعي الذي يعيش فيه، ومن تأليف وابتكار جمل وأشباهها، وكذلك إشارات لغوية جديدة وتفسيرها، فهذا كله يساعد على إنتاج وفهم عدد لا يحصى في شكل مستمر من الجمل حتى وإن لم يسمع بها قط، ولأن اللغة نتاج عقلي يكمن وراء بنية فطرية تستعمل في اكتساب اللغة، حيث يورد **(ميشال زكريا)** أنّ **تشومسكي (chomesky)** يرتكز على نقطة أساسية هي ارتباط اللغة بالجانب العقلي، وفي هذا يقول: "لا وجود للغة خارج إطار تصورها العقلي، ومهما كانت خصائصها، فهي تختص بها عبر المسار العقلي النظري للجهاز العضوي الذي أوجدها ويوجدها في كل جيل، والذي يوجد فيها في الوقت نفسه الخصائص المتعلقة بشروط استعمالها، ويبدو أن اللغة مفيدة لسبر المسار العقلي و اكتشاف نظامه".[2]

كما يتضح لنا، فاللغات الإنسانية متجسدة في عقول مستعمليها، التي تختزن فيها قواعد ومبادئ خاصة كالتركيبية والدلالية لإنتاج اللامحدود من الجمل وغيرها في اللغة الطبيعية، والعقل هو المقياس الذي يحدد ويكتشف نظامها الصحيح من المنحرف؛ لأن اللغة استعمال إبداعي تجددي متطور في استمرار، وبها يتم تحقيق عملية التواصل والإبلاغ والتبليغ بين متكلمي اللغة بصورة ناجعة.

---

[1]- نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1978، ص: 116.

[2]- ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية (دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية)، ص: 58.

فكما نعلم أن اللساني الأمريكي المعاصر **نعوم تشومسكي (naom chomesky)** دعا إلى دراسة اللغة الإنسانية دراسة لغوية نفسية معرفية، تهدف إلى الكشف عن طبيعة اللغة ونموها في عقل الإنسان، حيث يرى بأنها سجية خاصة بالإنسان، وأن اكتسابها قدرة عقلية مغروسة فيه منذ ولادته، وأن أي طفل يولد في بيئة بشرية معينة سوف يكتسب لغة هذه البيئة، بغض النظر عن مستواه التعليمي والاجتماعي، ما لم يكن مصابا بأمراض جسمية أو عاهات عقلية تمنعه من تلقي اللغة أو فهمها أو حتى استعمالها، فحسب **تشومسكي (chomesky)** فإن أي إنسان يعيش في بيئة معينة يكتسب لغتها بقواعدها الصوتية، الصرفية، التركيبية، كما أنه يمكنه إتقان حتى أساليبها التداولية التواصلية.

والطفل يتوصل إلى هذه القواعد من خلال ما وهبه الله عز وجل من مقدرة عقلية فطرية كامنة في دماغه، وهذه القدرة هي التي أطلق عليها **تشومسكي (chomesky)** مصطلح: القواعد الكلية، التي يضبطها جهاز اكتساب اللغة[1]، وقد أكد على أن الطفل "لا يكتسب لغته بالتقليد والتكرار والتعزيز، وإنما يكتسبها بالتفكير والتحليل وفرض الفروض واختيارها معتمدا على كفايته اللغوية الكامنة، وعلى الدخل اللغوي بنوعيه: المنطوق والمكتوب".[2]

يعني أن الطفل لا يقوم بعملية القياس على الأشباه في إنتاجه للغة كما يسمعها، وإنما يقوم بإعادة بناء قواعدها وبلورتها، حيث تتطور تلقائيا من خلال تلك المعرفة الضمنية بتلك القواعد ويكون ذلك بسرعة وعفوية وبسهولة أيضا، وذلك لأن: "... جميع الأطفال يولدون مزودين بجهاز لاكتساب اللغة يحتوي على المعرفة الوراثية المنقولة إليه والتي يسميها تشومسكي المنطقية (الصورية) formal أو الأصول الكلية الثابتة (substantive universal)".[3]

---

[1]- ينظر: عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي: علم اللغة النفسي، البحوث العلمية، ط1، 20006، ص: 250-251.

[2]- المرجع نفسه، ص: 283.

[3]- جمال شمس الدين: علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، ص: 108.

يعني أن هذا الجهاز المستعمل في اكتساب اللغة متوفر لدي جميع الأطفال حيث أيضا يساعد على تطويرها، فله قدرة فطرية نابعة من الداخل تجعله يرتقي ويتميز عن درجة الحيوانية من خلال ما يقدمه هذا الجهاز الفطري المنطقي في قدرته على التصرف فيها من خلال الأحكام الكلية الثابتة. "فليس اكتساب اللغة شيئا يعمله الطفل في واقع الأمر؛ بل شيء يحدث له إذا ما وضع في بيئة ملائمة وهو أمر يشبه نمو جسم الطفل ونضجه بطريقة محددة مسبقا حين يقدم له غذاء ملائم وبيئة حافزة".[1]

يتضح من خلال هذا القول بأن عملية الاكتساب اللغوي مثل عملية نمو جسم الطفل حيث أنها تتطور شيئا فشيئا، وترتقي بشكل تدريجي، إذا كانت في إقليم ملائم.

يمتلك الطفل قدرة تجعله يحول البنية العميقة إلى البنية السطحية من خلال ارتباطهما ببعضهما، إذ أن الأولى هي تلك الناحية الإدراكية في الذهن للغة أما الأخرى هي الكلام المنطوق الخارج إلى السطح في اللغة، ومن خلال هذين المبدأين الأساسيين حيث يرى **تشومسكي (chomesky)** أن الإنسان له قابلية لغوية تتميز بالإبداعية و الابتكار مشتركة بين جميع البشر،حيث يعتبر أن الطفل ركن أساسي خلاّق في اكتساب اللغة[2]"يؤكد على أنّ"الطفل يمتلك قدرة خاصة في إدراك معاني ومفردات اللغة المكتسبة، وكذلك كيفية نطقها، حيث تختلف نسبة إلى حالات معينة، تتصل بالإنسان والتي تجعله يمتلك اللغة فالأولى يمكن تسميتها بالحالة الأولى للطفل وهي امتلاكه لتنظيم إدراكي، وفيها تحصل تغيرات خفيفة وسريعة خلال المرحلة المبكرة من الطفولة، ثم تأتي مرحلة الحالة الصلبة وفيها يتم اكتمال الحالة العقلية الثانية والصلبة بعد ذلك تتعرض أيضا لتغيرات طفيفة، للوصول إلى الحالة النهائية وذلك بامتلاك اللغة، حيث أن هذه الحالات

[1]- نعوم تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، ص: 187.

[2]- نايف خرما: اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، ص:93

خاصة بالنوع البشري ولها علاقة متكاملة ومترابطة فيما بينها إذ أنه بالإمكان تسميتها "نظرية اكتساب اللغة الإنسانية".[1]

والطفل السوي أثناء عملية اكتسابه للغة في مراحله الأولى من نموه العام يكون حسب ما يراه **تشومسكي (chomesky)** بطريقة عفوية تلقائية لا شعورية أي بدون وعي، فهو مهيأ لاكتسابها منذ ميلاده.[2]

ينطلق **تشومسكي (chomesky)** في تفسيره لمراحل النمو اللغوي للطفل من خلال الآتي:[3]

1- أن اكتساب بنى اللغة يتم على نسق واحد بالنسبة إلى جميع أطفال البيئة اللغوية الواحدة، وغير المصابين بأي عارض مرضي يعيق نموهم اللغوي الطبيعي.

2- يكتسب الطفل لغته عن طريق سمعه لجملها ومحاولاته لتكلمها.

3- في نحو السنة الأولى من عمره، ينطق الطفل السوي ببعض الكلمات المنفردة، وفي عمر السنة والنصف أو السنتين يركب الطفل جملا مؤلفة من كلمتين متتابعيتن أو ثلاث كلمات، وفي السنة الرابعة من عمره قد اكتسب تقريبا بنى لغته بمجملها.

4- في ما يختص باللغة التي يكتسبها الطفل ينبغي ألا تتعدى خصائصها بصورة أساسية قدرات الطفل الطبيعية على استيعابها وإلا استحال عليه اكتسابها.

5- لا يكتسب الطفل اللغة واستعمالها فحسب، بل يكتشف في الوقت نفسه، محتوى الكلام كحقيقة قائمة بحد ذاتها.

---

[1]- ينظر: نعوم تشومسكي: اللغة والمسؤولية، ص: 67.

[2]- ينظر: أحمد محمد معتوق: الحصيلة اللغوية (أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها)، عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص: 47.

[3] ميشال زكريا: الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص: 45-49.

يتضح من خلال ما قلناه سالفا من أن تشومسكي (**chomesky**) في عملية تحليله للاكتساب اللغوي عند الطفل يكون وفق مراحل تتطور مع نموه اللغوي، حيث يكون على استعداد فطري (ذهني/ نفسي) كامل لامتلاك كفاءة لغوية عالية، وذلك لإتمام عملية الكلام لديه، حيث يستطيع الطفل استكناه القواعد الكامنة في ذهنه للغة المراد اكتسابها مما يؤدي إلى نجاح عملية أداءه الكلامي لتحقيق تواصله مع أبناء جنسه، فهو بذلك ينمي صورة داخلية في اكتشاف تلك القواعد الضمنية ومعرفتها من خلال ما يحيط به من حوله، وما يجعل له القدرة والإمكانية على الحكم على أصولية واستقامة الجمل أو انحرافها ونقصها، أي مطابقة للقواعد الكلية أو مخالفة لها.

ونخلص من خلال ما قلناه سابقا أن مفهوم الملكة اللغوية عند **تشومسكي** ومسألة اكتساب اللغة مرتبطة بالاتجاه الفطري عند الإنسان، وأنها متصلة اتصالا وثيقا بالعقل البشري، لأن الطفل يولد وهو مزود بطاقة فطرية تمكنه من تحصيل ملكة لغوية واكتسابها بطريقة عفوية، فاللغة عنده حركية حيوية يتميز بها الجنس البشري عن سائر المخلوقات الأخرى.

الفصل الثاني

مقارنة بين ابن خلدون و تشومسكي

في فكرتي الملكة
واكتساب اللغة

المبحث الأول: مقارنة بين مفهومي الملكة و الاكتساب اللغوي عند كل من ابن خدون و تشومسكي

ربطا بما ذكرناه في الفصل السابق عن الملكة و اكتساب اللغة عند **ابن خلدون** و **تشومسكي**، نورد ذلك في شكل جدول حسب التالي:

المطلب الأول مقارنة مفهوم الملكة بين ابن خلدون و تشومسكي:

ابن خلدون :	تشومسكي:
1- اللغة عنده: أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها و قصورها حسب تمام الملكة أو نقصانها. 2- يفرّق بين: صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة و مقاييسها خاصة . فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة و إنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما و لا يعكسها عملا. 3- يتحدّث **ابن خلدون** عن: الإنسان من جنس الحيوانات، و أن الله تعالى ميزه عنها بالفكر الذي جعل له، يوقع به أفعاله على انتظام و هو العقل التمييزي أو يقتنص به العلم بالآراء و المصالح و المفاسد من أبناء جنسه و هو العقل التجريبي؛ أو يحصل به في تصور الموجودات	1- الكفاية اللغوية عنده مجموع القواعد الكامنة في ذهن الإنسان التي تمكنه من بناء الجمل و امتلاك الآلية اللغوية. 2- ميّز بين: الكفاءة (compétence) هي المعرفة اللاواعية و الضمنية بقواعد اللغة، التي يكتسبها الطفل منذ طفولته، و تبقى راسخة في ذهنه، فتمكنه فيما بعد من إنتاج عدد غير محدود من الجمل الجديدة التي لم يسمعها من قبل الأداء (PERFORMANCE) الاستعمال الفعال للفقه في مواقف مادية واضحة. 3- الملكة اللغوية خصيصة إنسانية فريدة و من غير المحتمل أبدا أن تكون لدى بعض الكائنات الأخرى. 4- اللغة تتسم بميزة أساسية من حيث أنها توفر للإنسان الوسائل اللازمة

غائبا و شاهدا على ما هي عليه و هو العقل النظري. 4- و يصف في هذا من أنّ: الفكر الإنساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته و هو وجدان حركة النفس ، في البطن الأوسط من الدماغ... هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات. 5- يفسّر **ابن خلدون** من أن: اللغة ملكة في اللسان، و كذا الخط صناعة ملكتها اليد. 6- يعرّف الملكة بأنها: صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل و تكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته. 7- يقول **ابن خلدون**: هكذا تصيّرت الألسن و اللغات من جيل إلى جيل. و تعلمها العجم و الأطفال، و هذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع، أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم، و لم يأخذوها عن غيرهم. 8- اللغة و طريقة استخدامها، هي التي تطبع كل مجتمع بطابع خاص	لكي يعبر بصورة غير متناهية عن أفكار متعددة، و لكي يتفاعل بصورة ملائمة في عدد غير متناه من المواقف الجديدة. 5- يفسّر **تشومسكي** بأنّ القدرة الإبداعية هي قدرة اللغة الإنسانية غير المحدودة التي تجعل أبناء اللغة الواحدة قادرين على إنتاج و فهم عدد كبير و غير محدود من الجمل التي لم يسمعوها قط و لم ينطق بها أحد من قبل. 6- اللغة نتاج العقل البشري و هي تلك الرموز الصوتية التي يصدرها الإنسان بمحض إرادته للتعبير عن أفكاره، و هي غير بسيطة كما يظهر للعيان. 7- يرى بأنّه أي مكون فطري من مكونات العقل الإنساني يؤدي إلى إيجاد لغة خاصة عبر التفاعل مع التجارب الحاضرة فهي أداة تحول التجربة الحاضرة إلى نظام مكتسب من المعرفة أي معرفة لغة أخرى. 8- عقل الإنسان كتلة رخامية في يد النحاتِ يشكل منها ما أراد في حدود خصوصية القطعة الرخامية.

يصبح هو الطابع المميز في عيون الآخرين من خارج المجتمع، بحيث تصبح نظرة هؤلاء لكل فرد من أفراد ذلك المجتمع كأنه قطعة تتمثل فيه جميع الصفات التي تميز مجتمعه كله، بغض النظر عن الفروق الواضحة بين فرد و آخر. 9-يرى ابن **خلدون** بأنّ : الإنسان هو مدني بالطبع، أنه لا تمكن حياة المنفرد من البشر، و لا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه، و ذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده و حياته فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبدا لطبعه. 10- الملكة اللسانية يتم استيعابها من خلال فهم التراكيب النحوية المبثوثة في ثنايا النص الأدبي أو الكلام البليغ، ثم القدرة على تمثلها مرة أخرى أو إنتاج تراكيب شبيهة بهذه التراكيب المتنوعة. 11- يميّز أيضا بين: العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل و ليس نفس العمل. 12- و يعني بـــ: علم النحو... ملكة يمتلكها الإنسان منذ الطفولة و	9-كما يرى أيضا: أنّها قد تتحسن القدرة على استخدام اللغة أو تتدهور دونما تغير في المعرفة. 10- تقوم اللغة البشرية على خاصية أولية إنها خاصية اللامحدودية. 11-المعرفة باللغة هي القدرة على التكلم و الفهم فقد يشترك شخصان بالضبط في نفس المعرفة باللغة لكنهما يختلفان اختلافا كبيرا في قدرتها على استخدام هذه المعرفة. 12- تعمل الملكة اللغوية بسرعة و بصورة محددة، كما أنها غير شعورية و تقع خارج حدود الوعي و بشكل لا يختلف فيه أعضاء النوع، و تنتج نظاما معرفيا غنيا و معقدا أي لغة بعينها. 13- ميّز **تشومسكي** بين الكفاءة التي يستوي فيها العام و الخاص و الأداء الذي يتباين فيه المتكلمون. 14- الإبداعية نوعان عند **تشومسكي**: إبداعية تغير نظام اللغة، و محلها التأدية فكل الانحرافات الاجتماعية و النفسية قد تؤدي إلى تغيير في ملكة هذا المتكلم، و الإبداعية التي تحكمها القواعد و توجهها و مجالها الملكة و

يتدرب عليها حتى يحكمها ... و النحو هو صناعة قوانين هذه الملكة.	هي التي تسمح بتوليد اللانهائي من النهائي من خلال قواعدها.
13- الملكة عند ابن خلدون صفة لها أساسان :	15- يتصف المظهر الإبداعي في اللغة بمميزات:أن استعمال اللغة الطبيعية تجديدي و لا يخضع استعمال اللغة لأي حافز ملحوظ بل هو حر يثبت الاستعمال اللغوي تماسك اللغة و ملائمتها لظروف التكلم.
أ- أنها جبّلية تنشأ منذ الطفولة.	
ب- و أنّها تنشأ بالتدريج شيئا فشيئا.	
14- يرى بأنّ: النفس و إن كانت في جبّلتها واحدة بالنوع، فهي تختلف في البشر بالقوة و الضعف في الإدراكات و الملكات و الألوان التي يكيفها من خارج. فبهذه يتم وجودها، و تخرج من القوة إلى الفعل صورتها.	16- يعرّف الكلام على أنّه: الإتيان دوما بما هو جديد، إنه رد على سؤال لم نسمعه أيضا، إنه تكيف مستمر مع بيئة قابلة للتغيير إلى مالانهاية ومتغيرة باستمرار، و المحاكاة عامل مهم في تعلم اللغة إلا أنها ليست عاملا أساسا.
15- يُعرّف الكلام على أنه: هو العبارة و الخطاب، إنما سره و روحه في إفادة المعنى و أما إذا كان مهملا فهو كالموات الذي لا عبرة به.	17- أنّ الكلام يحتوي على بنية سطحية و أخرى عميقة و أن المتكلم و المستمع ينتقل من بنية إلى أخرى عن طريق التحويلات، فالبنية العميقة هي بنية تفسر فهم الكلام و هي ذات فعالية ديناميكية على البنية السطحية بمعنى أن العقل يقوم بعمليات عرفانية يربط بها بين البنية السطحية و البنية العميقة.
16- تكتسب الملكة إذا كانت على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات و أحسن استعدادا لحصولها.	18- الأطفال جميعهم يكتسبون لغتهم
17- يُعرف الحذق على أنّه يكون في: العلم و التفنن فيه و الاستيلاء عليه. إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه و قواعده و الوقوف على	

مسائله و استنباط فروعه من أصوله و ما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا.	الأولى بكفاءة عالية و بطريقة طبيعية دون توجيه.
18- يقرّ **ابن خلدون** بأنّه: لو فرضنا صبيا من صبيانهم، نشأ و رَبِيَ في جيلهم، فإنه يتعلم لغتهم و يحكم شأن الإعراب و البلاغة فيها، حتى يستولي على غايتها و ليس من العلم القانوني في شيء و إنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه و نطقه.	19- يؤكد أيضا بأنّ: الملكة اللغوية ذات بعد بيولوجي.
19- و يؤكد على أن الملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر و غيره ،كالحساب و الجسمانيات كلها محسوسة ،فتفتقر إلى التعليم.	20- الإنسان يمتلك جهاز فطريا يدعى بالملكة اللغوية و أن اللغة نظام اتصالي يتميز بإمكانية تركيب الإشارات الجديدة و تفسيرها.
20- و أنّ الملكات اللسانية : كلها إنما تكتسب بالصناعة و الارتياض في كلامهم، حتى يحصل شِبْهٌ في تلك الملكة.	21- أن الأطفال لا يتعلمون هذه الخاصية، ما لم يمتلك العقل المبادئ الأساسية قبلا، لا يمكن لأية كمية من الأدلة أن توفرها.
21- يذكر **صاحب المقدمة** بأنّه: وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ، و استجادة ما يُطلب منها بحيث تتوفر	22- هذه القواعد قائمة بشكل ضمني في الملكة اللسانية العائدة إلى متكلم اللغة و هي ممثلة بالتالي في عقول متكلميها.
	23- طبيعة الملكة هي مادة بحث النظرية العامة للبنية اللغوية التي تهدف إلى اكتشاف إطار المبادئ و العناصر المشتركة بين ما يمكن تحقيقه من اللغات الإنسانية كما يمكن للمرء أن ينظر إلى هذه الملكة على أنها أداة لاكتساب اللغة.
	24- الملكة اللغوية عند **تشومسكي** تمر بمراحل ثلاثة عنده: المرحلة

دواعي الترف و الثروة.

22- و يقر بأنّ: حسن الملكات في التعليم و الصنائع و سائر الأحوال العادية، تزيد الإنسان ذكاء في عقله و إضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة للنفس ،إذ أن النفس تنشأ بالإدراكات و ما يرجع إليها من الملكات فيزدادون بذلك كيسا لما يرجع إلى النفس من الآثار العلمية فيظنه العامي تفاوتا في الحقيقة الإنسانية و ليس كذلك.

23- و الصنائع إنما تستجاد إذا احتيج إليها و كثر طالبها.

24- أما إذا ضعفت أحوال المصرَ، و أخذ في الهرم بانتقاض عمرانه و قلة ساكنه تناقص فيه الترف و رجعوا إلى الاقتصار على الضروري من أحوالهم فتقل الصنائع التي كانت من توابع الترف... و لا تزال الصنائع في التناقص مازال المصرُ في التناقص إلى أن تضمحل.

25- و قد أشار أيضا إلى أنه :إذا زخر بحر العمران و طُلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في

الفطرية و المرحلة الوسيطة و القارة نسبيا أي نهائية.

25- لقد أشار إلى أن العقل \ الدماغ الإنساني نظام معقد تدخل في تركيبه أجزاء متفاعلة متعددة أحدها الجزء الذي يمكن أن نسميه بالملكة اللغوية.

26- الحدس اللغوي عنده :هو تمثيل عقلي لقواعد اللغة الذي يجعل الفرد يحكم و يضبط صحة و استقامة الجمل من المنحرفة و الخاطئة في النظام اللغوي.

الصنائع و استجادتها. 26- كما أقرّ بفكرة الإيمان إذ: أنّ ملكة الإيمان إذا استقرّت، فإنها تحصل بمثابة الجبّلة و الفطرة. 27- و يرى أنّ :الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله و استقامة في فكره؛لأن براهينها كلها بينة الانتظام جلية الترتيب... 28- ميزة العقل و الذي يصفه بأنّه: العقل ميزان صحيح... 29- لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان، إن سمع تركيبا غير جارٍ على ذلك المنحى، مجه و نبَا عنه سمعه بأدنى فكرٍ، بل وبغير فكرٍ، إلا بما استفاده من حصول هذه الملكة. 30- فالشعر عنده: عبارة عن هيئة راسخة في النفس شبيهة بملكة اللغة... و إذا كان لابد من اعتبار الشعر ملكة لغوية أعني بنية نفسية عصبية تتشكل بحفظ الكلام الشعري فهو على كل حال ملكة الملكات إن صح التعبير ؛لأن صاحبها يصبح بمنزلة الواضع للغة و المجدد لتراكيبها.	

31- تكوين الملكة اللسانية عند ابن خلدون يمر بمراحل أهمها: - السماع، التكرار والممارسة، الترسيخ. 32- السمع أبو الملكات اللسانية و الملكة صفة راسخة، تحصل عن استعمال ذلك الفعل و تكرره مرة بعد أخرى، حتى ترسخ صورته. 33- و نتيجة لمنوال سابق استقر في الذاكرة الاجتماعية، و على المتكلم أن يرسخه في ذهنه حتى ينسج عليه. 34- و يعلّل ابن خلدون رأيه حيث يرى: فإذا سبقت إلى محله ملكة أخرى، قصرت بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة. 35- يرى بأنّ: الملكة اللسانية عرضة لعدة عوامل بسبب الاختلاط و امتزاج الملكات. 36- الملكات صفات للنفس و ألوان، فلا تزدحم دفعة.	

المطلب الثاني: قراءة الجدول:

بالنسبة **لابن خلدون** في مفهوم الملكة: حيث أنّه يتحدث عن الفكر الإنساني، و عن تمييز الله سبحانه و تعالى للإنسان عن سائر الكائنات الأخرى، و العقل الذي هو سمة من السمات التي يتسم بها.

فاللغة عنده ملكة في اللسان متوارثة بين الأجيال ،حيث أن كل مجتمع له لغة خاصة به يتميز بها عن المجتمع الآخر، و هو اجتماعي بطبعه.

و الملكة لها أساسان عنده إذ أنها تنشأ مع الطفولة ؛أي جبّلية. و من خلال المحيط الذي نشأ فيه، فالبيئة هي العامل الأساسي في تكوين الملكة اللسانية للطفل.

كما أنها تكتسب بالتدرج شيئا فشيئا ،و ترتكز إلى مبدأ نفسي، و أنّها تفهم من خلال التراكيب اللغوية، و تنشأ في مستوى التراكيب كما أنّه يولي عناية بالنحو وربطه بالصناعة، كما حاول التفريق بين النحو و علم النحو و الذي سبق شرحه و تعريفه في المباحث السابقة.

الملكة عنده ملكات منها ملكة الكتابة، الشعر، الهندسة، حيث عدّها من بين أهم الصنائع الأكثر إفادة عند **ابن خلدون** لما تزيده في قوة العقل و الفكر كذلك من خلال ما تعبّر عمّا هو موجود في خلجات النفس و ما يكمن في الذهن الإنساني.

إضافة إلى ذلك فهي تزيد من ثبات العقل و استقامته.

كما لا نغفل على أن نظرته الاجتماعية و التاريخية إلى الملكة ؛لأنها تحاكي العمران البشري في تغيّراته الحضارية و الاجتماعية... و ما إلى ذلك.

و ما يزيد في صلابة و قوة رأيه هو تغلب النزعة الدينية و قوة الإيمان لدى صاحب المقدمة، حيث يرى بأنها صفة قارّة في النفس يصعب مخالفتها و معارضتها.

تكتسب الملكة بصورة طبيعية عنده، كما ركّز على أهمية العقل في تحصيلها كما أنّه شبّهه بالميزان و ذلك ؛لأن الميزان رمز للعدل و عليه فهو المقياس الذي من خلاله

نستطيع التفريق بين الحسن و الرديء، حيث أنّه يصطلح مصطلح الذوق و الذي من خلاله نحدد صحة الكلام و فساده.

كما أنه جاء بمصطلح المنوال و هو ذلك القالب الذي نقوم بالنسج على منواله و البناء و التصوير على أساسه.

تمر الملكة بمراحل تستهل بمعيار السماع وصولا إلى الترسيخ مرورا بالممارسة و التكرار.

لقد شبّه الملكة بالصناعة و جعل كثرة طالبها مرتبط بالجودة و قلّتها بفشلها و سوءها، إضافة إلى تراجع الأمم و تناقص العمران و عامل الترف يؤدي بطبيعة الحال إلى اضمحلال و تناقص الصنائع و العكس صحيح.

كما يرى أيضا بأنّ اللغة إبداعية و ذلك من خلال تلك العملية الإلهامية التي يقوم بها الشاعر في نظم شعره إذ أنها تُنشط الفكر و تُفجر القرائح مما يزيد اللغة جمالا و رونقا و حسنا ؛لأنه يقوم بعملية تجديدية و ابتكارية للتراكيب حيث أنه يكون على استعداد نفسي،ذهني في آن واحد للاستيلاء على ناصية الملكة.

فابن خلدون يرى بأن هناك صعوبة في تحصيل ملكة أخرى بجانب الملكة الأولى؛ لأن الأولى قد تجسدت في النفس، و إن استطاع تحصيلها فلا تكون بنفس إجادة الأولى و الأولى تكون باستعداد فطري و قابلية لتحصيلها أكثر على عكس الثانية.

و بطبيعة الحال، هناك تأثيرات على تحصيل الملكة ومن أهمها أن العرب قديما كانت تعتمد على المشافهة، فالطفل يمتلك لغته من خلال الوسط الأسري و كذا الاجتماعي.

من هنا عد **ابن خلدون** السماع و التقليد عامل أساسي في تحصيل الملكة اللسانية ،إلا أنه باختلاط العرب بالأعاجم و دخول غير العرب للإسلام.أدى ذلك إلى فساد الملكة و بانتشار الإسلام في مختلف بقاع العالم و دخول الأعاجم في الديانة الإسلامية، و زيادة

الوافدين لتعلم اللغة العربية بكثرة مما أدى إلى وقوع اللحن في اللغة، و من خلال هذا و خشية أهل العلم على فساد اللسان العربي نشأ علم النحو و الذي بواسطته يمكنهم التحكم في اللسان العربي و ضبطه.

أما التأثير الثاني الذي يؤثر على تحصيل الملكة اللسانية هو اجتماع و تزاحم الملكات حيث يقر ابن خلدون بأنه لا يمكن أن تجتمع أكثر من ملكة في النفس، و حتى و إن اجتمعت فلا تكون بنفس إجادة و رونق الأولى.

أما بالنسبة **لتشومسكي** فالملكة عنده صفة مشتركة و عامة بين أفراد المنظومة الاجتماعية ،فكل إنسان يعيش في بيئة معينة بطبيعة الحال يعبر بلغتها، حيث أنه له القدرة على تمييز بين ما هو صحيح و منحرف.

جاء **تشومسكي** بنظريته العقلية و التي من أهم مبادئها (performance compétence) حيث أنّ الأولى ترتبط بالبنية العميقة و الثانية بالبنية السطحية، فخاصية الفطرية عامة لدى جميع الأجناس البشرية إذ أن الطفل يولد و لديه ميل فطري باللغة و قدرة إبداعية كما ركز على ماهية اللغة و اكتسابها و استخدامها، حيث أنها تتميز بخاصية اللانهائية.

الملكة عنده لا شعورية و بدون وعي تتميز بالسرعة و اليسر، و أن ما يميز الإنسان هو العقل و الملكة اللغوية عنده هي جزء من الدماغ البشري من أعضاء الجسم الأخرى.

مخطط رقم 01:

رسم توضيحي يمثل مراحل تكوين الملكة اللغوية (اللسانية) عند كل من **ابن خلدون** و **تشومسكي**:

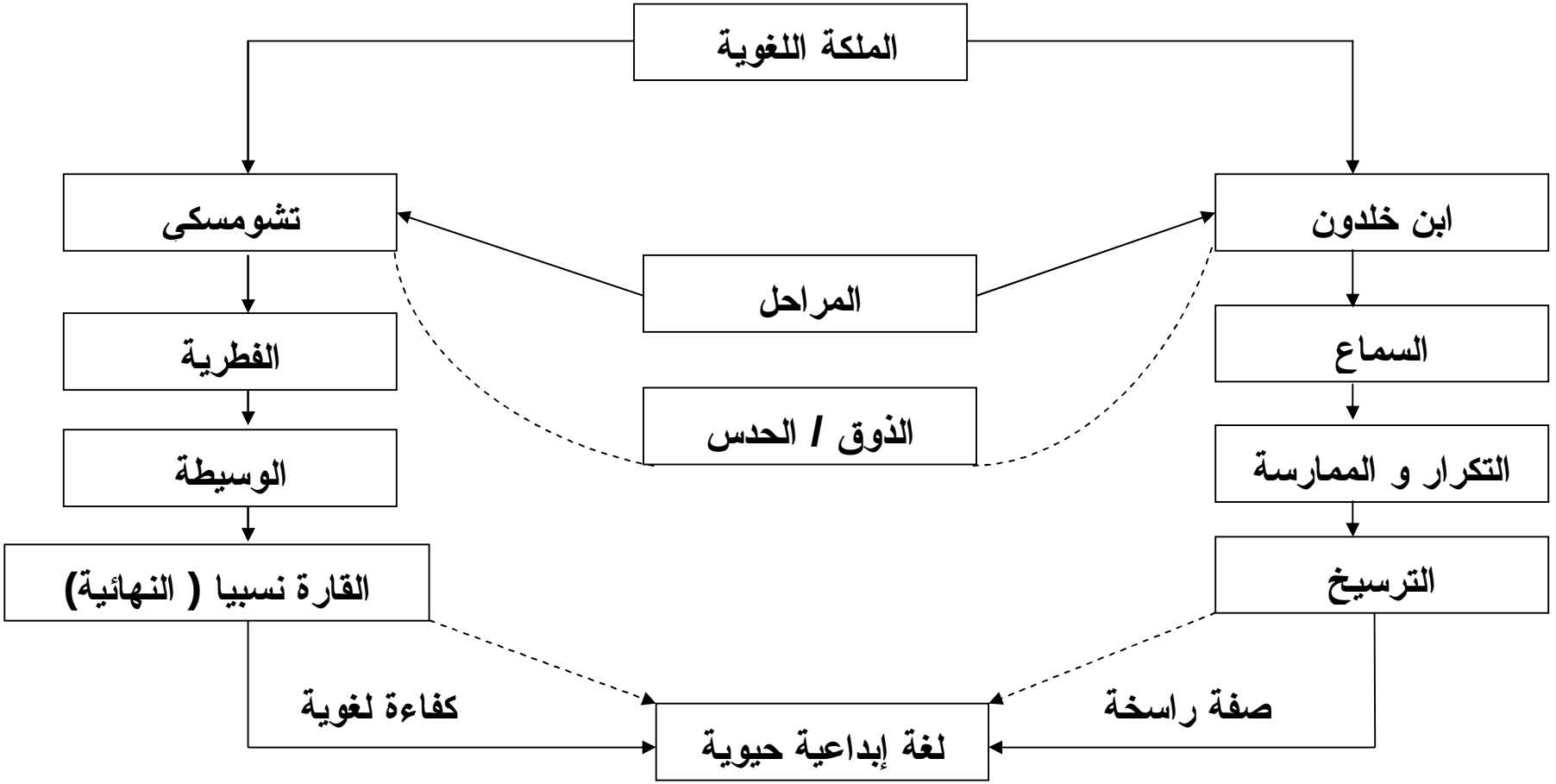

المطلب الثالث: مقارنة مفهوم اكتساب اللغة بين كلا من ابن خلدون وتشومسكي:

ابن خلدون:	تشومسكي:
1- أن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكنا، شأن سائر الملكات.	1- تمر لغة الطفل بمراحل معينة تبدأ بالصراخ ثم البأبأة و تليها المرحلة الكلامية.
2- وجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة و يروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن و الحديث و كلام السلف، و مخاطبات فحول العرب في أسجاعهم و أشعارهم و كلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم و المنثور منزلة من نشأ بينهم و لقن العبارات عن المقاصد منهم، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره فتحصل له هذه الملكة.	2- كيفية تعلم الأطفال الصغار تتعلم بشكل تطوري سريع دون النظر إلى العوامل الخارجية التي تتدخل في هذه العملية و هذه العمليات مرتكزة على أسس بيولوجية، ثم إن أي محاولة لشرح الظاهرة اللغوية برؤية سلوكية إنما تجاهل للخلق اللغوي.
3- تكتسب اللغة عنده إذا قلّد فيها الآباء و المشيخة و الأكابر و لقن عنهم و على تعليمهم.	3- منهج **تشومسكي** في هذه النقطة منهج ذهني يجعل لملكة اللغة قدرة فعالة غريزية و فطرية و هي قدرة تخص الإنسان.
4- العرب كانت تعرب بالطبع و تنطق بالطبع و هذا وهم.	4- إن الأطفال يولدون و لديهم الفطرة لتعلم اللغة و هذه القدرات الفطرية موجودة لدى جميع أفراد النوع البشري.
5- اكتساب الطفل اللغة جزء لا يتجزأ من عملية تطبيعه الاجتماعي و	5- الطفل تتوفر لديه بكيفية ما بعض المفاهيم قبل أن يمر بتجربته اللغوية و أن ما يقوم به أساسا ليس إلا تعلم أسماء لتلك المفاهيم التي تكون جزءاً

الحضاري. 6- اكتساب ملكة التواصل لا تعتمد على تطوير قدرة لغوية أو تواصلية فطرية كامنة فحسب، بل إنها تأتي أيضا نتيجة عمليات من التواصل و التفاعل في ظروف و مقامات اجتماعية، حضارية متعددة. 7- لاكتساب اللغة أساليب و طرق متعددة منها: - أولها: أن يراعي في ذلك قوة عقله و استعداده لقبول ما يورد عليه، حتى ينتهي إلى آخر. - و ثانيها: فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ و الاستعمال و يزداد بكثرتهما رسوخا و قوة. وكذلك فعلى قدر المحفوظ و طبقته في جنسه و كثرته من قلته، تكون جودة الملكة الحاصلة منه للحافظ. - أما النقطة الثالثة: فلا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه و آخرا و ليس أخيرا، فعلى كثرة	من تركيبه المفهومي المسبق. 6- الإنسان قد وهب عدة ملكات محددة أطلقنا عليها: اسم العقل، و هذا العقل أو تلك القدرات تقوم بدور حاسم في اكتسابها للمعرفة كما تمكننا من القيام بدور مستقبل عن أي عامل خارجي في البيئة المحيطة بنا، أي أننا لا نتأثر بهذه البيئة حتما. 7- ملكة اللغة تتضح من خلال الطفولة و من ثم تهيئ الفرصة لوجود مبادئ متنوعة في مراحل خاصة من عمليات اكتساب اللغة. 8- يؤكد **تشومسكي** من وجود خصائص نظرية لغوية تفسر لنا كيف يستطيع طفل أن يتقن لغة في وقت قصير جدا رغم الطبيعة التجريدية لقواعد اللغة. 9- اكتساب اللغة أمر متوفر لكل بني البشر، و لا يمنعهم من ذلك الإصابات و الأضرار الدماغية الكبيرة، بل إنه محصور بين البشر لا يشاركهم به أي حيوان آخر. 10- فقدان القدرة على الكلام لا يعني فقدان المعرفة بالنظام العقلي

الاستعمال تكون جودة المقول المصنوع نظما ونثرا وأخيرا، فالملكات التي تحصل لها إنما تحصل على التدريج. 8- يقتصر **ابن خلدون** في حديثه عن اكتساب الملكة اللسانية من خلال سماع لغة بيئته فهي عملية تشمل الصغار و الكبار سيان. 9- يركز ابن خلدون على اللغة العربية و ينظر إليها نظرة تقديسية ،إذ أنها عنده لغة العلم و الحضارة و الإسلام.	الذي اكتسبه في صغره و حين يستعيد الإنسان هذه القدرة لن يتحدث إلا لغته الأولى التي اكتسب معرفتها و ليس بلغة جديدة. 11- أن الإنسان يولد ولديه قدرة لغوية محددة تساعده على اكتساب أية لغة يعيش في مجتمعها، فاللغة هي قدرة المتكلم بها على تأليف و ابتكار جمل و تعابير جديدة لم يقلها أحد من قبل أو على الأقل لم يسمعها هو نفسه من قبل. 12- لا وجود للغة خارج إطار تصورها العقلي، و مهما كانت خصائصها، فهي تختص بها عبر المسار العقلي التطوري للجهاز العضوي الذي أوجدها و يوجدها في كل جيل، و الذي يوجد فيها في الوقت نفسه الخصائص المتعلقة بشروط استعمالها. 13- لا يكتسب الطفل لغته بالتقليد و التكرار و التعزيز، و إنما يكتسبها بالتفكير و التحليل و فرض الفروض و اختيارها معتمدا على كفايته اللغوية الكامنة على الدخل اللغوي. 14- جميع الأطفال يولدون مزودين

	بجهاز اكتساب اللغة يحتوي على المعرفة الوراثية المنقولة إليه أو ما يسمى: الأصول الكلية الثابتة. 15- ليس اكتساب اللغة شيئا يعمله الطفل في واقع الأمر؛ بل شئ يحدث له إذا ما وضع في بيئة ملائمة، و هو شئ يشبه نمو جسم الطفل و نضجه بطريقة محددة مسبقا حين يقدم له غذاء ملائم و بيئة محفزة. 16- و لاكتساب اللغة ينطلق تشومسكي من تفسير مراحل النمو اللغوي للطفل من خلال: - أن اكتساب بنى اللغة يتم على نسق واحد. - أن اكتساب اللغة لا يتعدى قدرات الطفل. - أن اكتساب اللغة مرتبط عند الطفل بعملية اكتشاف محتوى و حقائق الكلام. - أن اكتساب اللغة متعلق بلغة البيئة التي نشأ فيها الطفل.

المطلب الرابع: قراءة الجدول

اللغة عنده هي ترجمان عما يوجد في ذهنية و نفسية الإنسان، فهذا بالنسبة **لابن خلدون** فاللغة عنده ملكة تكتسب كباقي الملكات، و جعل لعملية الاكتساب شروط منها: حفظ القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف في المرتبة الأولى، لتليها بعد ذلك كلام السلف القديم لفحول العرب من شعر و سجع... و ما إلى ذلك . ليكون له موضع و كأنه عاش في ذلك الوسط و بذلك تكون له صفة أكثر قوة و تجسيدا.

فاستقرار و ثبوت الملكات في موقعها تظهر و كأنها جبلية بمرور الوقت و التمرن على أفعالها و ممارستها و استعمالها.

ينظر إلى اللغة نظرة اجتماعية حضارية، و ذلك لأن اللغة مرتبطة بحضارة المجتمع و نقطة اتصال في انتقال و تطور الحضارات من مجتمع إلى آخر. والركيزة الأساسية في العمران البشري هو اكتساب ملكة التواصل من خلال عمليات التفاعل في مواقف مختلفة سواء اجتماعية، ثقافية...

و بطبيعة الحال، يعرض **ابن خلدون** في ثنايا مقدمته طرق معينة لاكتساب اللغة حيث أولى عناية فائقة بهذه الأساليب منها: الحفظ و جعله من بين أهم الأساليب لاكتساب اللغة و تحصيل الملكة ؛لأن كثرة الحفظ تكون ملكة بالإجادة و لا تكفي ذلك فقط و إنما بجودة المحفوظ أيضا، و ربط الحفظ بالفهم فلا يعقل أن يكون هناك حفظ دون فهم لما حفظه فلابد من استيعاب وفهم المحفوظ حتى ترتقي تلك الملكة الحاصلة و بعد ذلك لابد من استعمالها و الذي يعد ضرورة لتحصيل اللغة و بالتدريج شيئا فشيئا حتى يتم اكتسابها، و قبل كل هذا لابد أن تكون هناك قابلية و استعداد كامل لاكتساب اللغة.

أما بالنسبة **لتشومسكي** فقد ربط بين اكتساب اللغة و طبيعة القواعد النحوية، مميّزا بين الكفاءة و الأداء؛لأن الأولى تجعله يكتسب اللغة في مرحلة مبكرة فجميع البشر لهم القدرة على اكتساب اللغة بصفة عادية.

فقضية اكتساب اللغة عنده مرتبطة بالجانب الفطري فمنهجه ذهني ؛أي عقلي محض كامن في الذهن بغض النظر عن العوامل و الظروف الخارجية و الحدس هو المبدأ الأساسي و جزء من معرفته الضمنية بقواعد اللغة التي تجعله قادرا على التمييز بين الجمل الأصولية من غير الأصولية و مدى مقبوليتها و مقصديتها.

يحاول **تشو مسكي** من خلال ما جاء به الإجابة عن السؤال التالي: كيف تكتسب اللغة؟.

فلقد أقر بقصور النظرية السلوكية خاصة في قضية اكتساب اللغة و معرفتها، حيث قام بتفنيدها لمساواتها بين السلوك الإنساني و الحيواني.

كما دحض رأي سكينر من حيث ما جاء به في كتابه: السلوك الكلامي .و فند الرأي القائل بأن هناك علاقة شرطية من مثير و استجابة و أنه لا يمكنها أن تفسر قدرة المتكلم على استخدام اللغة.

إلا أن الإنسان فقد وهب ملكة العقل و الذي يلعب دورا رئيسيا في اكتساب اللغة ،و به يرتقي عن منزلة الحيوانية و الإبداعية في اللغة واحدة من الحقائق التي كشف عنها تشو مسكي الغطاء، حيث تعد من أهم المبادئ الأساسية التي جاء بها في نظريته الفطرية، يولد الإنسان و هو مزود بجهاز اكتساب اللغة و ذلك بتوفر البيئة الملائمة و المحفزة تجعل له القدرة على اكتساب اللغة بطريقة صحيحة.

وعليه فاللغة انعكاسات للعقل الإنساني ؛أي أنها حصيلة عقلية فطرية يتميز بها الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى.

مخطط رقم 02:

- مخطط يوضح أساليب و طرق اكتساب اللغة عند **ابن خلدون**:

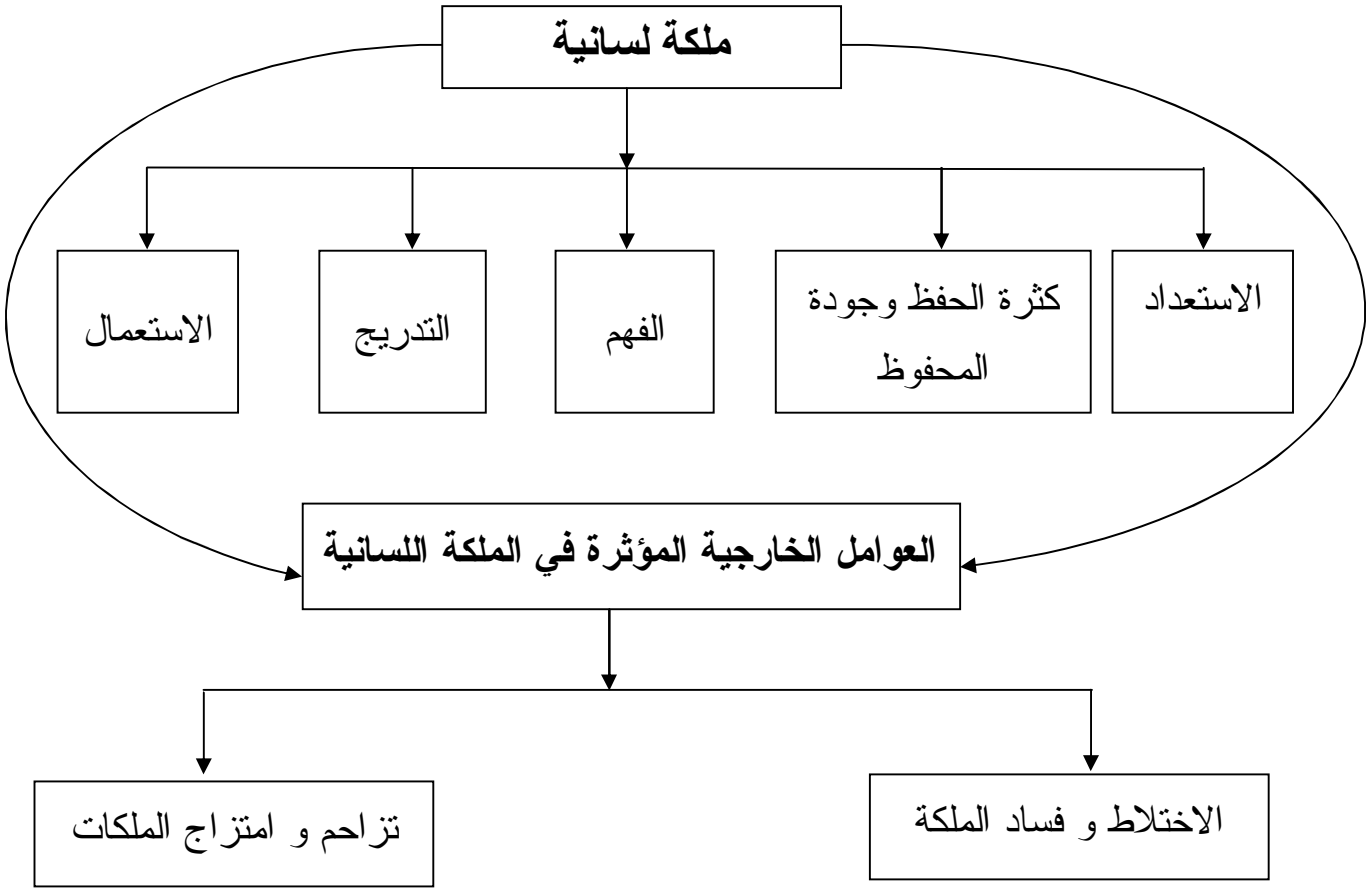

مخطط رقم 03:

- مخطط يوضح طريقة اكتساب اللغة عند **تشومسكي**:

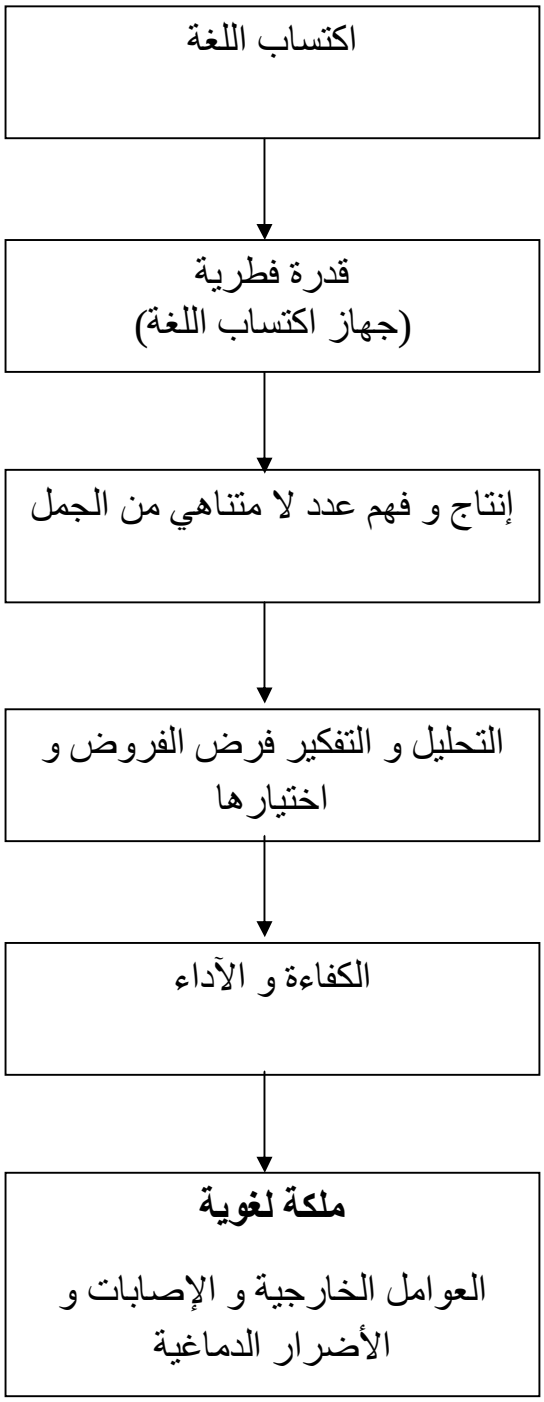

المبحث الثاني: تقاطع و الاختلاف بين مفهوم الملكة عند ابن خلدون و تشومسكي

المطلب الأول: تقاطع مفهوم الملكة عند ابن خلدون و تشومسكي

ولاكتشاف نقاط الالتقاء و الاختلاف بين رأيي **ابن خلدون** و **تشومسكي**، حيث نقوم بإجراء مقارنة بينهما أولا نستهل الحديث باستنباط نقاط التشابه بينهما من خلال الجدولين السابقين.

1- ركز كل من **ابن خلدون** و **تشومسكي** على المستوى النحوي دون المستويات الأخرى فكلاهما ربط الملكة اللغوية بالجانب التركيبي من خلال سلامته وجودته أي أن الجانب النحوي هو ما يجعل الجمل صحيحة أو خاطئة.

2- كلاهما فرّق بين ما يسمى عند **ابن خلدون** بالملكة اللسانية و صناعة العربية، أما عند تشومسكي فهو أيضا ميز بين الكفاءة اللغوية و الأداء اللغوي.

3- من خلال تفريق **ابن خلدون** بين مصطلحي(الملكة اللسانية و صناعة العربية) هو ما فتح الباب **لتشومسكي** ليميز بين مصطلحي (الكفاءة و الأداء).

4- كلاهما يرى بأن هناك قدرة عقلية كامنة في (الذهن، النفس) الإنسانية لإنتاج اللغة و أداء الكلام.

5- كما أنّهما يتفقان في أن الملكة موجودة في الدماغ فعند **ابن خلدون** جسمانية قابلة للملاحظة، و عند تشومسكي ذات أبعاد بيولوجية.

6- كلاهما يرى أن الملكة فطرية حسب ما يصطلح عليها **تشومسكي**، و كذلك نفس ما ذهب إليه ابن خلدون حيث يسميها بمسمى (نفس كيفية).

7- كما أنهما يتفقان في أن الملكة اللغوية مكتسبة هذا عند **تشومسكي** و هو نفسه ما ذهب إليه ابن خلدون بإدراجه اصطلاح (العلم بكيفية).

8- نجد **تشومسكي** عنده القدرة ظاهرة ديناميكية تنبني على التوليد و الإبداع، و كذا الحال عند **ابن خلدون** بحديثه عن صناعة الشعر مثلا أو عند تمييزه بين الملكة و الصناعة، ففي سياق تحليل صناعة الشعر و هو ما يجعل فهمه مبنيا على الإبداع و الابتكار.

9- الملكة اللغوية عند كليهما تتكئ على مبدأ نفسي.

10- يولي ابن خلدون أهمية قصوى للتراكيب على المفردات و هو نفسه ما ذهب إليه تشومسكي حيث أنه صب كل اهتمامه و تركيزه على الجمل دون المفردات.

11- ربط ابن **خلدون** الملكة و تحصيلها بالعقل و جعله الميزان و المعيار وجودتها و فسادها ؛أي حسنها و سوءها. و في هذا يتفق معه تشومسكي في هذه النقطة بأن العقل يميز بين ما هو صحيح و خاطئ و... ما إلى ذلك.

12- يتفقان في نقطة مشتركة بينهما من أن الملكة تكتسب عندهما بالذوق كما يصطلح عليه ابن خلدون، أو كما يصطلح عليه **تشومسكي** بأنها تكتسب بالحدس اللغوي و بذلك يمكن الحكم و الضبط اللغوي عليه الملكة.

13- ما يقابل مصطلحي الملكة اللسانية و صناعة العربية عند **ابن خلدون** هو نفسه عند تشومسكي الكفاءة اللغوية و الأداء اللغوي.

14- يتفق **ابن خلدون** و **تشومسكي** في أن اللغة ظاهرة نفسية / ذهنية.

15- هناك تقارب في مفهوم الملكة اللغوية عند كل من **ابن خلدون** و **تشومسكي** ،حيث نجد الأول يرجع المقدرة اللغوية إلى ما يسمى بتلك القوة الكامنة في النفس التي تجعله قادرا على تحصيل الملكة اللغوية تدور حول مفهوم الكفاءة اللغوية و هي المعرفة المضمرة في ذهن الإنسان و التي تجعل له قوة و قدرة في تكوين الملكة اللغوية.

16- يرى **ابن خلدون** أن الملكة اللسانية موجودة بالفطرة في الإنسان، و كذلك يرى تشومسكي من أن الملكة اللغوية فطرية في جنس البشر.

17- ميّز **ابن خلدون** بين مصطلحين أساسين في نظريته هما:

- الملكة و صناعة العربية، و هو نفسه ما تطرق إليه **تشومسكي** حين فرق بين مصطلحي الكفاءة و الأداء اللغويين.

18- نلحظ أن هناك تقارب واضح بين كلا العلمين حيث يرى **ابن خلدون** بأن الإنسان يولد و هو مهيأ لاكتساب الملكات، و هو الطريق نفسه الذي سلكه **تشومسكي** من أن الإنسان يولد و هو على استعداد فطري لتحصيل الملكات.

19- الملكة عند كليهما لا شعورية ؛أي بدون وعي تتميز بالسرعة و اليسر و كذلك الدقة.

20- ينطلق كل من **ابن خلدون** و **تشومسكي** في تفسير مسألة الملكة من منطلق فلسفي .

و من خلال إلقاء نظرة على ما جاء به كل من **ابن خلدون** و **تشومسكي** نجد أن هناك تشابها كبيرا في وجهات النظر بينهما، و نستطيع أن نقول بأن هذه النقاط التي حاولنا من خلالها أن ندرج أهم ما تقاطع فيه العالمين اللغويين، و قد يرجع هذه التقاطع بينهما من أن **تشومسكي** متأثر **بابن خلدون**؛ لأنه قد سبقه بمرحلة زمنية طويلة، و قد يكون ذلك راجع إلى التداخل الموجود بين اللغات و العلوم؛ لأن تشومسكي قد درس النحو العبري عن أبيه و أن العبرية كتبت سابقا بحروف اللغة العربية، بالإضافة إلى عامل الاختلاط و امتزاج الشعوب ببعضها البعض مما أدى إلى التأثر والتأثير هو شيء طبيعي في الحياة الإنسانية.

المطلب الثاني: اختلاف مفهوم الملكة عند ابن خلدون و تشومسكي

تعد مسألة تحديد مفهوم الملكة عند كل من **ابن خلدون** و **تشومسكي** قضية مهمة جدا في نظريتهما، ولعل أول سؤال يعترضنا في هذا المقام هو: فيما يتعارض هذان اللغويين، و هذا ما يدعو إلى ضرورة مناقشة فكرة مفهوم الملكة عند كليهما، و ذلك من خلال ما سنقدمه كالآتي:

1- يرى **ابن خلدون** أن اللغة ملكة في اللسان، حيث يربطها بالصناعة و يجعلها شبيهة بها، في حين يرى **تشومسكي** بأنها تلك المعرفة اللاشعورية و الكامنة في الذهن بتلك القواعد اللغوية ؛أي المبادئ الأساسية.

2- الملكة عند **ابن خلدون** ملكات؛ أي أنها متعددة و مختلفة تتنوع بتنوع تلك الصفات و الألوان، في حين يرى **تشومسكي** أن الملكة هي القدرة على إنتاج وفهم مالانهاية من الجمل الصحيحة.

3- اللغة عند **ابن خلدون** متوارثة تنتقل من جيل إلى جيل، في حين **تشومسكي** اللغة عنده تتسم باللامحدودية.

4- اختلف كل من **ابن خلدون** و **تشومسكي** في قضية المصطلح رغم أنها تصب في معنى واحد فمثلا:

- الملكة اللسانية : الكفاءة اللغوية
- الذوق: الحدس
- الصناعة: الأداء

5- دعا **ابن خلدون** إلى الاهتمام بالملكة اللسانية من منظور اجتماعي و على استخدام اللغة داخل المجتمع، على عكس **تشومسكي** الذي اهتم بما يمكن قوله في اللغة و لم يهتم بالظروف الاجتماعية المحيطة بها لتحقيق غرض ما ؛أي أنّه اقتصر على اللغة في ذاتها معزولة عن كل ما يحيط بها.

6- يولي **ابن خلدون** في تحديد مفهوم الملكة أهمية للتراكيب بدليل أنه يقدم علم النحو على علوم اللغة الأخرى، من بيان أو أدب... و الاختلاف بالنحو في رأيه (إخلال بالتفاهم جملة) ؛لأننا نتبين به أصول المقاصد بالدلالة فنعرف الفاعل من المفعول و المبتدأ من الخبر و لولاه لجهلنا أصل الإفادة، فالمكون الأساسي في مقدمته هو النحو و الذي يوصل لنا معنى ما موجودة في التراكيب لتحقيق كمال المعنى، فالنحو مرتبط بالمعنى و إفادة المعنى، على عكس **تشومسكي** ففي الأول قد أهمل المعنى أو بمعنى آخر فقد أجله و أخره إلا أنه قد استدركه في المراحل اللاحقة من نظريته.

7- يركز **ابن خلدون** على أهمية الممارسة و التكرار في تحصيل الملكة اللسانية و هي من أهم المبادئ التي أقر بها **سكينر** في كتابه المعروف بـــ: السلوك اللغوي، و في هذه النقطة يعارض **تشومسكي** رأي ابن خلدون فقد قام بنقد لاذع لرأي سكينر، وأن تحصيل الملكة يكون بالتحليل و التفكير و فرض الفروض و انتقاءها.

8- تلتقي النظرة الخلدونية مع السلوكيين من خلال أن اللغة سلوك تقوم على مبدأ المثير و الاستجابة و التعزيز، في حين أن تشومسكي قد دحض آراء هذه النظرية السلوكية تماما و فند مبادئها بصورة جذرية و كل ما جاءت به.

9- يرى **ابن خلدون** أن البيئة هي العامل الأساسي حيث من خلالها يتم تشجيع الطفل على التكلم و تنمية مهاراته اللغوية و تطويرها، في حين **تشومسكي** يرى بأن البيئة تساهم في نشأة الطفل اللغوية إلا أنها ليست بالركيزة الأساسية في تحصيل الملكة.

10- من خلال ما جاء به كلا العلمين نفهم من أن ابن خلدون قد جمع بين النزعتين التجريبية و العقلية على عكس تشومسكي نزعته عقلية محضة.

11- منهج **ابن خلدون** تجريبي عقلي؛ أي مزيج بالاثنين متأثر بالديانة الإسلامية على عكس تشومسكي منهجه عقلي ذهني متأثر بالمنطق الديكارتي.

12- يرى **ابن خلدون** أن الملكة تتم بتتابع الأفعال و استمرارها و تكرارها في الآن نفسه مع التدرب عليها و ممارستها تتحقق صفة الرسوخ للملكة على عكس تشومسكي الذي يرى بأن الإنسان يولد ولديه استعداد فطري للحصول على ملكة لغوية.

13- انطلق **ابن خلدون** في دراسته للسان العربي، حيث ركز على النحو بصفته عامة، على عكس **تشومسكي** انطلق في دراسته من البنى النحوية و التي طبقها على لغته الانجليزية، فالتباعد و الاختلاف كامن في مستوى اللغتين.

14- يرى **ابن خلدون** بأن العامل الذي يكون الملكة هوالحفظ والفهم على عكس **تشومسكي** يرى العامل الذي يكون الملكة هو امتلاك مقدرة ضمنية فطرية تساعده في تحصيلها.

15- يرى **ابن خلدون** بأن الملكة تستحكم من خلال الدربة و المران على عكس **تشومسكي** يرى بأن هناك قدرة فطرية تساعده على الإنتاج و الفهم لعدد لامحدود من الجمل الصحيحة.

16- يختلف **ابن خلدون** عن **تشومسكي** في أن اللغة مكتسبة خالصة عند الأول، و فطرية محضة عند الثاني.

17- يركز **ابن خلدون** على معيار الحفظ وجودة المحفوظ و كثرته و أنه يشكل الملكة و يضفي عليها ألوانا متنوعة و متعددة، على عكس تشومسكي فإنه لم يتطرق لهذا المبدأ قط.

18- يربط **ابن خلدون** النزعة الدينية في نظريته وذلك في تحصيل الملكة وتكوينها، فقد جعل الوازع الديني أساسي في قوة وتأكيد وإثبات صحة نظريته ولم يهمله

وهذا دليل على قوة إيمانه، من خلال تلك العبارات الدينية الموجودة في ثنايا مقدمته،على عكس **تشومسكي** لم يربط نظريته ورأيه بدينه الذي ينتمي إليه.

19- التمييز بين المصطلحات ليس بجديد عند العلماء العرب على العموم و عند ابن خلدون بالخصوص، ففي هذه النقطة فقد سبق **ابن خلدون تشومسكي** في ذلك.

20- لقد ميز **ابن خلدون** بين الملكة اللغوية و صناعة العربية حيث أن الأولى تكتسب بالسماع و الثانية بالتقليد و المحاكاة، على عكس **تشومسكي** فقد فرق بين ثنائيتين في نظريته أولهما:

- الكفاية و الآداء و يكون على مستوى اللغة.
- أما الثانية و هي البنية السطحية و البنية العميقة و تكون على مستوى الجمل و هما الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها **تشومسكي** في تكوين الملكة اللغوية.

21- **ابن خلدون** من الناحية الزمانية فقد سبق **تشومسكي** بقرون طويلة في التطرق إلى مسألة تحديد مفهوم الملكة اللسانية (اللغوية)، على عكس **تشومسكي** الذي جاء في مرحلة متأخرة من الزمن في تحديده لمفهوم الملكة اللغوية.

22- نلحظ أن **ابن خلدون** قد استوعب جميع النظريات اللسانية الحديثة حتى و إن كانت مجرد إشارات و ليست بنفس الدرجة من التعمق و التدقيق إلا أنه قد سبق الغرب في مختلف نظرياتهم على العموم و **تشومسكي** و نظريته التوليدية التحويلية على الخصوص، و إن لم تكن بنفس المفاهيم و المصطلحات فقد تطرق إليها و سبقهم بذلك زمنيا و معرفيا.

23- ينطلق **ابن خلدون** في تصوره لمفهوم الملكة اللسانية من منطلق جوهري و هو اجتماعي بالخصوص على عكس **تشومسكي** انطلاقته كانت بشكل فعال في إبراز مفهوم الملكة اللغوية و تحليلها و تفسيرها تفسيرا عقليا.

24- يصنف **ابن خلدون** الملكة إلى صنفين جبلية و مكتسبة، على عكس تشومسكي لم يصنفها و يرى بأنها فطرية.

25- ركز **ابن خلدون** على الكلام و جعله أساسا للتخاطب و المناظرة بين أبناء الجنس البشري في المنظومة الاجتماعية الواحدة، إلا أن **تشومسكي** فقد أغفل هذا الجانب المهم في دراسته.

26- يرى **ابن خلدون** اللغة وسيلة للتواصل و في خدمة الإنسان إذ أنه يعبر بها عن آرائه و حاجاته، و عن استعمال اللغة في الوسط الاجتماعي، و هو نفسه ما ذهب إليه أصحاب الاتجاه الملفوظي حيث أنها تدرس اللغة ضمن العملية التواصلية، إذ تتحقق بفعل استعمال اللغة بين المتكلم و السامع في سياق ما للوصول إلى هدف إبلاغ المعنى الكامن في هذه اللغة المستخدمة، كما أن هذا الاتجاه قد جمع بين الفعل (السلوك) و العقل و هو ما نادى به ابن خلدون في قوله بأن اللغة ملكة فطرية مكتسبة؛ أي أن الجانب الفطري يرتبط بالعقل، و الاكتساب مرتبط بالفعل (الواقع) كما أنها تفترض المعطيات الخارجية (الواقع) فما يقبله العقل فهو صحيح و مالا يقبله فهو غير صحيح .و منه فابن خلدون كان ذا اتجاه ملفوظي، في حين تشومسكي فقد أغفل النظر عن افتراض المعطيات الخارجية واهتم فقط بالجانب الفطري المرتبط بالعقل.

27- بالإضافة إلى ذلك يلتقي **ابن خلدون** مع العالم (**جان بياجيه**) صاحب النظرية المعرفية و ذلك بتركيزه على وقوع الفعل أولا ثم تركيزه على النمو اللغوي المتدرج، على عكس **تشومسكي** فهو ينفي هذه النقطة تماما. فالنمو اللغوي يكون بتلك القدرة الفطرية و التي تعد المرحلة الأولى لينتقل إلى مرحلة وسيطة وصولا إلى مرحلة نهائية يتم فيها نضج الكلام.

28- يرى **ابن خلدون** بأن هناك عوامل تؤثر في تحصيل الملكة اللسانية منها الاختلاط و تزاحم الملكات مما يؤدي إلى سوء و فشل الملكة، في حين **تشومسكي** يغض النظر عن العوامل و الظروف الخارجية و يرى بأنها حتى و إن كانت فهي لا تؤثر على معرفته اللغوية.

29- فعلى حسب مفهومنا نجد أن **ابن خلدون** قد ألم بأهم الآراء اللسانية المعاصرة، حيث أنه اهتم بعملية التواصل بين المخاطِب و المخاطَب من خلال تحدثه عن تلك المخالفات التي وقع فيها أبناء اللغة من خلال السماع؛ لأن اللغة العربية كانت مشافهة و منه انطلق إلى تحديد تلك العلاقات الموجودة بين المرسل و المرسل إليه و هذا ما تعتمد عليه النظرية التداولية، و هذا لم يتطرق إليه اللغوي **تشومسكي**.

المبحث الثالث: التقاطع والاختلاف في مفهوم اكتساب اللغة عند ابن خلدون و تشومسكي.

المطلب الأول: التقاطع مفهوم اكتساب اللغة عند ابن خلدون و تشومسكي.

قضية الاكتساب اللغوي شغلت فكر ابن خلدون و إلى جانبه أيضا فكر تشومسكي، و من هنا يمكن أن نستشف نقاط التقاطع بينهما في هذه المسألة و من أهمها:

1- يشير **ابن خلدون** إلى أن النحو هو الركيزة الأساسية التي تعين في إتقان اللغة العربية، و في هذا يشترك معه **تشومسكي** إلى أن عملية اكتساب اللغة مرتبطة بالنحو.

2- يتفقان أيضا من أن اكتساب اللغة جبلي ؛أي فطري في الإنسان، أي أنه يولد و هو على استعداد فطري لذلك.

3- و يتفق كل منهما في أن التفاعل بين الطفل و البيئة يساهم في اكتساب اللغة بصورة عفوية ذات فعالية و حركية.

4- انطلاقا من تصورهما في أمر اكتساب اللغة نستنتج أن اللغة مرتبطة بالذهن /النفس لدى الإنسان.

5- نلحظ أن عامل البيئة الملائم له تأثير بالغ في اكتساب اللغة و تحصيلها و هو ما تقارب فيه العلمين نوعا ما.

6- يؤيد **تشومسكي** رأي ابن خلدون بأن نجاعة تحصيل اللغة يكمن في ملائمة المناخ سواء الجغرافي، الأسري، الاجتماعي و غير ذلك.

7- يشتركان اللغويين في نقطة أساسية ألا وهي أن اللغة الإنسانية عامة و مشتركة بين أفراد الجنس البشري، و كل يتميز بلغته في منظومته الاجتماعية، و هو ما يتسم به عن باقي الكائنات الأخرى.

8- يتفقان أيضا في نقطة مهمة و هي أن اللغة البشرية تتميز بخاصية الخلق و التطور و التجدد باستمرار.

9- اللغة كنز مشترك بين أفراد المنظومة الاجتماعية، تقتضي تحقيق التواصل، من خلال الممارسة الفردية الفعلية للغة، و في هذا يتقارب رأي كل من ابن خلدون و تشومسكي.

10- يرى كل من **ابن خلدون** و **تشومسكي** من أن أبناء اللغة أو أبناء الجنس الواحد البشري يستطيعون التمييز بين ما هو صحيح و خاطئ، و بين ما هو سليم و منحرف... و ما إلى ذلك .من خلال ما يسميه **ابن خلدون** بالذوق و **تشومسكي** بالحدس.

11- يتميز الإنسان عند كل من اللغويين بأن له قدرة حدسية أي ذوقية في اكتساب و إتقان اللغة.

12- يهتم كلاهما بالعقل و الذي من خلاله يرتقي الإنسان عن منزلة الحيوانية.

13- يرجع كلاهما مسألة اكتساب اللغة إلى تلك المقدرة العقلية عند الطفل الموجودة به بالفطرة.

- و من هنا يمكن القول أن هذه النقاط هي مجمل أوجه التقاطع بين فكرين مختلفين و عالمين مختلفين (ابن خلدون و تشومسكي)؛أي بين قديم و حديث.

المطلب الثاني: اختلاف مفهوم اكتساب اللغة عند كلا من ابن خلدون و تشومسكي.

تعد اللغة ظاهرة اجتماعية و خطابية و كذلك تواصلية، مشتركة بين جميع أفراد المنظومة الاجتماعية، إلا أن مسألة اكتسابها تختلف عند اللغويين حسب توجهاتهم و آرائهم المتباينة و هذا ما سنفسره عند كل من ابن خلدون و تشومسكي في الآتي:

1-يشير ابن خلدون إلى ملكة الكتابة و يرى بأنها تعيش في اكتساب اللغة، في حين أن تشومسكي يرى بأن هناك مقدرة عقلية عند الطفل تساعده في اكتساب اللغة.

2- يرى ابن خلدون أن اكتساب اللغة يتم من خلال التقليد و التدريج، و هو ما يرفضه تشومسكي بتاتا إذ يرى بأن الطفل يكتسب اللغة من خلال ما يسمعه دون تقليد أ] أي الإتيان بالجديد.

3- الاكتساب اللغوي هو عملية متدرجة ترتقي بفعل الممارسة و التكرار بالنسبة لابن خلدون، أما **تشومسكي** فهو عملية ذهنية ترتقي باستعمال العقل.

4-ركز **ابن خلدون** على الكلام الذي هو انعكاس فعلي للغة و ترجمان لها، في حين أن تشومسكي أهمل الأداء اللغوي ؛لأنه عرضة للعوامل الخارجية.

5-الاكتساب اللغوي عند **ابن خلدون** تحكمه عوامل نفسية و أخرى اجتماعية، على عكس **تشومسكي** الذي أهمل الوقائع الخارجية.

6-منهج **ابن خلدون** في اكتساب اللغة مدمج بين التجريب و العقل، على عكس **تشومسكي** منهجه فطري كامن في العقل (الذهن).

7-يرى ابن خلدون أن عملية الاكتساب اللغوي تتم بالسماع و الحفظ و فهم المحفوظ و بالتدريج يتم رسوخها كصفة ثابتة في النفس ،على عكس تشومسكي يرى أن عملية الاكتساب اللغوي تتم من خلال أن الطفل يولد و هو مزود بجهاز يدعى جهاز اكتساب اللغة، و الذي يلعب دورا هاما في هذه العملية.

8-لقد تحدث **ابن خلدون** عن اكتساب اللغة و عن كيفية استخدامها في الوسط الاجتماعي، حيث أنها تكتسب بالسماع و الحفظ... في حين أن **تشومسكي** يرى بأن الإنسان يولد و لديه استعداد لاكتساب اللغة المرتبط بمجالات عدة ك: الجانب النفسي ،الأدائي، التواصلي...

9- يرى **ابن خلدون** بأن هناك عوامل تؤثر في اكتساب اللغة من أهمها الاختلاط و التمازج بين شعوب الأمم و تداخل الثقافات و التي تؤثر في الألسنة سواء بالإيجاب أو بالسلب.

10- تلتقي نظرية **ابن خلدون** مع آراء التداوليين من خلال ما تحدث عنه في مسألة الشعر، و ذلك أن مبدأ التداولية في تناولها لقضية اللغة هي استعمال و تواصل، و هو نفسه الذي يكون في الشعر إذ أن هناك تواصلا بين المبدع (الشاعر) و المتلقي و ذلك بتوصيل رسالة و بذلك يتم التواصل.

خاتمة

خاتمة:

بعد أن أتينا على نهاية هذا البحث، و الذي حاولنا فيه أن ندرس فكرتي الملكة اللغوية و اكتساب اللغة عند ابن خلدون و تشومسكي دراسة تشمل المقارنة بينهما، و القيام بالكشف عن أهم نقاط التقاطع عندهما و عن النتائج المتوصل إليها في هذا البحث، نسجل ما يلي:

- أن النظرة المشتركة بين ابن خلدون و تشومسكي في أنهما يوليان عناية بالغة للتراكيب اللغوية على حساب المفردات.

- يعتمد كلاهما في الحكم على سلامة الملكة على الحدس اللغوي أو ما يسمى بالذوق. إذ يعد هو الأساس و الركيزة الأساسية عندهما.

- ترتبط نظرة ابن خلدون في مسألة تحصيل الملكة اللسانية و اكتسابها بنظرة اجتماعية؛أي أنها موصولة بمفهوماته الاجتماعية.

- تركيز تشومسكي على الجانب العقلي في إنتاج و فهم اللغة إذ أن منطلقاته في تفسير الملكة اللغوية منطلقات عقلانية محضة.

- ينطلق ابن خلدون من مفهوم فلسفي في عملية تكوين الملكة اللسانية و استحكامها لدى الفرد.

- إن ما جاء به تشومسكي و انطلق منه يعطينا مؤشرا واضحا على مدى التقارب الفكري من أفكار و منطلقات و قضايا لغوية و بين الأفكار و القضايا اللغوية التي جاء بها ابن خلدون قبله بقرون فمن منطلق هذا التقارب الكبير فقد يكون تشومسكي أنه قد استقى من التراث اللغوي العربي.

- اعتماد ابن خلدون في تصوره لقضيته اللغوية على مرجعية إسلامية تامة.

- نلمس بعض التداخل في هذا البحث بين رأيي ابن خلدون و تشومسكي .

- نجد أيضا بعض نقاط التشابه بين فكرين متناقضين لعالمين لغويين الأول قديم و الثاني معاصر.

- لمس بعض و أهم أوجه الاختلاف بين أفكار ابن خلدون و تشومسكي.

- تم تحديد ماهية الملكة عند كل من ابن خلدون و تشومسكي كل حسب وجهته.

- ربط ابن خلدون الاكتساب اللغوي بالعمران البشري (المجتمع)، أما تشومسكي فالاكتساب اللغوي عنده مرتبط بتلك القدرة الضمنية الموجودة في الفرد التي تجعله يولد و هو مزود بها.

- نجد أن الملكة عند ابن خلدون صفة راسخة في النفس، و أما عند تشومسكي مقدرة فطرية كامنة في الذهن.

- يربط ابن خلدون الاكتساب اللغوي بالممارسة و التكرار على عكس تشومسكي الذي يتعارض مع هذا الموقف و ينفيه تماما.

- ينفي تشومسكي آراء السلوكيين إذ يرى بأن اللغة أكبر من أن تنحصر فيما يصطلح عليه السلوكيين بالمثير و الاستجابة فهي أكثر تعقيدا من ذلك، على عكس رأي ابن خلدون فهو يلتقي في هذه النقطة مع النظرية السلوكية.

- أن ابن خلدون و تشومسكي كل منهم يرى بأن اللغة ملكة ذات أصول جسمانية (بيولوجية) ؛ أي أنها قابلة للملاحظة، يختص بها الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى، إذ أنها انعكاس فردي حسب ما يصطلح عليه : الأداء (الصناعة) اللغوي.

- حدد ابن خلدون مجال دراسته المتخصص باللسان العربي و كيفية اكتسابه كما تطرق للعوامل المؤثرة فيه و الفساد الذي دخل على اللغة العربية بسبب الاختلاف ، و ما إلى ذلك على عكس تشومسكي لم يتحدث عن مسألة العوامل التي تؤثر في اكتساب اللغة و تحصيل الملكة اللغوية.

- من خلال هذه المقارنة التي قمنا بها بين اللغويين نلحظ بأنهما يختلفان من ناحية استعمال المصطلحات حيث أن ابن خلدون استعمل المفهوم الذي يواكب عصره ، و بطبيعة الحال فتشومسكي استخدم المصطلحات الجارية مع العصر الحديث.

- ربط ابن خلدون الملكة بالنزعة الدينية،لأن الإنسان يولد و هو على الفطرة التي فطره الله سبحانه و تعالى عليها و هي الإيمان بالله عز و جل.

- أن قوة رأي ابن خلدون تكمن في قوة إيمانه، مما زاده استقامة في نظرته و صحة في وجهته.

- نظرة ابن خلدون تنطلق من نظرة ترتبط بالمجتمع ،إذ أنها تحاكيه في تغيراته الاجتماعية و الحضارية و التاريخية... و ما إلى ذلك.

- تكتسب الملكة اللغوية وفق ركيزتين مهمتين: إما فطريا (جبّليا) ، و إما من البيئة التي يتواجد فيها.

- تستند الملكة اللغوية على أساس نفسي/عقلي عند كل من العالمين .

- أن ابن خلدون من الناحية الزمنية فقد سبق تشومسكي في التطرق إلى فكرتي الملكة اللسانية و الاكتساب اللغوي.

- من خلال هذا السبق الزمني فنجد أن ابن خلدون أن نظريته تشمل تقريبا جميع النظريات اللسانية الحديثة.

-نظرة ابن خلدون في عملية تحصيل الملكة والقدرة على اكتساب اللغة تبدو هي الأقرب للصواب ؛لأنه يعتمد على عدة نظريات مجتمعة، على عكس تشومسكي يعتمد على نظرة واحدة فقط.

- يمكن أن نقول بأن المتأخر (تسشومسكي) متأثر بالمتقدم (ابن خلدون) ، و أن العرب أسبق زمنيا في التطرق إلى مسألة تحصيل الملكة اللغوية و اكتساب اللغة، على عكس ما يقوله الغرب بأنهم هم الأوائل في دراسة مثل هذه القضايا اللغوية.

- تتقارب نظرة ابن خلدون و تشومسكي في أن أساس تحصيل الملكة هو النحو و هو ما يمكن الفرد من اكتساب اللغة بطريقة صحيحة و أكثر دقة و وضوحا.

- أن ابن خلدون قد جعل طرقا و أساليب لاكتساب اللغة، على عكس تشومسكي لم يتطرق إلى ذلك قط و أن الطفل يولد و هو مزود بقدرة ضمنية و أنه يعتمد على جهاز وهمي يدعى : جهاز اكتساب اللغة.

- تغلب على نظرة ابن خلدون التجربة و العقل معا ، في حين تشومسكي عقلية محضة.

- أن تشومسكي كان متخصص أكثر في فرض قضاياه اللغوية و أكثر دقة في ضبط المصطلحات اللغوية، على عكس ابن خلدون كان عاما في تفسير قضاياه اللغوية.

و أخيرا، فان هذه الدراسة لموضوع الملكة اللغوية و الاكتساب اللغوي لا تدعي إحضار أي جديد، بقدر ما هي محاولة لتبيان نقاط التقاطع بين آراء ابن خلدون و تشومسكي، و هذا ما حاولنا تفسيره في ثنايا البحث.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

1/ المراجع العربية:

1. أبو خلدون ساطع الحصري: دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، دار المعارف، مصر، 1953.
2. إبراهيم خليل: في اللسانيات و نحو النص، دار المسيرة ، عمان ، الأردن، ط1، 2007.
3. أحمد محمد معتوق: الحصيلة اللغوية (أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها)، عامل المعرفة، الكويت، 1996.
4. البخاري حمانة: الموسوعة التاريخية للشباب (ابن خلدون)، منشورات وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر.
5. باسم يونس البديرات: علوم اللسان العربي في مقدمة ابن خلدون (دراسة لغوية معاصرة)، الأكاديميون، عمان، الأردن، ط1، 2016.
6. جمال شمس الدين: علم اللغة النفسي مناهجه و نظرياته و قضاياه، توزيع مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ج1.
7. خليفة الميساوي: المصطلح اللساني و تأسيس المفهوم، دار الأمان ، الرباط، ط1، 2013.
8. بن زروق نصر الدين: دروس و محاضرات في اللسانيات العامة، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، ط1، 2011.
9. سالم علوي: وقائع لغوية و أنظار نحوية، دار هومة، الجزائر.
10. سبويه : الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.

11. سمير شريف استيتية: اللسانيات، المجال و الوظيفة، عالم الكتب الحديث.اريد، الأردن، ط2، 2008.
12. شفيقة علوي: محاضرات في المدارس المعاصرة، أبحاث للترجمة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
13. عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر ، الجزائر، 2012.
14. عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون (ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و عن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط8، 2003.
15. عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986.
16. عبد العزيز إبراهيم العصيلي: علم اللغة النفسي، البحوث العلمية، ط1، 2006.
17. عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، عمان، ط1، 2002.
18. عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات و اللغة العربية (نماذج تركيبية و دلالية)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط3، 1986.
19. فريد الأنصاري: الفطرية بعثة التجديد المقبلة على الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط2، 2013.
20. مالك بن نبي: مشكلة الثقافة (مشكلة الحضارة)، تر: عبد الصبور شاهين، ط1، الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط4، 1984.
21. محمد الصغير بناني: البلاغة و العمران عند ابن خلدون ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1996.
22. محمود السعران : اللغة و المجتمع رأي و منهج، ط2، الإسكندرية، 1963.

23. مرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2002.
24. ميشال زكريا: الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية ، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1986.
25. ميشال زكريا: قضايا ألسنية تطبيقية (دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
26. نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت،ط1، 1978.
27. نايف خرما: اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، عالم المعرفة، الكويت، 1988.
28. نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها و قضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، ط1، 2009.
29. هيام كريدية: أضواء على الألسنية، ط2008،1، بيروت ، لبنان.

2/ المراجع المترجمة:

1. بروان دوجلاس: أسس تعليم اللغة و تعلمها، تر: عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1974.
2. برتيل مالبرج: مدخل إلى اللسانيات، تر: السيد عبد الظاهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.
3. جورث جرين: علم اللغة النفسي و علم النفس، تر: مصطفى التوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.
4. جون ليونز: نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،ط1، 1985.

5. نعوم تشومسكي: اللغة و المسؤولية ، تر: حسام البهنساوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة،ط2، 2005.
6. نعوم تشومسكي: اللغة و مشكلات المعرفة، تر: حمزة بن قبلان المزيتي، الدار البيضاء،ط1، 1970.
7. نعوم تشومسكي: آفاق جديدة في دراسة اللغة و العقل، تر: عدنان حسن، دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط1، 2009.
8. نومر تشومسكي: المعرفة اللغوية (طبيعتها و أوصولها و استخداماتها) ، تر: محمد فتيح ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1993.

3/ المجلات:

1. أحمد بوعسرية: الملكة اللغوية عند (عبد الرحمن الحاج صالح) قراءة في تجليات المصطلح، مجلة الواحات، جامعة المدية، الجزائر، مج10، ع1، 2017.
2. أمل محمود علي إبراهيم: تصور مقترح لتدريس القواعد النحوية لتلاميذ المرحلة الإعدادية بمحافظة القاهرة في ضوء الملكة اللسانية ، لابن خلدون، مجلة جامعة المدينة العالمية، ع16، 2016.
3. بسطامي أنفال: حوار اللغة و العقل في فلسفة تشومسكي ، مجلة الدراسات والأبحاث، ع23، جوان، 2016، جامعة قسنطينة 2، الجزائر.
4. فايز عيسى المحاسنة: الملكة اللغوية عند ابن خلدون (دراسة لسانية مقارنة)، المجلة الأردنية في اللغة العربية و آدابها، ج3، ع3، تموز، 2003.
5. يوسف وسطاني: الملكة اللسانية و علوم اللغة العربية، مجلة التواصل في اللغات و الآداب، جامعة محمد دباغين، سطيف2، ع43، سبتمبر، 2015.

4/ المعاجم:

1. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القران، مكتبة نزار مصطفى الباز، ج1.
2. ابن سيده: (أبي الحسن علي بن إسماعيل): المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج3.
3. الشريف الجرجاني (علي بن محمد السيد): معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
4. ابن فارس (ابي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء): مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج4.
5. الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 2003، ج3.
6. الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج3.
7. ابن منظور (أي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان،ط1، 1853، مج 14.

ملحق

ثبت المصطلحات:

المصطلح المقابل باللغة العربية	المصطلح عند تشومسكي
الكفاءة	Compétence
الأداء	Performance
الحدس	Intuition
الاستبطان	Introspection
قدرة فطرية	Innate compétence
اللامحدودية، اللانهائية	Infinité
المنطقية، الصورية	Formel
الأصول الكلية الثابتة	Substantive
النحو التوليدي التحويلي	Transformationnel générative gammare
أداء اكتساب اللغة	A langue acquisition dovice .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	**أ-د**
مدخل: ضبط المفاهيم والمصطلحات	**07**
المبحث الأول: تعريف الملكة اللغوية لغة.	07
المبحث الثاني: تعريف الملكة اللغوية اصطلاحا.	12
المبحث الثالث: تعريف الفطرة لغة واصطلاحا.	13
الفصل الأول: الملكة اللغوية واكتساب اللغة عند كل من ابن خلدون وتشومسكي.	**15**
المبحث الأول: مفهوم الملكة عند ابن خلدون.	15
المطلب الأول: مراحل تكوين الملكة اللسانية عند ابن خلدون.	30
المطلب الثاني: العوامل المؤثرة في الملكة اللسانية عند ابن خلدون.	36
المبحث الثاني: اكتساب اللغة عند ابن خلدون .	39
المطلب الأول: طرق اكتساب اللغة .	42
المبحث الثالث: مفهوم الملكة عند تشومسكي.	49
المبحث الرابع: اكتساب اللغة عند تشومسكي .	64
الفصل الثاني: مقارنة بين ابن خلدون وتشومسكي في فكرتي الملكة والاكتساب اللغوي.	**77**
المبحث الأول: مقارنة بين مفهومي الملكة واكتساب اللغة عند كل من ابن خلدون وتشومسكي.	77
المطلب الأول: مقارنة مفهوم الملكة بين كل من ابن خلدون وتشومسكي.	77
المطلب الثاني: قراءة الجدول.	85
المطلب الثالث: مقارنة مفهوم اكتساب اللغة بين ابن خلدون وتشومسكي.	89
المطلب الرابع: قراءة الجدول.	93

المبحث الثاني: التقاطع والاختلاف بين مفهوم الملكة عند ابن خلدون وتشومسكي.	97
المطلب الأول: تقاطع مفهوم الملكة عند كل من ابن خلدون وتشومسكي.	97
المطلب الثاني: اختلاف مفهوم الملكة عند كل من ابن خلدون وتشومسكي.	100
المبحث الثالث: التقاطع والاختلاف في مفهوم اكتساب اللغة عند ابن خلدون وتشومسكي .	105
المطلب الأول: تقاطع مفهوم اكتساب اللغة عند كل من ابن خلدون وتشومسكي.	105
المطلب الثاني: اختلاف مفهوم اكتساب اللغة عند كل من ابن خلدون وتشومسكي.	107
خاتمة	**110**
ثبت المصطلحات	**115**
قائمة المصادر والمراجع	**117**
فهرس الموضوعات	**123**
ملخص البحث	